دكتور عاطف أحمد فؤاد

الزعامة السياسية فى مصر

عرض تاريخى وتحليل سيسيولوجى



دار المعارف

دكتورة عالية أحمد صالح داود
كليـة الدراسات الانسانيـة
جامعـة الأزهر ـ فرع البنات

الزعامة السياسية في مصر

عرض تاريخي وتحليل سسيولوجي

الطبعة الأولى

١٩٨٠



دار المعارف

الناشر : دار المعارف ـ ١١١٩ كورنيش النيل ـ القاهرة ج٠ م٠ ع

إهـــــداء

اليــــــه

الى اول زعيـــــم

تفتحت عينـــاى عليه

الى اول من اذكى فى

معـــانى الرجــولة

الى ابى محبة وعرفانا .

المحتويات

صفحة

صفحة

صفحة



(١)

فى عشق مصر كتب هـــذا المؤلف ٠٠ ومن سحر تاريخها ٠٠ ونشوة ماضيها ٠٠ وعبق تراثها ٠٠ ومن الأمل فى مستقبلها صيغت أحرف هـــذا الكتاب ٠٠ فمعـــذرة ان امتزجت رومانسية العـــاشق بتحليلات الباحث المفسر ٠٠ فهـــذا مؤلف فى حب مصر ٠٠ ذلك الحب الذى لا أود أن أفيـــق منـــه أبـــدا ٠

وموضوع هذا المؤلف ٠٠ هو الزعامة السياسية فى مصر ٠٠ والزعامة السياسية Political Leadership تعـد أحد القضايا الهامة التى شغلت عـددا غـــير يسير من المتخصصين فى علوم المجتمع ، لاسيما علماء السياسة والاجتماع وعلم النفس الاجتماعى ، فضلا عن المؤرخين وراصدى حركة التاريخ منذ عبد الرحمن بن خلدون ـ ومن سبقه ـ حتى اللحظة الراهنة ٠

فالظاهرة تتسم بمشاعية التناول ، كل يتناولها من زاوية تخصصه ، لذلك فانها تأتى رؤى تجزيئية ، أحادية الجانب ، رغم تعقد الظاهرة وتشابك أبعادها ٠ ولعل هذا التعقد وذلك التشابك هو ما أغرى عددا من المتخصصين فى علم المجتمع أن يولوها اهتماما خاصا ، نظرا لمـا تتسم به الظاهـــرة من وفرة فى الأبعاد ، وثراء فى قضايا البحث والتقصى ٠

وقـــد يتصور البعض أن ظاهرة التعدد فى التناول التى تتسم بهـــا ظاهرة الزعامة السياسية هى أحد مظاهر عمق التناول ، بينما يرى آخرون ان هذا التعدد يعـد (تجزيئا) للظاهرة وتسطيحا لها ، وهو ما يبعد بينهـــا وبين التناول الجاد والعميق فى الآن نفسه ، لذلك فنحن مع دعوى توحيـــد جهـــة الاهتمام والتخصص فى تناول مثل هذه الظاهرة ، وهو موقف ينبثق من ايماننا بأهميـــة ظاهرة الزعامة السياسية وبخطورتها بالنسـبة لواقع المجتمعات ومستقبلها ، وما بين الأهمية والخطورة تظهر الحاجة الى عـــلم متخصص يعنى بظاهرة الزعامة السياسية من حيث الكشف عن أبعـادها ،

والبنائية ، والدور الذى يمكن أن تلعبه لحاضر المجتمع ، فضلا عن التنبؤ ، بما يمكن أن تكون عليه فى المستقبل ·

(٢)

واذا كنا نقـر بأن ظاهرة الزعامة السياسية تنتمى بحكم طبيعتها الى علم الاجتماع السياسى Political Sociology لأسباب سوف نعرض لها فيما بعد ، الا أننا ــ ومن منطلق الاحساس بأهمية الظاهرة وخطورتها ــ نهدف الى أن يكون هذا المؤلف أحــد بشائر تخلق نسق معرفى متميز يعنى بدراسة ظاهرة الزعامة السياسية،سعيا وراء تعيين نظرى ومنهجى متكاملين، وتحقيقا لوحدوية التناول ·

وقـد تواجه هذه الدعوى باعتراض مؤداه : ان هذا يعنى انه بتعـدد ظواهر المجتمع تتعـدد الانساق المعرفية ، والعلوم الفرعية ، ويصبح لـكل ظاهرة نسق معـرفى مستقل ، يعنى بدراستها ، وتصبح محورا لدراساته النظرية وتطبيقاته الميدانية ، وهو الأمر الذى ينبىء بحـدوث (فوضى) فى علوم المجتمع ؟ ·

ولكن الأمر ــ على خلاف ذلك ــ فما كنـا من دعـاة الفوضى فى عـلوم المجتمع ، ولا كنا من مؤيدى تعـدد فروع هـذه العلوم أو تشعبها بصورة مسرفة · فاستقلال ظاهرة أو عـدة ظواهر بنسق معرفى متميز لا يتم ــ فى تصورنا ــ بصورة عشوائية ، ولكنه أمر (محكوم) بضوابط لعل من أبرزها أهمية الظاهرة وخطورتها من جهة ، و (عجـز) العلوم التى قد يتصور أنها تنتمى اليهـا عن تقديم تفسير علمى لهـذه الظاهرة ، له حدوده النظرية والمنهجية المتميزة من جهة أخرى ، الأمر الذى قد يشعر معه الباحثون بضرورة انبثاق هذا النسق المعرفى الذى تكتمل من خلاله الرؤية المعرفية لهذه الظاهرة·

وسسيولوجيا الزعامة السياسية Sociology of Political Leadership كنسق معرفى تصبو الى تكامل ملامحه النظرية وحدوده المنهجية ليس بدعة فى علمى السياسة والاجتماع ، فلقـد سبق ذلك انبثاق نسق متميز يتناول ظاهرة الثورة هو سسيولوجيا الثورة أو علم اجتماع الثورة Sociology of Revolution واضحت له ملامحه الخاصة ، نظـريا ومنهجيا ، رغم انتمائه

تاريخيا الى علم الاجتماع السياسى ، فلا اقل من ان يكون لظاهرة الزعامة السياسية نسق معرفى مستقل ، وهو أمر قد يصعب تحقيقه فى الوقت الذى تتشتت فيــه اسهامات الباحثين فى علمى السياسة والاجتماع ٠

والى ان يتحقق هذا الأمل سوف تظل ظاهرة الزعامة السياسية أحـد محاور الاهتمام فى علم الاجتمـــاع السياسى ، وهو انتمــــاء له مشروعيته المستمدة من الدعاوى الآتيـــة :

أولا : ان ظاهرة الزعامة السياسية ، ظاهـــرة تتفاعل فيها الأبعـــاد التاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية ، بحيث تبدو الظاهرة وكأنهـا نتــاج أو محصلة لهذه الأبعاد جميعها ، وهى أبعاد تكشف عن طبيعة العلاقة الجدلية بين الظواهر السياسية ـ ومنها ظاهرة الزعامة ـ بغيرها من ظواهـر المجتمع ، وهو جوهر اهتمام علم الاجتماع السياسى ٠

ثانيا : يمثل التاريخ والبعد التاريخى حجر الزاوية فى دراسات عـــلم الاجتماع السياسى ٠ وظاهـــرة الزعامة السياسية ، ظاهرة ذات أبعـــاد تاريخية ، لا يكتفى بفهمها بنائيا دون سبر غورها تاريخيا ٠

ثالثا : معنى ذلك أن علم الاجتماع السياسى يكشف عن كفاءة خاصـة فى فهم ظاهرة الزعامة السياسية ، نظـــرا لقدرته المتميزة على التعامل مع السياسة والتاريخ وعلم الاجتماع وكأنهم وحـــدة واحدة تتسم بالتفــاعل والجـــدل ، أو كأنهم بنــــاءا عضويا متكاملا يتسم بالاتساق والتساوق والاعتماد المتبادل ، وهو الأمر الذى تتطلبه الدراسة الجادة والواعية لظاهرة الزعامة السياسية ٠

رابعا : تمثل تكنيكات علم الاجتماع السياسى وطرائق البحث فيه ، أكثر التكنيكات أو الطرق قـــدرة وكفاءة فى الكشف عن أبعاد ظاهرة الزعامة السياسية وديناميانها المختلفـة لا سيما طريقتى العـــزو Imputation واقتفاء الأثر Trace ، وهما الطريقتان التى استمدهما علم الاجتمـــاع السياسى من علم اجتماع المعـــرفة Sociology of Knowledge ، وهو ذلك العلم الذى يعنى أساسا بحوارية العلاقة بين الفكر والواقع ٠ (٣)

ويكشف التراث النظرى لعلم الاجتماع السياسى عن الطبيعةالتركيبية لظاهرة للزعامة السياسية نظـــرا لارتباطها بعـدد من المفهومات والظواهر

كمفاهيم السلطة Authority والقوة Power والصفوة The Elite
• ثم اصطلاح النفوذ أو التأثير The Influence والثورة The Revolution

كما يثير ذات الاصلاح مشكلة أخرى ترتبط بما يمكن أن يحدث من خلط بين اصطلاح الزعامة بمعناها السياسى ، واصطلاح القيادة بمعناها الاجتماعى أو الثقافى أو الادارى •

وتتعاظم مشكلة الزعامة السياسية عند تعيين التمايزات القائمة بين الزعيم السياسى Political Leader من جهة والحاكم The Ruler من جهة أخرى ، وهل من الممكن الجمع بين الزعامة السياسية وتملك السلطة الشرعية ، أم أن لكل من الزعيم والحاكم مقوماتها وماهيتها الخاصة ؟ وأن لكل منهما دورا فى المجتمع ، يكمل كل منهما الآخر ؟ •

ثم ما علاقة الزعامة السياسية بالطبيعة السياسية للمجتمع وبنمط الحكم السائد ؟ بمعنى هل تنبثق الزعامة من خلال افرازات الصيغة الديمقراطية والحزبية للحكم ؟ ، أم تعد انعكاسا طبيعيا لما تكشف عنه الصيغة الاوتوقراطية من متتاليات تتعلق بكبت الحريات والاستئثاربالحكم؟

ولا شك أن تلك المشكلات ، ومجموعة التساؤلات المرتبطة بظاهرة الزعامة السياسية قد ترددت بشكل أو بآخر خلال الاسهامات التنظوية لمنظرى علم الاجتماع السياسى فى تناولهم لهذه الظاهرة ، والتى تكشف فى مضمونها عن تصور خاص للزعامة السياسية باعتبارها قوة أو نفوذ خاصا خارج السلطة الشرعية التقليدية ، فهى سلطة تتجاوز كل حدود الشرعية الحاكمية ، وقد تمثل أحد صفوات المجتمع المختلفة ، فقد تكون صفوة عسكرية ، أو صفوة سياسية ، أو صفوة فكرية ، أو صفوة دينية ، ولكنها على أية حال صفوة متميزة ، تتسم بمجموعة من الخصائص وتنهض وفقا لمجموعة من القدرات والكفاءات الخاصة •

وقد نتفق مع التصور السابق لطبيعة الظاهرة السياسية من حيث حتمية توفر الملكات أو المواهب الخاصة وتوفر الظروف الموضوعية التى تتيح لها الانبثاق والتألق ، ومن حيث اعتبارها أحد صفوات المجتمع ، ومن حيث تجاوزها لكل حدود السلطة الشرعية التقليدية ومن حيث قدرتها على التعبير عن القوى المتطلعة للمجتمع ، الا أننا نضيف الى هذه المقومات عددا من

الاعتبارات نوجزها فيما يلى ، وهى الاعتبارات التى أمكن استخلاصها من واقع التراث النظرى لظاهرة الزعامة السياسية :

أولا : ان الزعامة السياسية الحقيقية لا تنشأ من فـراغ ، فهى تتخلق كنتاج لمجموعة من الأبعاد والمواقف ، فالثورة على سبيل المثال يمكن النظـر اليها باعتبارها المناخ الطبيعى التى تتولد من خـلاله الزعامات السياسية ، وهذا يعنى أن بعض المنظرين يرون أن (الأزمة) أو (الموقف) تلعب دورا حاسما فى تعيين معالم الزعامة ، بل وفى انبثاقها ٠

ثانيا : يشير بعـــد الثورة ــ التى تقوم أصـلا لمناهضة مظاهر الظلم والديكتاتورية ــ الى أن تخلق ظاهـــرة الزعامة مرتبطة بظـــروف المجتمع الاوتوقراطى ، رغم ما يشير اليه البعض من ارتباط هذه الظاهرة بنوعيــة خاصة من نظم الحكم ، وهو النظام الديمقراطى الحزبى الذى يتيح للكفاءات والمواهب السياسية أن تتألق وتزدهر حسبما يشير أنصار هذا الاتجاه ٠

وعندى أن النظم الاوتوقراطية ــ وهى أحد أسباب الثورات السياسية والشعبية ، بـــل تعـد سببها الوحيد ــ وما يترتب عليهـــا من مظاهـــر للديكتاتورية والاستئثار بالحكم ، فضلا عن عـــدم العدالة والظلم ، تتيح للزعامات السياسية أن تتخلق لقيادة حركة الجماهير لدرء الظلم ولمناهضـــة الديكتاتورية ٠

أما النظم الديمقراطية الحزبية فهى التى تتيح ــ كنتاج لفلسفتها التى تنهض على أساس الحرية والمعارضة ــ للزعامات السياسية الاستمرار والنمو والازدهار حيث تجد هذه الكفاءات فرصتها فى النقـد والمعارضة وملاحظـــة حركة الواقع السياسى ، وهنا تلعب الاحزاب السياسية دورا متميزا فى تبنى الزعامات السياسية واحتضانها والعمـــل دائما على أنمائهـــا ٠ فالنظم الاوتوقراطية تخلق الزعامات السياسية (رغم ارادتها) ، بينما تنبثق تلك الزعامات (بارادة) النظم الديمقراطية وتشجيعها ٠ فالنظامان يخلقـــان الزعامة السياسية ، ولكن كلا وفقا لظروفه ، فانبثاق الزعامات السياسية اذن ليس وقفا على صيغة سلطوية بعينها ، وهو ما قد نختلف فيه مع بعض منظرى ظاهرة الزعامة السياسية ٠

ثالثا : يشير بعض منظرى الفـــكر السياسى والاجتماعى الى ضرورة التمييز بين نظام الحكم الذى ينهض على أساس الزعامة ، وهو النظام الذى

تتيحه ـ فيما يتصور البعض ـ الصيغة الديمقراطية ، وبين نظام الحكم الذى يقوم على النزعة الحاكمية Rurlership وهى النزعة التى تسود ـ فيما يتصور بعض المنظرين ـ المجتمع الاوتوقراطى ٠

والملاحظ أن دعاوى التمييز بين المجتمعات الزعامية ونقيضها المجتمعات الحاكمية ينهض على أساس تصور بعض المنظرين من أن المجتمع الديمقراطى مجتمع يسوده النظام السياسى الزعامى ، بمعنى أن الحاكم فى هذه النظم الديمقراطية هو بطبيعته زعيم ، أما النظم الحاكمية ، فحكامها يتسمون بأنهم حكام تقليدون وهو ما يسود المجتمعات الاوتوقراطية ، فكأن هذا التصور يريد التأكيد على أن الزعامة ظاهرة مرتبطة ـ فقط ـ بالصيغة الديمقراطية للحكم ٠

وبصرف النظر عن الملاحظة السابقة الا أنه من المؤكد أن امكانية الجمع بين الزعامة السياسية وامتلاك السلطة السياسية الشرعية ـ على ندرته ـ محقق تاريخيا رغم الفشل الذى أصاب الزعماء السياسيين عندما تحولوا الى حكام شرعيين ، فالزعيم السياسى ـ حقيقة ـ ينبغى أن يكون دائما بمبعدة عن بريق السلطة الشرعية ، وعليه دائما أن يكون رمزا يتجاوز كل حدود السلطات بمعناها التقليدى الحاكمى ٠

رابعا : يرى المنظرون السياسيون والاجتماعيون الغربيون ان لظاهرة الزعامة السياسية صلتها الوثيقة بنظرية الصفوة ، بينما ينزع المنظرون الماركسيون نزعة أخرى فى تحليلاتهم لذات الظاهرة ، حيث يرون أن الزعامة السياسية ظاهرة ذات بعد طبقى ، بمعنى أنها زعامة طبقة أو تأثير من طبقة على طبقة أخرى ٠

واذا كنا نتفق مع المنظرين الغربيين فى أن الزعامة السياسية من العسير دراستها بمعزل عن ظاهرة الصفوة فى المجتمع ، وأن الصفوة ـ اى صفوة ـ قد تكون مصدرا ـ بل هى كذلك ـ لتفريخ الزعامات وخلقها ، كذلك فاننا نتفق أيضا على ضرورة أن يؤخذ البعد الطبقى Class Dimension فى الاعتبار عند التصدى لظاهرة الزعامة السياسية بالتحليل والمناقشة على أساس أهمية هذا البعد فى تفسير انبثاق الظاهرة وتحديد معالمها ، وليس على أساس سيطرة طبقة على طبقة أخرى على نحو ما يذهب الماركسيون ، وهى السيطرة التى تنبع أساسا من الوضع المتميز على منظومة علاقات الانتاج ٠

خامسا : تثير قضية الزعامة السياسية لدى منظرى الفكر السياسى والاجتماعي تساؤلا خاصا بطبيعة الدور الذى يلعبه الفرد فى حركتى المجتمع والتاريخ ومنهم الزعماء السياسيون ، فبينما يرى أصحاب الرافد الغربى أن الفرد سواء أكان زعيما أو فنانا .. الخ يمكن أن يلعب دورا حاسما فى تعيين مسار حركتى المجتمع والتاريخ ، بينما يذهب أصحاب الرافد الماركسى الى التاكيد على دور القوى الاقتصادية فى تشكيل منظومة المجتمع والتاريخ ، وأن للجماهير ـ لا سيما البروليتاريا ـ دورا يفوق ذلك الدور الذى يلعبه الفرد فى صياغة حركة تاريخه أو مجتمعه .

وانكار دور الفرد ـ الزعيم ـ فى حركتى التاريخ والمجتمع أمر يتناقض مع وقائع التاريخ الانسانى ، فمن منا ينكر ذلك الدور الذى لعبه الأنبياء والرسل ـ كافراد ـ فى تعديل مسار مجتمعهم وتعيين حركة تاريخهم، ثم كيف نتجاهل ذلك الدور الذى لعبه كل من نابليون وموسيلينى وهتلر ومحمد على مثلا ، لا باعتبارهم زعماء ولكن باعتبارهم أفرادا متميزين استطاعوا أنيكون لهم دور لا بالنسبة لمجتمعاتهم فحسب ، ولكن أيضا بالنسبة لمسار حركة التاريخ فى العالم .

أما دور الشعوب ، وما تضطلع به الجماهير من أدوار فى حركتى المجتمع والتاريخ فأمن من العسير تجاهله ، وهو ما يتضح من خلال الحركات الاجتماعية المختلفة كالثورات على سبيل المثال ، ولكن هل تستطيع الجماهير ـ بانتماءاتها الطبقية المختلفة ـ أن تعمل بمعزل عن قادة توجهها أو زعماء يرسمون لها معالم الطريق ؟ لذلك فنحن نؤمن بشرعية ثنائية الدور ـ الفرد والجماهير ـ فى حركتى المجتمع والتاريخ ، وأنه من العسير أن يعمل أحدهما بمعزل عن الآخر ؟ .

(٤)

ومؤلفنا وسط هذا التراث النظرى اللا محدود والخاص بظاهرة الزعامة السياسية لا يجد أنه من المنطقى ـ وهو يسعى للكشف عن ظاهرة الزعامة السياسية فى مصر ـ أن يكون صدى لما ردده الآخرون ، أو أن يكون محض محاكاة لمناقشات الباحثين وجدل المنظرين ، بل آثر ـ أى هذا المؤلف ـ أن تكون له رؤيته الخاصة ، لا سيما وهو ليس مؤلفا نظريا فى ظاهرة الزعامة السياسية بوجه عام ، بل ان محور اهتمامه هو ظاهرة الزعامة المصرية فى

للتراث النظرى فى خـدمة التحليل الاجتماعى والتاريخى لظاهـرة الزعامة ببعـديها التاريخى والآنى ، الأمر الـذى ينبغى معه أن تكون الملامح العامة للتراث النظرى فى خـدمة التحليل الاجتماعى والتاريخى للظاهرة السياسـية المصرية ·

فنحن اذن لسـنا براصدين للتراث أو محاكين لاسهامات غـيرنا من الباحثين ، بـل آثرنا أن نتخذ موقف المتسائل المختبر لعـدد من القضايا النظرية الخاصة بظاهرة الزعامة السياسية ، وهى تلك القضايا التى كانت مثارا للجدل والنقاش بين باحثى علم السياسة وعلم الاجتماع السياسى ، فهذا الموقف المختبر سوف ينهض على أساس (انتقاء) عـدد من القضايا النظرية الخلافية ذات الصـلة بقضية الزعامة السياسية كقضايا الثـورة والصفوة والقوة والسلطة وصـيغة الحكم ، محاولين اختبارها على محكى التاريخ والواقع المصريين ، مستهدفين من ذلك أن تتواكب المعطيات النظرية مع الوقائع التاريخية والبنائية بحيث لا يأتى عرضنا لبعض جوانب التراث عرضا تقليديا يغلب عليه التلقيد والمحاكاة ·

وجـدير بالملاحظة أن انتقاءنا لبعض قضايا التراث سوف تتحـدد مصادره من خلال اسهامات علماء السياسة والاجتماع ، فضلا عن علمـاء الاجتماع السياسى ، بحيث يكشف عرضنا عن رؤية تكاملية تؤمن بجدلية العلاقة بين السياسة والمجتمع ، وبقدرة التاريخ على اضافة البعد الدينامى لصيغة الجدل من الظواهر السياسية من جانب ومتغيرات البناء الاجتماعى من جانب آخـر·

فهذا المؤلف يدور فى فلك ثلاثية السياسة والتاريخ وعلم الاجتماع ، واضـعا فى اعتباره أمرين : أولا اختبار بعض القضايا النظرية الخاصـة بظاهرة الزعامة السياسية فى ضوء ما يكشف عنه تاريخ الزعامات المصرية وحاضرها ، وثانيا : ان الزعامة السياسية المصرية لهـا بعدها الثقـافى والتاريخى والمجتمعى المتميز ، فظـرا لتميز المجتمـع المصرى وخصوصيته وتفرده تاريخيا ، وهو ما يؤكد أن فهم ظاهـرة الزعامة السياسية المصرية لا ينبغى أن يكون ـ فقط ـ فى ضوء المقولات النظرية للتراث بل ينبغى أن يكون ـ أيضا ـ فى ضوء السـياق الاجتماعى والتاريخى للمجتمع المصرى ، حتى تتكامل الرؤية ، وتتسم المعالجة بالعمق والشمول ·

وتتحدد فصول هذه الدراسة من خلال ثلاث محاور اساسية هى :

المحور الأول : بعض قضايا التراث النظرى ٠

المحور الثانى : بعض نمـــاذج من الزعامات السياسية من واقـع التاريخ السياسى للمجتمع المصرى ٠

المحور الثالث : الكشف عن اتجاهات احـــدى فئات المجتمع المصرى ازاء ظاهـــرة الزعامة السياسية المصرية من خـــلال مجموعة من المتغيرات والقضايا المرتبطة بهذه الظاهرة من واقع دراسة ميدانية فى ضوء مقولات علم الاجتماع السياسى ٠

والمحور الثانى محاولة لاختبار بعض قضـــايا المحور الأول الخاص ببعض ابعاد التراث النظرى ع مع الأخذ فى الاعتبار ابراز دور كل من الموهبة والظروف الموضوعية للمجتمع وموقف الجماهير فى خلق الزعامة وتالقها ، مع عرض تصور خاص لطبيعة الزعامة السياسية ومقوماتها الاساسية ٠

اما المحور الثالث وهو الخاص بالدراسة الميدانية فيعـــد خطوة نحو تقديم فهم كامل لطبيعة الزعامة السياسية المصرية وما ينبغى أن تكون عليه فيما يتصور الانسان المصرى ، وهى دراسة قطاعية تهتم برصـــد اتجاهات الانسان المصرى بفئـــاته المختلفة وتحليل أبعاد هذه الاتجاهات وتفســـير ما تكشف عنه من مؤشرات تفصح عن ماهية الزعامة السياسية كمايتصورها الانسان المصرى ٠

ولسوف تعنى الدراسة فى مرحلتها الأولى بالكشف عن اتجاهات فئة الصفوة المتعلمة نحو ظاهرة الزعامة السياسية ، ثم سوف تتابع بعد ذلك مجموعة الدراسات الميدانية لعدد من الفئات الاجتماعية للكشف عن اتجاهاتها ازاء ذات الظاهرة حتى تكتمل الملامح العامة لتصورات الانسان المصرى نحو ظاهرة الزعامة السياسية المصرية ٠

(٥)

ووفقا للتصورات العامة لقضية الزعامة السياسية ، وبناء على الفلسفة التى ينهض وفقا لهـا هـذا المؤلف ، فلقد تحددت فصوله ومباحثه بناء على التصـــور الآتى :

الفصل الأول يتناول مفهوم الزعامة وبعض القضايا النظرية المرتبطة

بـه وينقسم الى اربعة مبـاحث ، يعنى أوله بمعنى الزعامة السياسية وعلاقتها ببعض المفاهيم كمفهومي السلطة والقـوة ، ثم انه يهتم أيضـا بالتعـرف على موقف بعض علماء المجتمع والمؤرخين من قضيـة الزعامة السياسية ، بينما يهتم المبحث الثانى بتعيين موقع الزعامة السياسية بين النظامين الديمقراطى الحزبى والاوتوقراطى الشمولى ، فى حين يعنى المبحث الثالث من هذا الفصل بدراسة علاقة الزعامة السياسية بظاهرة الثورة ، أما الفصل الرابع والأخير فيدور حول ظاهرة الزعامة السياسية فىعلاقتها بنظرية الصفوة ، ونختتم هذا الفصل باستعراض عام ومناقشة تحليلية لقضـايا هذا الفصل مع تقديم تصور نظرى ومنهجي للكيفية التى سوف نعتمد عليها فى دراسة ظاهرة الزعامة السياسية المصرية وكمـا ستكشف عنهـا الفصول التـالية ٠

أما الفصـل الثانى فيعنى بتقـديم نمـاذج من الزعامات السياسية المصرية من واقع التاريخ السياسى للمجتمع المصرى ، وينقسم الى خمسـة مباحث ، يتعرف أولها على ماهيـة الزعامة السياسية فى مصر وارهاصات انبثاقها ، بينما يتناول الثانى والثالث والرابع ثلاثة نماذج من الزعامات السياسية المصرية وهم على التوالى أحمد عرابى ، ومصطفى كامل وسـعد زغلول ٠ ويأتى المبحث الخامس كاشفا عن مظاهر التماثل ومؤشرات التمايز بين الزعامات المصرية المختلفة ٠

ثم يقفـز بنـا **الفصل الثالث** الى مصر ما بعـد الخمسينات ، حيث نتعرف على نموذجين من زعامات مصر الثورة من خلال ثلاثة مباحث يشكلون هيكل هذا الفصل ، فيطوف بنـا الأول مناقشا قضيتى الثورة والصـفوة العسكرية ، بينما يكشف الثانى عن العلاقة بين انتكاسة الليبرالية فى زعامة الخمسينات والستينات وغياب الايديولوجية وتطلعات الزعامة الكارزمية ٠ ويمثل المبحث الثالث زعامة السبعينات ، متتبعا محاولاتها لاحياء الليبرالية وسط تحديات الواقع ، وما يمكن ان يبشر به الأمل ٠

وتتتابع الفصول ، حتى نصـل **الى الفصـل الأخـير** ، وهو الخاص بالدراسة الميدانية ، حيث نتعرف من خـلال مباحثه الأربعة على اتجاهات بعض أفراد الصفوة المصرية المتعلمة نحو ظاهرة الزعامة السياسية بوجـ

عام ، والمصرية على وجه الخصوص ، فنتعرف فى مبحثه الأول على ما هية الصفوة المتطلمة (العينة) وابرز خصائصهـا ، ثم نكشف فى مبحثه الثانى والثالث عن ماهية الزعامة السياسية ومقوماتها والتمايزات القائمة بينهـا وبين رئيس الدولة أو الحاكم وأبرز الزعامات السياسية المصرية وحاجة المجتمعات اليهـا .

ثم يأتى المبحث الرابع ـ والأخير ـ فيكشف عن تصورات هذه الفئة لأكثر فترات التاريخ السياسى للمجتمع المصرى تشبعا بالزعامات السياسية واكثرها خلوا منها ، مع تعليل ظاهرة التشبع والخلو هذه .

وهذا المؤلف يدين لعدد من الأصدقاء والزملاء بالكثير .. والكثير ، بدءا باخى الدكتور سالم عبد العزيز الذى تحمل ـ رغم مشاغله ـ مشقة تفـريغ معطيات الدراسـة الميدانية وجدولتها ، ومرورا بالزميلة الفاضلة الدكتورة فتحية النبراوى استاذ التاريخ الاسلامى المساعد بكلية الدراسات الانسانية جامعة الازهر فرع البنات التى زودتنى بالعـديد من المراجع الهـامة التى افادتنى كثيرا فى اثراء هذا المؤلف واضافة أبعاد جديدة ما كنت اتنبه اليها لولا تلك المراجع . ثم لا انسى اسهامات الزميلتين نوال سليمان وسـهير عبـد العزيز وعظيم تعاونهما معى ، كذلك أخى وصديقى الاستاذ على ليلة مدرس علم الاجتماع المساعد بكلية الآداب جامعة عـين شمس الذى كانت لمناقشاتنا معا الأثر فى بلورة الكثير من افكار هذا المؤلف ، فضلا عن تزويده اياى بالعديد من المراجع النادرة التى أعانتنى كثيرا على انجاز هذا العمل .

كذلك لا يفوتنى أن انوه بالمجهود غير المنكور الذى بذله الأخ الأستاذ على فرغلى والأخ الأستاذ محمد حافظ فى اتمام العمل الميدانى ، فلهما ولجميع الزملاء الشكر كل الشكر .

والله ولى التـوفيق .

مصر الجديدة فى ١٩٨٠/٥/٨

د. عاطف احمـد فـؤاد

الفصـــــل الأول

الزعامة السياسية : المفهوم وبعض القضـــايا النظرية .

تمهيـــــــد .

المبحث الأول : المعنى والتنــاول متعــدد الابعــاد .

المبحث الثانى : الزعامة السياسية بين النظم الديموقراطية الحزبيــة والنظم الأوتوقراطية الشمولية .

المبحث الثالث : الزعامة السياسية وظــاهرة الثــورة .

المبحث الرابع : الزعامة السياسية ونظـــرية الصــفوة .

مناقشة عــامة وتصور منهجى .

تمهيـــــد

قد لا نغـــالى كثيرا اذا ما أكدنا أنه على الرغم من التراكمات النظرية الاكاديمية والاسـهامات الفكرية التى حظيت ظاهــرة الزعامة السياسية Political Leadership باهتماماتها ، سعيا وراء فهم علمى للظـاهرة من حيث أبعادها وديناميانها ، الا أن هذه الوفرة النظرية التى أسهم فى تقديمها علم السياسة ، والاجتماع والتاريخ ، فضلا عن علم الاجتماع السياسى قـد خلقت لدينا ـ نحن البـاحثون فى ديناميات الزعامة السياسية المصرية ـ (أزمة انتقاء) ، بمعنى بأى من هذه الاسهامات النظرية سوف نستعين ؟ ، وبأى بعد من أبعاد هـذا التراث سوف يتحدد اطارنا ؟ ، وبأى اتجاه مـن اتجاهات تفسير ظاهرة الزعامة السياسية سوف نلتزم ؟ ٠

والمؤلف الراهن بحكم اهتماماته لا يعنى بحركة الرصد النظرى لظاهرة الزعامة السياسية فما نود أن نكون مرددين ، محاكين لغيرنا ، ومؤلفات التراث من الوفرة بحيث تأتى أى محاولة راصدة وكأنها تزيد لا ضرورة له ، ومـن هنا ـ ومن خلال هذا الفصل ـ نود أن يكون لنـا موقف نظرى ، وهو موقف تحدده طبيعة هذ المؤلف وأهدافه الأساسية ٠

ويتحدد موقفنا النظرى من تراث نظريات الزعامة السياسية من خلال محورى الانتقاء والاختبار ٠ فأما عند الانتقاء فنعنى به تلك القضايا النظرية الخلافية والمرتبطة بظاهرة الزعامة السياسية ، وأما الاختبار فهو محـاولة اخضاع تلك القضايا الخلافية للاختبار الميدانى ببعديه التاريخى واللحظى ٠

وقد يتصور البعض أن الانتقـاء والاختبار لا يمكن النظـر اليهما باعتبارهما (موقفا نظريا) ، بل همـا يعدان مظهرين من مظـاهر التمييع النظرى أو الهروب الفكرى ، الأمر الذى تصبح معه عمليتا الانتقاء والاختبار بمثابة قناع للتخفى الفكرى أو النظرى !

ولكن الأمر على خلاف ما يعتقد البعض ، فالانتقاء والاختبار يمكن النظر اليهما ـ فيما أتصور ـ باعتبارهما (خطوة) نحو تأسيس بناء نظرى متكامل لظاهرة الزعامة السياسية المصرية ، قد تعقبها خطوات أخرى من التفنيد والمراجعة واعادة البحث والتقصى ، الأمر الذى يمكننا معه أن نعلن ولاءنا الفكرى أو النظرى ، وهو انتماء نابع ليس من التفسيرات النظرية الجاهزة أو من الاطر الفكرية المعدة سلفا ، ولكن من خلال ما تعكسه معطيات تاريخنا وما تفرزه سمات الواقع الاجتماعى والاقتصادى والسياسى للمجتمع اتساقا مع (بعض) مقولات الفكر السياسى والاجتماعى ٠

ويتحدد انتقاؤنا لقضايا التراث النظرى لظاهرة الزعامة السياسية من خلال المحاور الآتية والاعتبارات الآتية :

١ ـ ان ظاهرة الزعامة السياسية لم يقتصر الاهتمام بهـا على علم السياسة فقط ، بل شارك فى الاسهام فى دراستها التاريخ وعلم الاجتماع العام ، فضلا عن علم الاجتماع السياسى ، فهى تعد من الظواهر متعددة التناول ٠

٢ ـ أضحت قضية العلاقة بين صيغة الحكم وانبثاق الزعامة السياسية من بين القضايا الخلافية فى علم السياسة وعلم الاجتماع السياسى ، بمعنى أن محاور الخلاف قد دارت حول أنسب النظم السياسية وأكثر صيغ الحكم ملاءمة لتفريخ الزعامات السياسية وانبثاقها ، لا سيما عند المقارنة بين النظم الديموقراطية الحزبية والصيغ الديكتاتورية الشمولية ٠

٣ ـ حاول بعض المتخصصين فى علم السياسة وعلم الاجتماع السياسى فضلا عن المؤرخين النظر الى الثورة The Revolution باعتبارها ظاهرة سياسية اجتماعية تعمل على خلق الزعامات السياسية وان نظر الماركسيون الى الزعامة السياسية التى تتخلق من خلال الثورة باعتبارها تعبيرا عن انتماء طبقى بعينه ، فالزعامة هنا ـ على نحو ما يرى الماركسيون ـ زعامة طبقية ، وسيطرة طبقة على عدة طبقات أخرى ، وهى تعبير عن ديناميات طبقة بعينها ٠

٤ ـ نالت نظرية الصفوة أو الصفوات The Elites باعتبارها نظرية مرتبطة ببعض قضايا أخرى كالقوة Power والتأثير influence

والسلطة Authority اهتماما خاصـــة من الباحثين فى ظاهـــرة الزعامة السياسية ، على اعتبـــار أن الزعامات السياسية تعد شكلا من أشـــكال الصفوات ، فاذا كانت الزعامة السياسية صـــفوة ، فالى اى نمط من أنمـــاط الصفوة تنتمى هذه الزعـــامة ؟ هـــل تنتمى الى الصفوة العسكرية ، أم الى الصفوة الدينية ، أم انها ذات صلة بالصفوة المثقفة ، أو الصفوة السياسية أم الاقتصادية ؟

فهذا الفصل يبحث اذن فى ثلاث محاور أساسية هى الزعامة وصـــيغ الحكم ، والزعامة فى علاقتها بظاهرة الثورة ، ثم الزعامة ونظرية الصفوة . ولا شك أن طرحنا لهذه القضايا وانتقاءنا لها ، يعد تمهيدا طبيعيا لاختبارها تاريخيا وآنيا فى ضوء ابعادالزعامة السياسية المصرية وديناميتها فى ماضى مصر وحاضرها .

المبحث الأول

الزعامة السياسية : المعنى والتناول متعدد الأبعاد

أولا : الزعامة السياسية بين مفهومى القوة والسلطة ·

ثانيا : الزعامة السياسية وعلوم الانسان والمجتمع ·

اولا : الزعامة السياسية بين مفهومى القوة والسلطة

(١)

ينزع بعض المهتمين بظاهــرة الزعامة السياسية نحـــو التأكيد على الارتباط العضوى بين تلك الظاهرة وظاهرتى القوة والسلطة فى المجتمع الى الدرجة التى يذهب فيه غالبية هؤلاء الى النظر الى ظاهرة الزعامة او القيادة باعتبارها ممارسة للقوة أو التأثير Influence داخل التجمعات الاجتماعية كالجماعات والتنظيمات والمجتمعات المحلية والأمم(١) ٠

وممارسة القوة او التأثير يعد أحد الأسس التى اقام عليها ماكس فيبر Weber تعريفه لمفهوم القيادة ، وهو الأمر الذى يؤكده Dornbusch فى مؤلفه الموســـوم (تقويم السلطة وممارستهـــا) Evalution and the Exercise of Authority فى نطاق عرضه للاسهامات الكلاسيكية التى تناولت مفهوم القوة Power حيث يشير الى أن تعريف فيبر لاصطلاح القيادة أو الزعامة قد انعكست تأثيراته على غالبية الاســهامات التى قدمها العلمـــاء الاجتماعيون الذين عاصروه والذين حاولوا بعده أن يخضعوا مفهوم الزعامة فى علاقته بالقوة للتحليل والتفسير(٢) ٠

والقوة كما يعنيها فيبر Weber تتحدد من خلال ما يمكن أن تمارسه الصيغة البنائية لأى نظام شرعى من تاثيرات على توزيع القوة داخل المجتمع، والقوة بهذه الرؤية تعنى الفرصة التى تمنح للفرد أو لعدد من الأفراد لــكى يفرضوا ارادتهم على الآخرين بصورة متوازية ضد مظاهر المقاومة التى قــد

---

(١) Stannebuim Anold, Leadership (Sociological Aspects) International Encyclopedia of Social Seince edited by Sills, David, Macmillan Company and Free Press, Vol. 9, 19, P. 101.

(٢) Dornbusch, Sanford, M., Evaluation of the Exercise of Autharity, Jossey-Bass, 1975, P. 31.

يبديها الآخرون المشاركون فى نفس الفعل(١) ٠

فالفرد هنا - صاحب القوة - يكون فى وضع - على نحو ما يذهب فيبر - يسمح له بتنفيذ ارادته ضد مقاومة الآخرين ، وذلك بصرف النظر عن الأساس الذى تنهض وفقا له قوة هذا الفرد(٢) ٠

اما دال Dahl فيميل فى تعريفه للقوة ميلا آخر ، معتمدا على ما يمكن تسميته بالموقف الشخصى الداخلى Interpersonal Situation حيث يتصور ان القوة التى يملكها (أ) ويمارسها على (ب) ، تتيح للأول (أ) أن يدفع الثانى (ب) لأن يفعل شيئا لا يود - أى ب - أن يفعله(٣) ٠

وفى تحديد دال هذا لمفهوم القوة يكشف عن تصور يرى فى القوة الزاما واجبارا Obligation ، وسلبا لارادة الآخرين ، فهى أقرب ما تكون الى التأثير السحرى حيث يشعر ازاءه الآخر بالقهر Coercion والامتثال اللاارادى Conformity ٠

(٢)

ويسير فى ذلك الاتجاه اميرسون Emerson حيث يركز ايضا على البعد الذاتى للقوة متصورا أن القوة التى يتمتع بها (أ) على (ب) هى نتاج لكم المقاومة التى يبديها (ب) والتى عادة ما ينجح (أ) فى القضاء عليها ٠ وتعريف اميرسون للقوة على نحو ما يرى Dornbusch قد يتشابه الى حد كبير مع ذلك التعريف الذى قدمه كل من ثيبوت Thibaut وكيلى Kelley عام ١٩٥٩ لمفهوم القوة حيث نظرا اليها على اساس ان القوة

---

(١) Gerth, H. H., and Mills, C. Wright, From Max Weber; Essays In Sociology, A Galaxy Books, New York, 1958, P. 180.

(٢) Dornbusch, Op. cit., P. 31.

(٣) انظر عددا من تعريفات مفهوم القوة فى : نبيل السمالوطى ، بناء القوة والتنمية السياسية : دراسة فى علم الاجتماع السياسى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (الاسكندرية ، ١٩٧٨ ، ص ص ٣٩ - ٢٥٠ .

وانظر ايضا اسماعيل على سعد ، نظرية القوة : مبحث فى علم الاجتماع السياسى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٨ ٠

التي يمتلكها (أ) ويمارسها على (ب) تتوقف على مدى اعتمادية (ب) على (أ) (١) ٠

من المؤكد أن المحاولات السابقة بدءا بفيبر وانتهاء بتيبوت وكيلى تنظر الى الفرد – دون غيره – عند البحث عن ماهية القوة ، وهو ما يؤكد ما أشار اليه Dornbusch من أن غالبية الاسهامات السابقة تعنى بالقوة باعتبارها سمة تميز الفرد دون الاهتمام بتحديد ماهية الفرد أو الأفراد الذين تمارس عليهم تلك القوة ٠

ويلاحظ Dorbusch أيضا أن كلا من فيبر ودال واميرسون قد توصلوا الى نتيجة كادوا أن يجمعوا عليها ٠ وهى أن الأسس التى تنهض وفقا لها القوة تتنوع بل وتختلف من موقف الى آخر ، وأن نتائج ممارسة القوة تكشف عن انبثاق عدد من المتغيرات تترتب على تلك الممارسة(٢) ٠

ولا شك أنه على الرغم من تأكيد كل من فيبر ودال واميرسون على اختلاف مقومات القوة وأسسها طبقا للنوعية المتميزة لكل موقف ، الا أن اسهاماتهم قد دارت فى فلك السمات الخاصة ، أو فى ضوء القوة فى أبعادها الذاتية ٠

فالرؤية السابقة تنظر الى القوة فى ضوء بعدى القهر (كممثل للقوة) والخضوع كحالة فقدان لمقومات القوة ٠ فبين القهر والخضوع تتكشف السمات الذاتية لكل من مالك القوة باعتبارها مقومات ايجابية Positive ، وغير المالك لها باعتبارها خصائص سلبية Negative ، وهو الأمر الذى يتيح لمالك القوة التأثير ومن ثم ممارسة الضبط والتوجيه والسيطرة على الأفراد الذين يقعون فى دائرة الخضوع ٠ فهل يعنى ذلك أن فيبر ومن تأثر به يمكن اعتبارهم من أصحاب (التفسير الذاتى) للقوة ؟

(٣)

فالواقع اننا لا نستطيع أن نؤكد ذلك تماما ، لاسيما بالنسبة لماكس

---

(١) انظر مجموعة التعريفات السابقة فى : Dornbusch, Ibid, P. 31.

(٢) Ibid, P. 32.

فيبر على الأقل ، حيث يمكننا أن نتشكك فى سيادة التفسير الذاتى للقوة لديه ، خاصة اذا ما وضعنا فى الاعتبار اشاراته المتنوعة الى الأبعاد الاقتصادية Economic Dimensions فى توزيع القوة • ولكن من المؤكد أيضا أن فيبر لم يتجاهل الأبعاد الذاتية فى توزيع القوة ، ولم ينكر فى الآن نفسه الأبعاد المادية الاقتصادية رغم أنه لم يعتمد عليها تماما فى تفسير ظاهرة القوة بدليل اشاراته الى الظروف الاقتصادية باعتبارها غير متماثلة تماما مع القوة بوجه عام ، حيث يمكن أن يكون ظهور القوة الاقتصادية ـ على نحو ما يذهب فيبر ـ نتاجا لنوعية أخرى من الأسس أو المقومات التى تنهض وفقا لها القوة بوجه عام(١) •

ودليلنا على عدم انكار فيبر للأبعاد الموضوعية ـ الاقتصادية هو ما تردد كثيرا فى نظريته الاجتماعية العامة والتى فسر من خلالها نشأة السلطة Authority (رغم عدم انكاره للأبعاد الذاتية كما سيتضح فيما بعد) ونشأة الأحزاب السياسية Political Parties ، فضلا عن اشاراته المتعددة للبعد الاقتصادى ولموقف السوق فى تحديد الموقف الطبقى Determination of Class - Situation by market ، حيث يشير الى عدد من الأبعاد التى تحدد مفهوم الطبقة كما يتصورها ، حيث يرى أن من بين مقومات نشأة الطبقة الاجتماعية بعد المصالح الاقتصادية Economic Interests التى يتضح فيما يملكه الفرد من جهة وفرص حصوله على الدخل من جهة أخرى(٢) •

فمن العسير اذن أن ننظر الى فيبر باعتباره من أصحاب الرؤية الذاتية الخالصة فى تفسير ظاهرة القوة ، ولا يمكن أيضا أن نتعامل معه باعتباره من غلاة المؤيدين للنزعة الاقتصادية فى تفسير القوة ، ففيبر اذن يمكن النظر اليه باعتباره من أصحاب (الرؤية الثنائية) فى تفسير ظاهرة القوة ، وليس من أصحاب (الرؤية الاحادية) ، وهى الرؤية التى يمكن ارجاعها الى الماركسيين الكلاسيكيين الذين يمثلون المدخل الاقتصادى أو المادى فى تفسير ظاهرة القوة •

---

(١) Gerth and Mills, From Max Weber, Essays In Sociology, P. 180.

(٢) Ibid, P. 181.

وتتعدد التعريفات وتتنوع مداخل دراسة القوة(١) منـــذ فيبر صاحب الرؤية الثنائية حتى السير رايت ميلز Mills الذى حاول أن يقدمتحليلا لظاهرة القوة فى ضوء طبيعة المجتمع العام ككل ومن خلال تصوره عن القوة باعتبارها ممارسة من قبل جماعة صغيرة نسبيا تتسم بالقدرة على التأثير على الآخرين ولقد حـــدد ميلز مجالات التأثير هذه فى : الصناعة والحكومة والجيش وهى ما أسماها ميلز بصفوة القوة The Power Elite ، وهى القضـــية التى سوف نعرض لها باختصار عند الحديث عن العلاقة بين الزعامة السياســية والصفوة(٢) • فمنذ فيبر ثم ميلز ومن جاء بعــدهما كبيتــر بلاو Blau وأتزيونى Etzioni وبوتومور Bottomore من أصحاب الرافد الغربى ، كذلك ماركس والمـاركسيون التقليديون والمحدثون ، لم نلحظ جديدا يمكن أن يضاف الى ما اسهم به الرواد الأوائل فى مجال القوة(٣) •

(٤)

ولمــا كان هذا العرض النظرى ليس محض ترديد للتراث ، بل هو بمثابة تمهيد لدراسة الزعامة السياسية المصرية فى ماضيها وحاضرها ، فان ما يهمنا من مجموعة المفاهيم المرتبطة بظاهرة الزعامة هو فيما يمكن أن تسهم به هذه المفهومات من تقديم فهم أعمق وأشمل لظاهرة الزعامة السياسية المصرية •

وهنا نتساءل هل يمكن أن نعتبر الزعامة السياسية شــكلا من أشكال القوة ؟ وان كانت كذلك فالى نمط من أنماط القوة تنتمى الزعامة السياسية ، هل هى القوة الاقتصادية كما يدعى المـاركسيون ؟ أم هى قوة يمكن ارجاعها الى قدرات خاصة تميز جماعات معينـة (الصفوة) وتمكنهم من السيطرة على

---

(١) ارجع الى نبيل السمالوطى ، مرجع سابق ، صص ٧٥ ــ ٧٨ ، حيث يشير الى اربعة مداخل لدراسة القوة هى : المدخل الاقتصادى أو المـادى ، مدخل المنصب ، مدخل اتخاذ القرار ، والمدخل الذاتى او مدخل السمعة • كذلك انظر : فاروق يوسف احمد ، القوة السياسية : اقتراب واقعى من الظاهرة السياسية ، مكتبة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، صص ٩ ــ ٣١ •

(٢) يمكن الرجوع الى تفاصيل نظرية صفوة القوة فى : Mills, C. Wright, The Power Elite, Oxford Univ. Press, 1959.

(٣) يمكن أن نذكر فى هذا دراسة محدودة قدمها ابرامسون وزملاؤه :
Abramson, E., etal, Social Power and Commitment : A Theoretical Staterment, American Sociological Review, Fabr., 1958 Vol. 23. No. I.

جماع النشاطات الاجتماعية ، ومن ثم التأثير على الآخرين ، كما يرى كل من موسكا Mosca وميتشلز Michels ، أم أنهـــا قوة لا يمكن أن ترجع أصولها الى مصــــدر بعينه على نحــــو ما يذهب Bierstedt بل تتسم بالتعدد ، حيث تتنوع بين أسباب اقتصادية (كالملكية والدخل) وأخـرى غير اقتصادية كالسلطة السياسية الرسمية ، والسيطرة على وسائل القمـع كالشرطة والجيش والهيمنة على وســائل الاتصــال والمعلومات كالمخابرات والصحافة والاذاعة الى جانب السيطرة على المعارف والفكر والرأى(١) ٠

فمن أى مصدر من مصادر القـــوة تستمد الزعامة السياسية المصرية مقوماتها ؟ هل هــو مصدر اقتصادى ، أم مصــــدر سلطوى رسمى ؟ أم هى مصادر ذاتية تتعلق بسمات مميزة للزعيم وقدرات أو ملكات يتفرد بها ؟ أم أن الزعامة السياسية المصرية تتميز بخصوصية مصادر القوة ، بحيث تتفرد بنوعية خاصة وماهية متميزة للقوة ؟ وهو الأمر الذى سوف تكشف عنــــه دراستنا لنماذج من الزعامات السياسية المصرية فى الماضى والحاضر ٠

وعلاقة الزعامة بالقوة يمكن الكشف عنها من خلال مجموعة من المظاهر يتجلى أولها فيما يمكن أن تلعبه القوة من أدوار ووظائف داخل الجماعة والتى تتحدد أولا فى تعيين مجموعة الاهداف التى تصبو الجماعة الى تحقيقها وثانيا تشييد بناء له معالمه وحدوده وقيمه ومعاييره التى يمكن أن تحقق الاهداف من خلالها ، وثالثا حماية هذا البناء وتدعيمه ، ومن الملاحظ أن غالبية اسهامات علماء الاجتماع يركزون على الوظيفة الأخيرة باعتبارها أكثر المظاهر ارتباطا بظاهرة الزعامة ، ويرى Tannebuim أن بعض علماء الاجتماع ينظرون الى الزعامة أو القيادة باعتبارها القوة التى تضمن للجماعة التماسك والتكامل وأنها القوة التى تدافع عن الجماعة من التهديدات التى يمكن أن تتعرض لها سواء من الداخل أو من الخارج وأن تخفف ــ بقدر الامكان ــ من مظاهر التحلل والصراع ٠

ويرى Tannebuim أن الرؤية المحافظة فى تناول ظاهرة القـوة فى علاقتها بالزعامة أو القيادة قد تكشفت من خلال مجموعة النظريات الكلاسيكية المحافظة التى أولت اهتماما خاصا للقيادة باعتبارها قوة تعمل على الحفـــاظ

---

(١) انظر تفاصيل ذلك فى : نبيل السمالوطى ، مرجع سابق ، ص ٧٩ ٠

على الانساق الاجتماعية أكثر من اهتمامها بالقيادة أو الزعامة كقوة يمكن ان تعمل على تغيير المجتمع(١) ٠

ورغم هذه الرؤية المحافظة فى النظر الى القيادة أو الزعامة فى علاقتها بالقوة ودورها فى المجتمع يذهب Tannebium الى أن هناك عددا من الاسهامات تنظر الى القوة أو الى الزعامة كتجسيد للقوة بمنظور اكثر راديكالية ، ومن هذه الاسهامات ذلك الاسهام الذى قدمه كل من هاربسون Harbison وماير Myers فى نطاق مناقشاتهم حول الزعامة ، حيث نظروا الى الزعماء باعتبارهم بناة للتنظيم Organization builders وقادة للتجديد Innovation أكثر من كونهم حفظة للاستقرار أو التكامل(٢) ٠

والزعماء كقوة مجددة أو كقوة للبناء والتغيير وفقا للرؤية غير الكلاسيكية تتكشف أبعادها بصورة أوضح لدى المجتمعات التى أصابت قدرا كبيرا من الرقى والتقدم ، وهى الزعامات التى تتسم بقدرتها على خلق أهداف جديدة للمجتمع وابداع بناءات تتناسب وطبيعة هذه الاهداف ، فضلا عن قدراتهم الخاصة على صياغة طاقم من القيم الاجتماعية الجديدة(٣) ٠

ومن منطلق القوة يعرف Tannebuim الزعيم بأنه شخص متميز Distinguished عن الآخرين فيما يملكه من قوة ، ومكانة ، ورؤية خاصة وفى عدد آخر من سماته الخاصة كالحسم والشجاعة والتكامل والذكاء(٤) ٠

(٥)

ولقد أتخذ مفهوم الزعامة كتعبير عن القوة ، فى القرن العشرين أبعادا حديثة ، حيث أضحت الزعامة كأحد محاور اهتمام الفكر الاجتماعى والسياسى فى هذا القرن تعنى القدرة على حل المشكلات التى تنجم عن سيادة القوى

---

(١) Tannebuim, Arnold, S., Leadership (Sociological Aspects) International Encyclopedia of Social Scienc, P. 101.

(٢) Ibid, P. 102.

(٣) [illegible]

(٤) Ibid, P. 105.

السياسية فى هذا القرن تعنى القدرة على حل المشكلات التى تنجم عن سيادة القوى السياسية المتطرفة والقاصرة أو العاجزة ، حيث تظهر الزعامة ـ على نحو ما يرى Lester Seligman ـ لمواجهة الحركات الايديولوجية التسلطية كما هو الحال فى الحركات الفاشستية والشيوعية التى ظهرت خلال الأنظمة الصناعية الغربية ، أو لتقديم العلاج للأدواء التى يمكن أن تترتب على سيادة الأنظمة الغربية الديمقراطية التعددية ، والتى تعد ظاهرة اللاحركية أو التوقف Immobilism أحد مظاهرها الباثولوجية ، وهو الأمر الذى يتطلب زعامة تنفيذية قادرة على تحقيق الأهداف القومية ، وهو ما ظهر بجــلاء فى فرنسا على يد شارل ديجول Charles De Gaulle(١) ٠

ويذهب Seligman الى أن الزعامة كقوة يمكن أيضا أن نتعرف عليها خلال نموذجين سياسيين ، النموذج الأول خاص بالبطل القومى National hero كتجسيد أو كتعبير عن الارادة العامة "General Will" أو المصلحة العليا Higher Interest للأمة ، والذى يعتبر شارل ديجول أحد ممثلى هذا النموذج ٠ أما النموذج الثانى فهو خاص بما أسماه Seligman بالوسيط السياسى Political Broker أو ذو القدرة الفنية على الصياغة التركيبية أو التوليفية لعلاقات المجتمع كما هو الشأن مثلا بالنسبة لفرانكلين روزفلت Roosevelt الذى كان يعتبر أحد الخبراء الاداريين المهرة فى احتواء الاهتمامات والمصالح الخاصة بالشعب الامريكى فضلا عن صفته كأحد بنــاة الائتلاف السياسى (٢) ٠

ويظهر النموذج الأول كقوة (البطل القومى) عندما يتعرض الاتفــاق القومى للحرج ، بينما تظهر قوة النموذج الثانى (الوسيط السياسى) على نحو ما يذهب Seligman كحاجة ضرورية لادارة الصراعات التى قد تتخلق فى المجتمع(٣) ٠

---

(١) Seligman, Lester, G, Leadership (Political Aspects), International Encyclopedia of Social Science, edited by Sills David, P. 107.

(٢) Ibid, P. 107.

(٣) Ibid, P. 107.

وهنا نتساءل اين تقع زعاماتنا المصرية على هذين الطرفين ، هل هى زعامات تتسم بالبطولة القومية ؟ أم أنهم كانوا مجرد وسطاء سياسيين ؟

(٦)

ثم يأتى مفهوم السلطة Authority باعتباره من المفهومات وثيقة الصلة بظاهرة الزعامة السياسية . والسلطة السياسية الرسمية تعد أحد مظاهر القوة أو أحد مصادر القوة كما أشرنا ووفقا لما كشف عنه التراث النظرى لظاهرة القوة .

ولكن ما هى العلاقة بين الزعامة السياسية والسلطة ؟ بمعنى هل الزعامة السياسية يمكن أن ننظر اليها باعتبارها سلطة بمعناها الشرعى أو الرسمى ؟ وهل ترتبط الزعامة السياسية أساسا بالمنصب السلطوى الرسمى الذى يشغله الفرد ؟ وهل يمكن أن يستمد الزعيم السياسى قوته من طبيعة السلطة الرسمية التى يتمتع بها والتى تتيح له حق اصدار الأوامر والقرارات ؟ أم أن الزعامة السياسية لا ترتبط أساسا بالسلطة الرسمية ، أو ما يمكن تسميته بمبدأ الشرعية Legitimacy على نحو ما كذهب ماكس فيبر عند تحليله لظاهرة السلطة الكارزمية أو الالهامية Charismatic Authority

وموقع الزعامة السياسية من السلطة كانت أحد القضايا التى أثارت انتباه الباحثين فى علم الاجتماع السياسى ، فمنهم من ينظر الى الزعامة باعتبارها سلطة سياسيةرسمية كسيلجمان Seligman عند عرضه لنموذجى البطل القومى والوسيط السياسى ، ومنهم من ينظر الى الزعامة أو القيادة باعتبارها ظاهرة تتخذ مظاهر ثلاثة أساسية فى علاقتها بالسلطة هى الزعامة أو القيادة ذات السلطة التقليدية Traditional والثانية زعامة ذات نمط سلطوى عقلانى أو رشيد Rational وثالثة زعامة يغلب عليها الطابع الكارزمى أو الالهامى Charismatic . والنمط الأول يمثل السلطة التقليدية كما تتمثل فى الأب ورجال الدين وشيوخ العشائر وكبار السن ، بينما يمثل النمط الثانى السلطة بصورتها الرسمية والتى تقتصر على رؤساء الدول (ملوكا كانوا أم رؤساء للجمهوريات أو الحكومات) والتى تستمد قوتها من مبدأ الشرعية .

أما النمط الثالث ونعنى به الزعامة الالهامية ، فهى لا تحتاج ـ كما

يذهب فيبر ـ الى الشرعية بصورتها الرسمية ، فصاحب السلطة الكارزمية الالهامية يعتمد (فقط) ـ وكما يؤكد فيبر ـ على قوة شخصيته ، فهو لا يعتمد فى سلطته على القواعد أو القوانين ، وهو يدعم سلطته من خلال البرهنة على قوته فى الحيـــاة ، فاذا أراد أن يكون نبيـــا Prophet فعليه أن يأتى بالمعجــزات miracles واذا أراد أن يكون قائدا للحرب فينبغى أن تتوفـر لديه مقومات أو صكوك البطولية heroic deeds (١) ٠

فالقائد أو الزعيم الالهامى هو زعيم (الموهبة الخاصة) ، وهو ما يذكرنا بالأبعاد الذاتية التى أشار اليها فيبر عند حديثه عن ماهية القوة ومقومات بنائها ٠ وسلطة هـــذا القائد ، سلطة تستمد مقوماتها من سماته وقدراته المميزة وليس من خلال قواعد الشرعية وقوانين السلطة الرسمية ٠

فواضح أن فيبر اذن لا ينظر الى الزعامة فى علاقتها بالسلطة باعتبارها مظهرا واحـــدا فقد يكون زعامة رسمية أو زعامة كارزمية ، بل ان أشـــكال الزعامات لديه تتعدد ، بتعدد صور السلطة وأشكالها ٠ ولكن ما لم يوضحه فيبر هو ألا يمكن أن يجمع الزعيم بين صفاته الكارزمية ووضعيته الشرعية أو الرسمية ؟

(٧)

والزعامة الكارزمية ـ على نحو ما يؤكد كل من بـــن Benn وبيترز Peters ، وعلى نحو ما يمكن أن نستخلصه من أفكارهما يمكن أن نجمع بين السلطة الرسمية من جهة وممارسة القوة خارج نطاق الشرعية من جهـة أخرى ، ودليلنا على ذلك أنهما فى مناقشاتهما التى دارت حول الأسس الدينية والميتافيزيقية للســـلطة والالتزام أكدا على أن الزعامة الالهامية هى زعامـة تتسم بالغموض وترجع الى ما كان يتمتع به الملوك من حقوق (الهية) ، وهو الأمر الذى ناقشه كل من بوسيه Bossuet وجيمس الأول فى بحثهما عن الصفات التى تميز الملوك عن غيرهم من الأفراد العاديين ٠ ثم يقول كل من

---

(١) Gerth and Mills, From Max Weber, PP. 248 - 249.

بن وبيترز أن هذه السمات قد وجدت تجسيدا لها لدى نابليون وهتلر وستالين(١) ٠

فواضح اذن أن النماذج التى أشار اليها الباحثان هى نماذج ذات طبيعية سلطوية ، أى أنها استمدت قوتها من وضعها الشرعى الرسمى ، ولكن مع هذه الوضعية الشرعية يرى العالمان امكانية الجمع بينها وبين السمات الكارزمية التى يتمتع بها الزعيم الذى يؤمن بنجوميته ، وفى أنه جاء كمبعوث أو كصاحب رسالة Man With Mission ، أو ببساطة أنه الزعيم الذى يعتقد فى ذاته ، وفى قدراته ، وفى أن يولد فى اتباعه الشعور بالثقة ، وفى امكانية وصولهم للسلطة(١) ٠

(٨)

والسلطة كمفهوم(٢) لا يعنينا فى ذاته الا من خلال علاقته بظاهرة الزعامة السياسية بوجه عام ، والزعامة السياسية المصرية على وجه الخصوص ، لا سيما فيما أثاره فيبر فى تصنيفه الثلاثى للزعامة فى علاقتها بالسلطة ٠ وما يعنينا من ثلاثية فيبر هذه هو مقولة الزعامة ذات السلطة الرشيدة أو العقلانية والتى تقوم على أساس مبدأ الشرعية أو الرسمية ثم تلك الزعامة ذات الطبيعة الكارزمية أو الالهامية والتى تستمد قوتها لا من السلطة الشرعية بقدر ما تستمده من مجموعة السمات المتميزة التى تتفرد بها تلك الزعامة ٠ **والسؤال هنا هو : اذا افترضنا أن هناك متصلا**

---

(١) Benn, S. I., Benn and Peters, R. S. Social Principles and the Democratic State, George Allen and Unwin, London, 1975, P. 301.

(٢) Ibid, P. 306.

(٢) انظر عرضا وافيا لمفهوم السلطة فى : Dornbusch, San Ford, M., Evaluation & the Exercise of Authority, PP. 37 - 63.

وانظر أيضا : ابراهيم أبو الغار ، نظرية السلطة فى المفهوم الاجتماعى ، فى دراسات فى علم الاجتماع والانثروبولوجيا (تأليف مجموعة من أساتذة علم الاجتماع) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص‌ص ٢٩٧ ــ ٣١٠ ٠

وكذلك انظر : نبيل السمالوطى ، مرجع سابق ، ص‌ص ١١٣ ــ ١٣٩ ، حيث يشير الى المداخل الاساسية لدراسة قضية السلطة فى علم الاجتماع ، وهذه المداخل ، هى : المدخل الفلسفى ، والمدخل السياسى ، والمدخل السوسيولوجى ، كما يعرض لمفهوم السلطة والمفاهيم المرتبطة به ، ويطرح تفسيرا لاسباب الخضوع للسلطة وللعلاقة بين بناء القوة والقيادة السياسية ٠

Continuum ذا بعدين ، يمثل طرفه الأول الزعامة ذات الصفة الشرعية أو الرسمية ، بينما يمثل طرفه الآخر الزعامة ذات الطبيعة الكارزمية الالهامية ، فأين تقع الزعامات السياسية المصرية على هذا المتصل أى بمعنى أى الزعامات أقرب الى الشرعية ؟ وهل يحق لنا ـ عندئذ ـ أن نطلق عليها اصطلاح زعامة؟ ثم أى الزعامات أقرب الى الكارزمية وهل تكفى السمات الكارزمية وحدها لخلق الزعيم السياسى ؟ ثم أخيرا ما هى الزعامات السياسية المصرية التى جمعت بين الشرعية والالهامية ؟

ثانيا : الزعامة السياسية وعلوم الانسان والمجتمع

(١)

كشف لنـــا الطرح النظرى المحدود(*) عن أن مفهوم الزعامة السياسية غير منبت الصلة على الاطلاق بعدد من المفاهيم الأخرى كمفهوم القوة والسلطة، وهو أمر يكشف عن مدى التداخل بين المفهومات الثلاثة ، ولقد آثرنا أن يكون عرضنا السابق فى خدمة دراستينا التاريخية والميدانية عن الزعامة السياسية المصرية ، محاولين اختبار بعض مقولات التنظير التى أشرنا اليها ٠

ومن المؤكد أن العرض السابق قد كشف أيضا عن جهد متصل للمفكرين والعلماء فى دراسة قضايا القوة والسلطة والقيادة أو الزعامة ، ويؤكد فى الآن نفسه صفة المشاعية الاصطلاحية من جانب ومشاعية التناول من جانب آخر٠ وتتكشف مشاعية التناول فى أنه على الرغم من أن غالبية المنظرين الذين أشرنا اليهم ممن ينتمون الى علم الاجتماع وعلم السياسة وعلم الاجتماع السياسى الا أنهم قد استعانوا بعدد من مفاهيم علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعى والاقتصاد فى تفسير ظاهرتى القوة والسلطة ٠

ومن مظاهر مشاعية التناول أن الاهتمام بظاهرة الزعامة السياسية لم يكن قاصرا على علماء الاجتماع أو السياسة أو علم الاجتماع السياسى أو بعض علمـــا النفس الاجتماعى ، بل تجـــاوزه الى المؤرخين الاجتماعيين والسياسيين الذين اهتموا برصد حركة الشعوب ومسارات تاريخها ، ووقفوا على سير الأمم والمجتمعات ٠

---

* نعنى بالطرح النظرى المحدود اننا لم نعرض لكل التراث النظرى والفكرى الخـاص بظاهرتى السلطة والقوة ، بل اشرنا الى ملامحه العامه وأهم مقولاته ، مستخدمين كل هذا فى خـدمة مؤلفنـا عن الزعامة السياسية المصرية بشقيها التاريخى والآنى ٠ والمؤلف على أية حال ليس مؤلفا تنظيريا مدرسيا ، بل هو دراسة لقضية خاصة من قضايا علم الاجتماع السياسى ، ولقد أحلنا القارىء الى بعض القراءات الهامة التى نعتقد فى اهميتها وفى قدرتها على اعطائه رؤية تنظيرية أوسع وأرحب ٠

وللمؤرخين مناهجهم وطرائق دراساتهم التى تميزهم عن غيرهم من المهتمين بقضايا الانسان والمجتمع ، وان كان هذا لا ينفى ما يمكن تسميته بالتساوق المنهجى بين التاريخ وعلم الاجتماع وعلم الاجتماع السياسى ٠ ورغم هذه الاعتمادية المنهجية فلقد تميز المؤرخون فى تناولهم لظاهرة الزعامة السياسية ولكنه كان تناول المؤرخ الذى قد يعنى برصد الظاهرة تارة ، وبمحاولة تحليلها وتفسيرها تارة أخرى ، وما بين الرصد ومحاولة التفسير تتأرجح محاولات المؤرخين بين البساطة والعمق ٠

ومن المؤكد أنه من العسير أن ينفصل المؤرخ ـ شأنه شأن كل المتعاملين مع المعطيات الانسانية ـ عن ذاته وعن ايديولوجيته بمظاهرها السياسية والحزبية والطبقية والثقافية ٠٠٠ الخ ، والتى قد تلعب دورا حاسما فى عملية تقويمه للزعامات السياسية ، ولأى ظاهرة أو واقعة سياسية وتاريخية ، وخاصة وأن الزعامة السياسية من القضايا التاريخية الخلافية التى تصطرع بشأنها الآراء ، وهى تعد من الظواهر التى يكون للأبعاد الحزبية السياسية والطبقية دورها عند صياغة (صورة) الزعيم و (ماهيته) كما يطرحها المؤرخ أو يتناولها الباحث ٠

ومن هذا المنطلق اختلف المؤرخون فى تقويمهم للزعامة والزعماء ، ففى الوقت الذى ينظر فيه بعض المؤرخين الى نابليون أو هتلر أو موسولينى أو ستالين أو جورج واشنطون ، أو أحمد عرابى أو مصطفى كامل ٠٠٠ الخ باعتبارهم زعماء سياسيين يرى فيهم البعض نماذج لأصحاب السلطة ، أو يرى آخرون فى (بعضهم) مجرد (مهيجيين سياسيين) ، يفتقدون (حس) الزعامة ومقومات الزعيم ٠

(٢)

ولعل هذا التباين فى تقويم الزعامة والزعماء قد يرجع ـ وكما أشرنا ـ الى الاختلاف النسبى فى الرؤى السياسية والحزبية والطبقية للمؤرخ ، وقد يرجع أيضا الى اختلاف طبيعة (المعيار) أو المعايير التى يقيس من خلالها المؤرخ طبيعة الزعامة ، ويحلل وفقا لها نماذج الزعماء ، وهو الأمر الذى يتكشف من خلال مجموعة الدراسات والبحوث التى قدمها المؤرخون سواء فى الغرب أو فى الشرق عن الزعامة والزعماء ٠

والزعامة السياسية المصرية قد شغلت نفرا غير قليل من المؤرخين المصريين وغير المصريين ، وهو اهتمام قد انعكس على هذا الكم الهائل من الدراسات والبحوث التاريخية • وما يهمنا فى الواقع هو أن نؤكد أن الاهتمام بظاهرة الزعامة السياسية لم يكن قاصرا على علماء السياسة والاجتماع ، وعلماء الاجتماع السياسى ، فضلا عن علماء النفس الاجتماعى ، بل ان ذات الظاهرة قد نالت قدرا كبيرا من اهتمام المؤلفين باختلاف انتماءاتهم الايديولوجية والفكرية •

والتساؤل هنا : اذا كان المؤلف الراهن يعنى بدراسة ظاهرة الزعامة السياسية المصرية فى ضوء مقولات علم الاجتماع السياسى ومن خلال البعدين التاريخى والبنائى ، واذا كنا قد أكدنا على الدور الذى لعبه المؤرخون فى رصد ظاهرة الزعامة السياسية ، فان ما يهمنا أيضا أن نكشف عن الجهد الذى بذله المؤرخون المصريون ـ وغيرهم ان أمكن ـ فى دراسة هذه الظاهرة ، **والى أى حد انعكست انتماءاتهم الايديولوجية بروافدها المختلفة عند تقويمهم للزعامة والزعماء ؟ •**

المبحث الثاني

الزعامة السياسية بين الديموقراطية الحزبية والأوتوقراطية الشمولية

(١)

أثارت قضية الزعامة السياسية فى علاقتها بصيغ الحكم وأشكاله أو فى علاقتها بطبيعة النظم السياسية ، لا سيما فى علاقتها بالنظامين الديمقراطى Democratic System والأوتوقراطى Autocratic System جدلا بين المتخصصين فى علم الاجتماع السياسى ونقاشا بين المهتمين بقضية الزعامة السياسية فى علاقتها بالسياق الاجتماعى والسياسى Social and Political Context للمجتمع ·

وعرضنا الراهن لهذه القضية يسعى الى الاجابة عن مجموعة من التساؤلات يمكن تحديدها فيما يلى :

١ ـ ما طبيعة المناخ السياسى والاجتماعى الذى يتيح للزعامة السياسية البزوغ والانبثاق ؟ أو بصورة أكثر تحديدا هل تلعب الديمقراطية بصورتها الحزبية دورا فى تخلق الزعامة وتفريخ الزعماء ؟ وهل من الممكن أن ننظر الى خصائص الديمقراطية وسماتها باعتبارها أحد المقومات التى تنهض وفقا لها الزعامة السياسية ؟

أم أنه يمكن القول ان ظروف المجتمع الاوتوقراطى الفردى ، و (أزمة) الحكم الشمولى تعد مناخا ملائما لظهور الزعامات السياسية ، على اعتبار أن الزعامات تعتبر ـ حينئذ ـ أحد مظاهر (الخلاص) من سلبيات هذا النظام ؟

٢ ـ ويثير التساؤل السابق ، تساؤلا آخر هو : هل تعد الزعامة السياسية ـ باعتبارها ظاهرة سياسية ذات أبعاد مجتمعية ـ انعكاسات لديناميات الواقع السياسى والاجتماعى والاقتصادى للمجتمع ؟ أم أنها تعد من الظواهر المستقلة التى تظهر أو تنبثق بصورة تلقائية عفوية بغض النظر عن متغيرات البناء الاجتماعى والسياسى ؟

٣ ـ بمعنى آخر : هل الزعامة السياسية ـ بصرف النظر عن سمات

الزعيم ـ زعامة (موقف) ؟ أو زعامة (أزمة) ؟ وهل يتناقض هذا مع الهامية الزعامة ؟ وهل يؤكد هذا ما ذهب اليه الماركسيون من أن ظروف اللامساواة والتناقض الطبقى هى التى تعمل على خلق الزعامة السياسية ، انطلاقا مما أكده ماركس من انه ليس للفرد ـ أى فرد ـ وجود حقيقى خارج بيئته أو محيطه ؟

٤ ـ ثم أين تقع الزعامات السياسية المصرية فى ماضيها أو حاضرها وسط هذا الكم من التساؤلات ؟ بمعنى هل انبثقت تلك الزعامات المصرية فى ظل (أزمة) الحكم المطلق ؟ أم أنها تخلقت فى ظل الديمقراطية الحزبية ؟

ثم ما هو الدور الذى لعبته الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية بوجه عام فى توليد الزعامات المصرية وانبثاقها ؟ ثم الى أى حد اتسقت الهامية الزعيم ـ ان وجدت ـ مع الظروف الموضوعية للمجتمع المصرى ؟

٥ ـ ثم أخيرا : ما هو موقف الزعامة السياسية من الديمقراطية كصيغة أو كمبدأ ؟ بمعنى هل الزعامة السياسية بطبيعتها تستوجب الأخذ بالمبدأ الديمقراطى فى قيادة حركة الشعوب ؟ أم أن المبدأ الاستئثارى والديكتاتورى هو أنسب الصيغ واكثر الاساليب ملاءمة لمثل هذه النوعية من القيادات ؟

(٢)

والواقع اننا لسنا فى معرض التأصيل النظرى لكل من النظامين الديمقراطى والاوتوقراطى ، أو فى مجال المقارنة التفصيلية بين خصائص كل من الصيغتين ولكن ما نحرص عليه حقيقة هو تلك المقولات الاساسية التى تميز كل نظام عن الآخر(*) .

(*) للاطلاع على تفاصيل التمايزات القائمة بين النظامين الديمقراطى والاوتوقراطى انظر على سبيل المثال : محمد كامل ليلة ، النظم السياسية : الدولة والحكومة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

كذلك انظر : لاسكى ، الحرية فى الدولة الحديثة ، ترجمة احمد رضوان عز الدين ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٦ .

وكذلك : Chumpeter, Joseph, Capitalism and Democracy.

وانظر أيضا :

Padover, Saul, K., The Meaning of Democracy ; Lancer Books, New York, 1968. =

ودون التعرض لتفاصيل هـــذه المقولات نؤكد أن النظام الديمقراطى يعنى ـ كما يذهب كيلسين Kelsen ـ مشاركين المحكومين فى الحكم كما أنه يعنى أيضا الحـرية · والديمقراطية كصيغة للحكم ترجع أصـــل السلطة السياسية الى مصدرها الأساسى وهو الارادة العامة للأمة ، أى أن السلطة لا تكون شرعية Legitimate الا اذا كانت وليدة ارادة الأمة ·

فالتأكيد على سـيادة الشعب ، وعلى أن الأمـــة هى مصدر السيادة ومستودعها ـ على نحو ما تذهب المـادة الثالثة من اعلان حقوق الانســـان كما أعلنته الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ـ يعد من أهم السمات الديمقراطية ، فضلا عما يراه روبرت ميتشلز Michels من أن الديمقراطية نظام للحكم يجعل كل المواطنين متساويين أمام القانون ، وهى تمنح كل فـــرد فرصـة الصعود الى قمة التدرج الاجتماعى ··· وتلغى كل امتيازات الميلاد ، وتخلق الرغبة فى المجتمع الانسانى ، وفى أن الصراع من أجل التفوق ينبغى أن يتقرر ـ فقط ـ وفقا للقدرة الفردية(١) ·

ويؤكد توكفيل Tocqueville أن الديمقراطية قد وجدت لـكى تحقق الحرية السياسية Political Liberty ، وبدون المشاركة الشعبية فى ممارسة القوة لا يمكن أن تتحقق الديمقراطية(٢) ·

والى جانب المشاركة الشعبية والحرية السياسية تتسم الديمقراطية كصيغة غربية للحكم بثلاث سمات أساسية هى : أنها تعنى حكم الاغلبيـة بمعنى ـ وكما يشير اريش Irish ـ أن تكون هناك حرية فى اختيـــار الافراد الذين يضعون السياسات العامة ، بينما تشير السمة الثانية الى حرية

= وكذلك : Kelsen, Hans, Foundation of Democracy, **Ethics** : An International Journal of Social, Political and Legal Philosophy, Vol. LXVI, No. I, October, 1955.

(١) Michels, Robert, Political Parties : Asociological Study of the Oligarchical Tendencies of Modern Democracy, The Free Press, New York, 1966, P. 41.

(٢) Aron, Raymond, Main Currents In Sociological Thought I, translated by Richard Howard and Helen Weaver, A Doubleéay Anchor Books, New York, 1968, P. 241.

المعارضة Dissent، بمعنى أن الديمقراطية تمنح الرأى الآخر الفرصة لكى يعبر عن وجهات نظره بحرية وبدون قيود أو عوائق ٠ أما السمة الثالثة فتشير الى أن الديمقراطية لا تنهض الا من خلال نظامى الاحزاب السياسية ، والانتخابات الحرة ، حيث تساعد الأحزاب السياسية المواطنين على تحقيق عملية الضبط والمراقبة على حكومة الاغلبية التى تولت الحكم كنتيجة للانتخابات الحرة(١) ٠

(٣)

أما الاوتوقراطية ، أو بمعنى أدق الديكتاتورية الشمولية ، أو ما أسماه افلاطون بالنزعة الاستبدادية فى الحكم وما أشار اليه توماس الأكوينى فى رسالته عن النظام الملوكى أو الملكية On Kinship ٠

والاوتوقراطية أو النزعة التسلطية فى الحكم أحيانا ما توصف بأنها الديمقراطية المقمعة Oppressed Democracy كما يسميها هيرمنز F. A. Hermens، أو أنها الديمقراطية بوضعها المقلوب أو المعكوس Inverted Democracy كما يصفها فيريرو Ferrero (٢) ٠

ويعتبر النظام الديكتاتورى ـ على نحو ما يذهب محمد كامل ليله ـ من أبرز مظاهر الحكم الفردى ، حيث تتركز السلطة فى يد فرد واحد هو الديكتاتور ٠ وللنظم الأوتوقراطية الديكتاتورية عدد من السمات لعل من ابرزها أن هذا النظام يقدم المجموع على الفرد ، فيكون الفرد مسخرا لخدمة الجماعة ، وتفرض عليه الواجبات قبل أن تمنح له الحقوق ، وحياته رهن اشارة الدولة ولا يتصرف فى أمواله الا وفق مقتضيات الصالح العام ، والحاكم الدكتاتورى هو الذى يحدد المقصود بالصالح العام(٣) ٠

وموقف النظم الاوتوقراطية الديكتاتورية من قضية الحرية تتكشف

---

(١) Irish, Mariand, The Politics of American Democracy, PP. 51 - 53.

(٢) Hermans, Ferdinand, A., The Representative Republic, University of Notre Dam Press, Notre Dam, 1958, P. 115.

(٣) انظر : محمد كامل ليلة ، مرجع سابق ، ص ٣٣١ ، وانظر نفس المرجع صص ٣٢٢ ـ ٣٤٠ ، حيث يقدم المؤلف تحليلا وافيا لصور الحكم الفرد المطلق ٠

ببساطة من أن الديكتاتورية كنظام تقضى على حريات الأفراد ، وتخضع كل انواع النشاط الفردى لرقابتها ، فلا تقرر حرية الرأى ، أو حرية الاجتماع أو تكوين الأحزاب السياسية ، ولا تسمح بوجود معارضة فى داخل الدولة ، ولا تسمح الا بقيام حزب واحد يكون سندا للحاكم الديكتاتور فى تنفيذ سياسته(١) .

والنظام الاوتوقراطى الديكتاتورى نظام ينهض على اساس مقولة تقديس الحاكم الديكتاتور ، فهو نظام يعتمد اعتمادا كليا على قوة هذا الديكتاتور ، وسماته الشخصية ، فهو روح النظام وعماده الاساسى ، بحيث أن بقاء النظام أو فناءه يظل مرهونا ببقاء الديكتاتور أو زواله(٢) .

وقد يظهر من سمات الحاكم الديكتاتورى أنه أقرب ما يكون الى الحاكم الكارزمى أو الزعيم الالهامى ، ولكن هل حقيقة أن الصفات الديكتاتورية تتواكب دائما مع السمات الكارزمية ؟ ، وهل الزعيم الكارزمى دائما ـ اذا ما قدر لهأن يحكم ـ يتسم بالاوتوقراطية وبالانفراد بالرأى والاستئثار به ؟ ثم أين تقع زعاماتنا السياسية المصرية من بعدى الكارزمية ـ الديكتاتورية ؟

(٤)

ولعل فى اشاراتنا الى المقولات الاساسية التى ينهض وفقا لها النظامان والاوتوقراطى ما يجعلنا نتساءل : أى من هذين النظامين يعد (التربة الصالحة) لنشأة الزعامات وتخلقها ؟ ومن خلال أى من هذين النظامين يجد الزعيم ذاته وتتحدد ماهيته ؟

لقد وجد كل اتجاه من يؤيده ، ووجدت كل رؤية من يتشيع لها ، فمن قائل بأن الديمقراطية كنظام سياسى تعد التربة الصالحة لتخلق الزعامات السياسية ، ومن قائل آخر بشأن النظام الاوتوقراطى بظروفه الخاصة وأزماته والمشكلات التى تترتب عليه هى التى تعمل على انبثاق الزعامات السياسية وتألقها .

---

(١) انظر : محمد كامل ليلة ، نفس المرجع ، ص ٣٣١ .

(٢) انظر : محمد كامل ليلة ، نفس المرجع ، ص ٣٣٦ .

ويمثـــل فردينـــاند هـــيرمنز Hermens النموذج المشايع للنظــــام الديمقراطى باعتباره المناخ الطبيعى لظهور الزعامات السياسية ، فيذهب الى معرض حديثه عن موقف الزعامة السياسية من الديمقراطية المباشرة وغـير المباشرة ، الى أن الديمقراطية المباشرة Direct Democracy بطبيعتهـــا لا تخلق الزعامات ، بينمـــا يرى أن الظروف الديمقراطيـة غـــير المباشرة Indirect Democracy تعمل على انبثاق الزعامات السياسية ، كما أن هذه الزعامات تلعب ـ بالنسبة للديمقراطية غير المباشرة ـ دورا حاسما فى توجيه الرأى العام Public Opinion .

فظروف المجتمع الديمقراطى ـ حسبما يرى هيرمنز ـ وما يتمتع به هذا المجتمع من حرية هى التى تعمل على تولد الزعامة وتخلقها ، لذلك فان هيرمنز Hermns لا يوافق على الرؤية الماركسية التى تتهم الزعامات السياسية التى تظهر بالمجتمعات الديمقراطية ، على اعتباراتها زعامات غير حقيقيــة ، زعامات طبقية ، خلقتها حالة اللامساواة التى تعيشها المجتمعات الديمقراطية الغربية(١) ٠

فالمـاركسيون ينظرون الى زعامات المجتمعات الديمقراطيــة الغربيــة باعتبارها زعامات بورجوازية طبقية ، وهو ما يرفضه هيرمنز ، حيث يرى أن الزعامة السياسية لا تخلق الا من خلال المجتمع الديمقراطى ، الى الدرجة التى يمكن معها ـ حسبما يذهب هيرمنز ـ تعريف الديمقراطية بانها الحكم عن طـــريق الزعــــــامة Democracy is Government by Leadership حيث تتيح ـ باعتبارها عمليـــة تنافسية ـ لأصحاب المواهب الخاصــة فى الزعامة أن يتالقوا وأن يأخذوا فرصتهم فى الممارسة السياسية القيادية ٠ وهده المزية تنفرد بها الديمقراطية كصيغة للحكم(١) ٠

ويبدو أن هيرمنز يؤمن بامكانية الجمع بين كل من الزعامة السياسية والحكم بصورته الرسمية أو الشرعية ، أو انه يؤمن بأن الحاكم الحقيقى هو

---

(١) Hermans, Ferdinand, A., The Representative Republic, PP. 27 - 28.

(٢) انظر تفـاصيل ذلك فى : Ibid, P. 31.

الحاكم الزعيم ، وهو النموذج الذى لا يمكن أن تخلق صيغة أخرى للحكم غير الصيغة الديمقراطية ٠

ومن هذا المنطلق يميز هيرمنز بين المجتمعات أو الحكومات التى تقوم على أساس مبدأ الزعامة والحكومات التى تقوم على مبدأ الحاكمية Rulership ، فيؤكد بادىء ذى بدء على أن الحكومات الديمقراطية هى حكومات الزعامة ، وما دونها تعد حكومات ذات نزعة حاكمية غير زعامية(٢)٠

ويميز هيرمنز بين كل من حكومات الزعامة وحكومات الحاكمية من خلال مجموعة من الأسس ، يشير فى أولها الى أن حكومات الزعامة عادة ما تتسم بالصفوة أو الجماعة المفتوحة Open Group ، بينما تشكل الصفوة فى حكومة الحاكمية ما يمكن تسميته بالجماعة المغلقة Closed Group ، فصفوة المجتمع الديمقراطى وزعامته غير مغلقة ، بل هى مفتوحة للجميع ، وغير قاصرة على فئة أو عدة فئات دون غيرها(٣) ٠

ثم يعرض هيرمنز لتمايز آخر مفاده أن الزعامة السياسية فى معناها الدقيق تعنى أن هناك تنافسا حرا ، وهو ذلك التنافس الذى يرتبط أساسا بالمجتمعات الديمقراطية ، وهو الأمر الذى تعجز عن تحقيقه المجتمعات غير الديمقراطية ، حيث يتيح النظام الديمقراطى الحزبى ، للتيارات السياسية الحزبية المختلفة الفرصة فى اثبات كفاءة ممثليها من خلال العمليات الانتخابية الحزبية التنافسية ، حيث يلعب الأفراد ذوو الكفاءة أدوارا مميزة داخل بناء القوة Power Structure للمجتمع الديموقراطى ٠

معنى ذلك أن هيرمنز لا يعترف بالزعامة الا من خلال المجتمعات الديمقراطية الحزبية ، بمعنى **أنه لا زعامة بلا حزبية ، أو لا زعامة بلا ديمقراطية** ، لذلك فانه يرى أن مبدأ الزعامة Leadership Principle الذى تبنته النازية قد خلق تناقضا وفوضى بين المفاهيم المختلفة ٠

فالزعامة ــ كما يرى هرمنز ــ لا تتخلق الا من خلال اختيار حر للأفراد، اختيار ينبع من ادراكهم بأن هناك أفرادا يظهرون بصورة تلقائية

---

(١) Ibid, P. 31.

(٢) Ibid, P. 31.

Spontenous ـوذوو سمات خاصة يستطيعون أن ينجزوا ما يعجز عـن تحقيقه الآخرون ، وهم بذلك يختلفون عن هؤلاء الأشخاص المعينون رسميا و (وظيفيا) وبذلك يرى هيرمنز انه لا يمكن التعامل مع هؤلاء باعتبارهم زعماء(١) ٠

(٥)

ويؤكد هيرمنز أن صفوات النظام الحاكمى الخالى من الزعامات تختلف عن صفوات النظام الذى ينهض وفقا لمبدأ الزعامة ، وذلك من حيث طبيعـة هذه الصفوة ومكوناتها ، فضلا عن علاقتها بالمحكومين ٠ ويلاحظ هيرمنز أن صفوات النظام الحاكمى عادة ما تستخدم أساليب قد تصل فى كثير من الاحيان الى حد استخدام القـــوة الفيزيقية (يستشهد فى ذلك بموسيلينى كنموذج للسلطة الحاكمية غير الزعامية) ٠ بينما لا تلجأ صفوات النظام الزعامى الى تلك الأساليب ٠

ولقد وجدت الصفوة الحاكمية غير الزعامية (موسيلينى) ـ حسبما يشير هيرمنز ـ تجسيدا لهـا لدى أعمـال باريتو Pareto واسهاماته عن نظرية الصفوة ٠ ويستشهد هيرمنز بما قاله موسيلينى لكى يؤكد نزعتـــه الديكتاتورية التسلطية عندما تساءل ما هى الدولة ؟ What is the State . حيث أشار الى أنه لا قيمة للقواعد أو العقائد أو القوانين بالنسبة للدولة ، ما دام هناك رجال الشرطة أقوياء يستطيعون من خلال قوتهم الفيزيقية أن يحلوا محل تلك القوانين الفاشلة(١) ٠

ولا ينفى هيرمنز امكانية لجوء الزعامات الديمقراطية لاستخدام القوة الفيزيقية أحيانا للقيام بعملية الضبط على بعض الاقليات الجانحة ، ولـكن هذا الاستخدام للقوة الفيزيقية يعـد استثناءا ، بينما يمثل نفس الأسلوب القاعدة بالنسبة لمجتمعات السلطات الحاكمية ٠

ولكن فى الوقت الذى يؤكد فيه هيرمنز على حتمية انبثاق الزعامات من

---

(١) Ibid, P 31.

(٢) Hermens, Ibié, P. 36.

خلال المجتمع الديمقراطى ، يذهب ميتشلز Michels الى صعوبة اتساق أو التساوق بين الزعامة والاديمقراطية ، لأن الزعامة ـ على نحو ما يذهب ميتشلز ـ عادة ما تتحول الى حكم للاقليـــة أو لاليجاركية ٠٠٠ والزعامة تنبثق عادة ـ فيما يتصور ميتشلز ـ خلال فترات الازمات ، حيث تحتــاج التنظيمات السائدة الى زعامة قوية وضبط دقيق للنظم الاجتماعية للمجتمع٠

ويــرى ميتشلز أن الزعماء هم الذين يصيغون النمط الاوليجاركى من خــلال الطابع الذى يميز شخصياتهم ومن خلال طبيعة الدور الذى ينبغى أن يلعبوه فى المجتمع ٠ وهم ـ أى هؤلاء الزعماء ـ يتسمون بتفوقهم الثقافى والتعليمى ، وهم يشكلون صفوة متميزة(١) ٠

فواضح اذن أن ميتشلز لا يرى تلازما بين الزعامة كظاهرة فى المجتمع والديمقراطية كصيغة للحكم ، بــل انه يرى أن الزعامة هى التى تعمل على خــلق مجتمع الاقليــة ، مجتمع الصفوات المتميزة ، المتسامية ثقافيــا وتعليميــا(٢) ٠

ويسير على ذات المنهج نفر غير قليل من الباحثين والعلماء ، حيث يرون أن الزعامة لا تخلق من خلال المجتمع الديمقراطى ، بل ان الزعامات تنبثــق ـ فقط ـ من خلال أزمة المجتمع الديكتاتورى ، حيث يمثــل الزعماء ـ عندئذ طريق الخلاص من وطأة الحكم الاوتوقراطى ، وليس كما يرى ميتشلز من أن الزعماء هم الذين يشكلون مجتمع الاقلية الحاكمة ٠

وينبغى فى هــذا الصــدد أن نميز بين نوعين من الزعامات : الزعامات الحاكمة وهى التى يخلقها المجتمع الديمقراطى من خلال الانتخابات الحزبية الحرة ، والزعامات السياسية غــير الحاكمة ، وهى التى تنبثق تلقائيا من خلال ظروف المجتمع الاوتوقراطى والتى تتجسد بصورة جلية فى الحركات

(١) نقلا عن : Tannebuim, Arnold, Leadership (Sociological Aspects) International Encyclopedia of Social Science, PP. 102 - 103.

(٢) انظر دراسة هامة عن الزعامات والصفوات الحاكمة فى :
Perrucci, Robert and Pilisuk, Marc, Leaders and Ruling Elites : The Interorganizationl Bases of Community Power, **American Sociological Review,** 1970, Vol. 35, December, PP. 1040 - 1057.

الاجتماعية Social Movements ومنها الثورات مثلا ، والتى ينبغى أن يترتب عليهـــا ـ على نحو ما يذهب هنرى مور Moore ـ تحولا فى نمط الحكم حيث تتحقق الصيغة الديمقراطية الحزبية(١) ٠

ثم علينا بعد ذلك أن نتساءل : هل الثورة ـ وأقصد بها الثورة على الحكم الاوتوقراطى الشمولى ـ تعد المناخ الطبيعى لتولد الزعامات السياسية باعتباره صورة من صور التحديث السياسى Political Modernization

---

(١) انظر عرضا لوجهة نظر مور فى : عاطف أحمد فؤاد ، الحـــرية والفكر السياسى المصرى : دراسات تحليلية فى علم الاجتماع السياسى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ ٠

المبحث الثالث

الزعامة السياسية وظاهرة الثورة

(١)

تعـد المعالجة السسيولوجية لظاهرة الثورة أحـــد محاور الاهتمام فى علم الاجتماع السياسى ، وان كانت الظاهرة باعتبارها حـــركة اجتماعية ليست حديثة النشأة ، ولم يكن الاهتمام بها وبدراستها وليد الظروف المعقدة للعالم المعــاصر(١) ٠

والثورة تختلف فى مضمونها وديناميأتها ونتائجهـا عن ظواهر التمرد Revolt والعصيان المسلح Insurrection والانتفاضـــة Uprising فهذه الظواهر أو الحركات الثلاث ، قد ينظر اليها باعتبارها المظاهر السلبية للثورات ، أو المؤشرات الموضوعية لعدم نجاح تلك الثورات ٠ فالثورة ـ على نحو ما يذهب بيتر كالفيرت Calvert ـ محاولة لتغيير النظام السياسى ، أو أنها حركة ترمى فى نهاية الأمر الى احداث تغيير سياسى فى المجتمع(٢)٠

ويرى كرين برنتون Printon أن الثورة يمكن النظر اليها باعتبارها تلك الاعمال العنيفة التى تقوم بها فجأة جماعة من الناس لانتزاع السلطة من يـد جماعة أخرى فى اقليم ما(٣) ٠ وهى ظاهـــرة يصحبها دائمـا العنف ، فيلكس جروس Gross الى أربعة مستويات هى :

(أ) **الثورة من أعلى :** أى الثورة من القمة وتأتى نتيجة تحرك جماعة من القوات المسلحة بقصد الاستيلاء على القوة السياسية ٠

(ب) **الثورة من أسفل :** أى الثورة من القاعدة ، وهى حركة شعبية غير منظمة فى الاغلب الاعم ٠٠ وهى تحدث عادة نتيجة استياء اجتماعى ومعاناة

---

(١) انظر عرضا وافيا لمفهوم الثورة وتحليلا تاريخيا ونظريا لها فى : السيد الحسينى ، علم الاجتماع السياسى . المفـــاهيم والقضـــايا ، دار الكتاب للتوزيع ، القـــاهرة ، ١٩٨٠ ، صص ٣١١ ـ ٣٦٠ ٠

(٢) السيد الحسينى ، نفس المرجع ، ص ٣١١ ٠

(٣) كرين برنتون ، دراسة تحليلية للثورات ، ترجمة عبد العزيز فهمى ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ، القاهرة ، سنة النشر غير مذكورة ، ص ٤ ٠

ضخمة من قبل الشعب وحصيلة تناقض طبقي وصراع عنيف بين طبقـــات المجتمـــع ٠

(ج) **الثورة المشتركة :** وتعني الاستيلاء المشترك على القوة السياسية وهي نتاج عناصر مشتركة من الثورة من أعلى والثورة من أسفل ٠

(د) **ثورة القصر :** يقصد بها انتقال القوة السياسية بطريق العنف داخل الجماعة الحاكمة نفسها(١)٠

(٢)

والواقع ان عرضنا الراهن لظاهرة الثورة لا يستهدف تحليلا نظـــريا أو عرضا تاريخيا لها(٢) بقدر ما يهدف الى التعرف على (موقع) الزعامة السياسية من هذه الظاهرة ، والكشف عن (دورها) فيها ، فضلا عن محاولة الاجابة عن **التساؤل الآتي : هل تقوم الثورة (كأحد الظروف الموضوعيـــة للمجتمع) بخلق الزعـامات السياسية ؟ أم أن وجـــود الزعامات السياسية سابق على وجود الثورة ؟ وما دور الثورة الا أنهـــا تقوم بعملية تجســيد للزعامة وابراز لدورها ؟ ٠**

ويؤكد التاريخ السياسي للمجتمعات أنه لا ثورة بلا زعامة سـياسية ، سواء أكانت ثورة من أعلى أو من أسفل أو مشتركة ، وسواء بدأت هـــذه الزعامة منذ ارهاصات الثورة وبداياتها الاولى والتمهيد لها ، أو بدأت تتخلق أثناء الثورة التي قد تظهر بصورة عفوية تلقائية ٠ ولعل هذا يكشف عن أن الزعامة ضرورة من ضرورات الثورة ، حيث لا ثورة بلا قائد ذى موهبـــة أو قدرات خاصة ، يدعم الثورة ويقودها ويحدد مسارها ، كما أن للثورة فضلا

---

(١) انظر : ابراهيم درويش ، ظاهرة الثورة كأداة للتغيير الاجتمـــاعي ، مجلة مصر المعاصرة ، العدد ٣٣٩ ، يناير ١٩٧٠ ، ص ١٩٦ ٠

(٢) يؤكد التأصيل النظري لظاهرة الثورة أن هناك أكثر من اتجـــاه فكري ونظري لتحليل هذه الظاهرة منها الغربي الكلاسيكي والاتجـــاه المـاركسي الذي يعيب على النظريات البورجوازية (الغربية) عن الثورة انها نظريات مسطحة ، اذ أنهـــا لا تكشف عن الميكانيزم الحقيقي لكـيفية نشوء الثورات وتطورها ٠

انظر : يوري كرازين ، علم الاجتماع الثورة (سسيولوجيا الثورة) : نظرة ماركسية ، ترجمة شوقي جـلال ، ص ٨ ٠

على الزعيم اذ لولا ظروف انبثاقها لظلت موهبة الزعيم كامنة لا تجد السبيل للتعبير عن قـدراتها ٠

لذلك فانه من أولى الملاحظات التى ينبغى أن تؤخذ فى الاعتبار عنـد نجاح الثورات الديمقراطية على نحو ما يذهب هيرمنز هو حاجة هذه الثورات الى الزعامة السياسية ، وهنا ينبغى أيضا ـ كما ينوه هيرمنز ـ على الزعيم السياسى أن يكافح من أجل التخلص من النماذج السلفية المرتبطة بالماضى ، كذلك يجب عليه أن يتجاوز مصالحه الشخصية ويتخلص منها(١) ٠

وارتباطا بظاهرة الثورة ، فان على الزعيم السياسى ـ حسبما يشـير هيرمنز ـ أن يدرك ادراكا واعيا الوقائع السياسية لعصره ، وأن يحـدد بدقة طبيعة الظواهر أو الوقائع أو النظم التى تستوجب التغيير ، كما عليه أيضا أن يتمثل تجارب الماضى ، وأن يحدد بدقة ما هى المجالات التى يفتقر فيهـا للخبرة والعلم ، فيتزود بهما ، الأمر الذى يمكنه من تحقيق ما يزمع اجراؤه من تغييرات فى المجتمع(٢) ٠

ولما كانت الثورة أحد مظاهر التحديث السياسى Political Modernization فان ظهور الزعماء السياسيين باعتبارهم حاملى لواء هذا التجديد أو التحديث يعـد أمرا ضروريا ـ بل وحتميا ـ فهم يظهرون فى الوقت الذى يشعر فيـه المجتمع ـ على نحو ما يرى هـيرمنز ـ بضرورة تغيـير النماذج الفكرية والسلوكية ، ومن ثم تندلع الثورة ـ بقيادة هؤلاء الزعماء ـ تحقيقا لتـلك الأهـداف(٣) ٠

والمثير للتساؤل حقا فيما يتعلق بتصورات هيرمنز عن الزعامة ، انه فى الوقت الذى أكد فيـه أن الزعامة لا يمكن أن تظهر الا من خـلال مجتمع ديمقراطى ، يقـر ثانية بامكانية ظهور الزعامات السياسية من خلال الثورات ضـد النظم الاوتوقراطية ، فهل يعنى ذلك أن هيرمنز قد تناقض مع نفسه ، أم أنه قد تراجع واعترف بامكانية ظهور الزعامات السياسية من خـلال المجتمعين الديمقراطى والاوتوقراطى ؟ ٠

---

(١) Hermens, The Representative Republic, P. 23.

(٢) انظر : Hermens, Ibid, P. 197.

(٣) Ibid, P. 197.

ولعل الرؤية التى أشار اليها هيرمنز والتى ترى فى الثورة أحد أشكال التحديث السياسى ، قد عرض لها مور Moore فى دراسته عن السياسات التسلطية والتى رأى فى الثورة تحديثا ينبغى أن يصحبه بالضرورة تغيير فى نمط الحكم وفى طبيعة النظام السياسى السائد التى قامت الثورة أساسا للقضاء عليه(١) ٠

وفى نطاق البحث عن ماهية الزعامة السياسية المصرية ينبغى أن نتساءل ٠ **هل للثورات التى اندلعت عبر التاريخ الطويل للمجتمع المصرى دور فى خلق الزعامات السياسية ؟ أم ان الزعامات السياسية المصرية قد تخلق وجودها قبل وجود الثورة ذاتها ؟ ثم هل أستطاع الزعماء السياسيون المصريون أن يقودوا حركة التحديث السياسى التى قامت الثورات المصرية أصلا لتحقيقها ؟ ثم أخيرا هل كان لكل زعيم من زعمائنا السياسيين رؤية أو أيديولوجية خاصة ؟ أم أنها كانت زعامات بلا رؤى أو أيديولوجيات ؟ ٠**

---

(١) انظر عرضا لهذه الدراسة فى : عاطف أحمد فؤاد ، الحرية والفكر السياسى المصرى ، مرجع سابق ٠

المبحث الرابع

الزعامة السياسية والصفوة

(١)

يستمد عرضنا لمفهوم الصفوة أو الصفوات The Elites شرعية انتمائه لقضية الزعامة السياسية مما أشار اليه بعض الباحثين من أنه يمكن النظر الى الزعامات السياسية باعتبارها صفوة من صفوات المجتمع ، قد تكون صفوات عسكرية Military Elites أو صفوات سياسية Political Elites أو صفوات مثقفة Intellectual Elites فما هى *اذن الصفوة أو الصفوات ؟ وكيف يمكن معالجة ظاهرة الزعامة السياسية فى* ضوء نظرية الصفوة ؟ ٠

وتمثل نظرية الصفوة مبحثا هاما من مباحث الدراسة فى علم الاجتماع السياسى(١) وهى ظاهرة وثيقة الصلة بمجموعة المفاهيم التى عرضنا لها قبلا وهى مفاهيم القوة والسلطة والثورة ٠٠٠ الخ ٠

ورغم أن ظاهرة الصفوة ليست حديثة النشأة ، بل ان الاهتمام بها كأحد مصادر القوى الاجتماعية قد شغل عددا كبيرا من الفلاسفة والعلماء والمفكرين منذ القرن الماضى وحتى اللحظة الراهنة وما سبق هذين القرنين من عصور اليونان وعصر النهضة وعصر التنوير ٠٠٠ الخ ٠ ويمكننا أن نقف على عدد من الاسماء اللامعة التى أولت هذه الظاهرة اهتماما خاصا فنذكر باريتو Perto وموسكا Mosca وبوتومور Bottomore والسير رايت ميلز Mills ، وان كنا نجد اهتماما أيضا بدراسة هذه الظاهرة لدى

---

(١) انظر عرضا وافيا لنظرية الصفوة فى علم الاجتماع السياسى فى : بوتومور ، الصفوة والمجتمع : دراسة فى علم الاجتماع السياسى ، ترجمة محمد الجوهرى وزملائه ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٢ ٠ وانظر الفصل الممتاز الذى عرض لنظرية الصفوة فى : محمد على محمد ، دراسات فى علم الاجتماع السياسى ، دار الجامعات المصرية ، الاسكندرية ، ١٩٧٧ ، صص ٣٢٧ ـ ٣٧٥ وكذلك الفصل الذى عقده السيد الحسينى عن الصفوة وبناء القوة فى : السيد الحسينى ، علم الاجتماع ، المفاهيم والقضايا ،صص ٨٥ ـ ١٤٢ ٠

كل من ســــان ســـــيمون Saint Siman وكونت Comte وماركس Marx (١) ٠

والصفوة بوجه عام ـ وكما يراها كل من باريتو وموسكا وميتشلز ـ يمكن النظر اليها بوصفها جماعة أو مجموعة من الافراد يحتلون وضعا متميزا يسمح لهم بممارسة السلطة بشكل مبشر ، أو يكونوا فى وضع يمكنهم من التأثير بقوة على ممارسة السلطة السياسية ٠

ولعل اسهامات كل من باريتو وموسكا وميتشلز يمكن النظر اليهـــا باعتبارها ردود فعل لتأثير النظرية الماركسية وتصوراتها عن طبيعة الطبقـــة الحاكمة The Ruling Class المـــالكة لوسائل الانتاج والطبقـــة المحكومة The Ruled Class غير المـــالكة لوسائل الانتاج ٠ والفكرة الاساسيـــة أو المسلمة الاولى التى تنهض على أساسها نظرية الصفوة كمـــا قدمها كل من باريتو وموسكا تتبلور فى الفكرة التى مؤداها أن الناس يحكمون بواســـطة صفوة ، والصفوة هنا تعنى أن هناك فئة أقل عددا وأقوى سيطرة وأشـــد احتكارا للقوة ، بينما تميل الفئة الثانية (المحكومة) الى كبر الحجم ، الا أنهـــا تخضع لتوجيه الفئة الاولى وسيطرتها ٠ والفئـــة الاولى هى صفوة سياسية وليست طبقة اجتماعية كما يتصور ماركس(٢) ٠

(٢)

ولقد تعددت النظريات التى تناولت ظاهرة الصفوة ، ولقد تشعبت هذه النظريات الى أربـــع اتجاهات رئيسية هى : الاتجاه التنظيمى (موسكا

---

(١) انظر عرضا نقديا لنظرية الصفوة فى :

Dahl, Robert, A Critique of The Ruling Elite Model, **American Political Review,** Vol. LII. june 1958.

وانظر أيضـــا :

Perruci, Robert and, Pilisuk, Leaders and Ruling Elites : **The Interorganizational Bases of Community Power, American Sociological Review**, 1970, Vol. 35, December, PP. 1040 - 1057.

(٢) انظر تفاصيل ذلك فى : فاروق يوسف أحمد ، القوة السياسية : اقتراب واقعى من الظاهرة السياسية ، مكتبة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، صص ٨٢ ـ ٨٣ ٠

وميتشلز) والاتجاه السيكولوجي (باريتو)(١) ، والاتجـاه الاقتصـادى (برنهام) ، والاتجاه النظامى (السير رايت ميلز)(٢) ٠ ولكن ما يهمنا فى واقع الأمر هو موقع الزعامة السياسية هذه الصفوات بوجه عام ، والزعامات السياسية المصرية على وجه الخصوص ؟ بمعنى **هل هناك نمط معـين من الصفوات يمكن أن تنتمى اليها (كل) الزعامات السياسية المصرية ؟ أم أن لكل زعامة سياسية مصرية نوعية خاصة من الصفوات ؟أم أن هناك زعامات مصرية قد جمعت بـ ين نوعين أو أكثر من الصفوات ؟** ، لاسيما وأن هناك اكثر من تصنيف للصفوات ، ففى الوقت الذى يشير فيه بوتومور Bottomore الى تقسيه الثـلاثى للصـفوات (المثقفون والمديرون والبيروقراطيون)(٣) يذهب نادل Nadel الى الأخذ بثلاثية أخرى هى الصفوات الاجتماعية والصفوات المتخصصة والصفوات الحاكمة ، وتضم الصفوة الاخيرة القـادة والزعماء السياسيين للمجتمع ، وهى تستمد سلطاتها من وضعها القانونى ، ولها من النفوذ والقوة ما يمكن أن يفوق ما تتمتع به الصفوات الاخرى من قوة أو نفوذ(٤) ٠

ويشير محمد على محمد الى نماذج من الصفوات استقاها من النظـرية العامة للصفوة كما قدمها بوتومور ، وهذه النماذج هى : الصفوة العسكرية Military Elite والصفوة المثقفة Intellectual وتضم فئـة الفنانين والعلماء والفلاسفة والمفكرين الدينيين والمتخصصين فى النظريات الاجتماعية والمعلقين السياسيين ثم الصفوة الادارية Business Elites أو صفوة رجال الأعمال وهى الصفوات التى لعبت دورا متميزا فى مجالات الصناعة والتجارة، ثم أخيرا الصفوة البيروقراطية Bureaucratic (٥) .

---

(١) انظر عرضا وافيا لنظرية باريتو عن الصفوة فى : Timasheff, Nicholas S.., Sociological Theory, Random House, New York, 1967, PP. 165 - 167.

(٢) انظر لوجهة نظر السير رايت ميلز عن صفوة القوة والاتجاه العـام فى دراسـة الصفوة فى : Mills, Wright. C., The Power Elite, Oxford Univ. Press, New York, 1959.

، انظر عرضا وافيا لهذه الاتجاهات الاربع فى : نبيل السمالوطى ، بناء القوة والتنمية السياسية ، صص ١٦٠ ـ ١٦٩ ٠ وكذلك : محمد على محمد ، مرجع سابق ، صص٣٤٠ـ٣٥٥ ٠

(٣) انظر : بوتومور ، الصفـوة والمجتمع ، مرجـع سـابق ، ص ٨٠ والصفحـات التالية لهـا ٠

(٤) انظر : محمد على محمد ، دراسات فى علم الاجتماع السياسى ، ص ٣٥٨ ٠

(٥) انظر : محمد على محمد ، دراسات فى علم الاجتماع السياسى ، ص ٣٥٨ ٠

ولعله من المتفق عليه أن الزعامة السياسية صفوة متميزة ، وهو تميز قد يكون نابعا من طبيعة الاوضاع العسكرية التى يشغلونها ، أو قد يكون مصدره الخبرة السياسية أو التميز السياسى ، أو قد يكون مصدر هذا التميز خصائص ثقافية خاصة أو قدرات عقلية متفردة ٠

ولاشك أننا ـ مع التسليم بهذه المصادر الصفوية ـ الا أننا نسلم أيضا مع السير رايت ميلز Mills انه مع الاعتراف بالخصائص العقلية والسيكولوجية لهذه الصفوات ، الا أنه من المؤكد أن المكانة التى تشغلها الصفوة فى المجتمع لا تتوقف فقط على هذه الخصائص ، بل من المؤكد أن لطبيعة البناء الاجتماعى ـ الاقتصادى المجتمع تأثيرها فى صياغة الملامح المميزة للصفوات المختلفة(١) ٠ ولعل هذا التأكيد من قبل ميلز Mills يكشف عن مدى الفشل الذى يمكن أن يقابل دارسى الصفوة أو الزعامة السياسية أو أى ظاهرة أخرى عندما يتناولها بمعزل عن سياقها الاجتماعى والسياسى والثقافى ، **وهذا ما نود أن نوليه اهتمامنا عند دراسة الزعامة السياسية المصرية فى بعديها التاريخى والبنائى ٠**

---

(١) Mills, C. Wright, The Power Elite, P. 296.

مناقشة عامة

وتصور منهجي

آثرنا أن يكون الفصل الأول من هذا المؤلف بمثابة اثارة **لمجموعة من** القضايا النظرية والفكرية وثيقة الصلة بظاهرة الزعامة السياسية ، حتى يتحدد اطارنا النظرى والمنهجى ، وهو اطار نظرى اختبارى ، يخضع بعض قضايا الفكر السياسى والاجتماعى الخاص بظاهرة الزعامة السياسيةللبحث والتقصى من خلال المعطيات السياسية المصرية التاريخية والمعاصرة ، ومن خلال ما تكشف عنه طبيعة الزعامات السياسية المصرية ٠

فموقفنا من التراث السابق لم يكن محض ترديد أو محاكاة بقدر ما كان **موقف التسائل المختبر** ، استهدافًا لتحقيق مبدأ التساوق بين المقولات النظرية والابعاد التاريخية والبنائية ، ويمكننا تحديد مجموعة هذه **القضايا والتساؤلات فيما يلى :**

١ ـ اذا نظرنا الى الزعامة السياسية المصرية باعتبارها قوة Power فهل لنا أن نتساءل من أى مصدر تستمد هذه القوة مقوماتها ؟ هل هو مصدر اقتصادى ؟ ، أم مصدر سلطوى رسمى ؟ ، أم هى مصادر ذاتية تتعلق بسمات خاصة وقدرات مميزة للزعيم السياسى المصرى ؟ أم هناك مصادر أخرى تستمد منها الزعامة المصرية مقومات قوتها ؟ ٠

٢ ـ ويثير التساؤل السابق تساؤلا آخر أكثر تحديدا هو أين تقع الزعامة السياسية المصرية فى ماضيها وحاضرها على متصل الكارزمية ـ الشرعية Charisma-Legitimacy Continuum ؟ **بمعنى** ما هو الدور الذى لعبته السمات الكارزمية للزعيم أو الوضعية الشرعية والرسمية له فى صياغة منظومته الزعامية ، وما هى الزعامات السياسية المصرية التى أكثر ميلا الى المظاهر الكارزمية ، وأكثرها اتساقا بالوضعية الرسمية أو الشرعية ، ثم ما هى الزعامات المصرية التى استطاعت أن تجمع بين كلا المظهرين ؟

٣ ـ انطلاقا من الايمان بالدور الهام الذى تلعبه الظروف الموضوعية للمجتمع فى اتاحة الفرصة للزعيم أن تتألق مواهبه وتتكشف زعامته وقدراته القيادية . فهل لنا أن نتساءل عن الدور الذى لعبته ظروف المجتمع المصرى فى تاريخه وحاضره فى خلق الزعامات المصرية ؟ لا سيما اذا وضعنا فى الاعتبار

بعدى الديمقراطية ـ الديكتاتورية ، حيث نتعرف على دور كل من الظـروف الديمقراطية الحزبية والظروف الديكتاتورية للمجتمع المصرى فى ظهور تلك الزعامات وانبثاقها ؟ .

٤ ـ أكد بعض منظرى التراث أن الثورة (كظاهرة) و (كعملية) هى التى تخلق الزعامات السياسية ، فالى أى حـد تصدق تلك المقولة على الزعامات السياسية المصرية وظروف انبثاقها ؟ .

٥ ـ ارتبط مفهوم الصفوة بمفهوم الزعامة السياسية ، حيث نظـــر البعض اليها باعتبارها صفوة قـــد تكون عسكرية أو سياسية أو مثقفة أو دينية ، والتساؤل هنا : هل يمكن اعتبار الزعامات السياسية المصرية احد صور الصفوة ؟ واذا كانت كذلك فالى أى نمط من أنماط الصفوات تنتمى هذه الزعامات ؟ هـــل كان يغلب عليها الطابع العسكرى ، أم الطابع السياسى البحت أم الطابع الدينى ، ثم أين تقـــع الصفوة المثقفة من مقولة الزعامة السياســية ؟ .

٦ ـ أكدنا فى اشاراتنا السابقة على أن الزعامة السياسية المتــكاملة لا تتحقق دون توفر ما يسمى بالرؤية أو الايديولوجيا ، سواء أكانت زعامة خارج السلطة أو داخلها ، فالى أى حـد كانت لزعاماتنا السياسية هـــذه الرؤية أو تلك الايديولوجيـــة ؟ .

الفصل الثانى

الزعامات السياسية المصرية

« نماذج من التاريخ السياسى للمجتمع المصرى »

تمهيد :

المبحث الأول :

الزعامات السياسية فى مصر : البشائر وارهاصات الانبثاق ٠

المبحث الثانى :

أحمد عرابى : كنموذج للصفوة العسكرية الوطنية ٠

المبحث الثالث :

مصطفى كامل : بين العشق الرومانسى لمصر ومقومات الصفوة السياسية المثقفة ٠

المبحث الرابع :

سعد زغلول : موهبة جسدتها ظروف المجتمع ٠

المبحث الخامس :

الزعامات السياسية المصرية : مظاهر التماثل ومؤشرات التمايز ٠

تمهيـــــد

قد يواجه الراصد لحركة الزعامة السياسية فى مصر ، والمؤرخ لهـــا عددا من العقبات ، وقد تتضاعف هذه العقبات كما وتتعاقد كيفا اذا ما كان المعنى بالرصد ليس مؤرخا تقليديا ممن ينتمون الى زمرة المؤرخين المتخصصين فى علم التاريخ ، ولكنه ممن يتخـــذون من التاريخ منهجـــا ومن المعطيات التاريخبة أساسا للتحليل وقاعدة للفهم وهو ما يميز المتخصصين فى عـــلم الاجتماع السياسى ، ويمكن تحديد طبيعة **هذه العقبات فيما يلى :**

١ ـ البعـد الزمنى الذى نبحث من خـــلاله عن الزعامات السياسية المصرية بمعنى من أين نبـــدأ ؟ وما هى نقطة البـــدء بالنسبة لدراستنا ؟ لا سيما وأن تاريخنا المصرى يتميز بامتداد رقعته الزمنية ، الأمر الذى يخلق بالنسبة لنا (مشكلة انتقاء) لنقطة البـــدء ، وحتى وان تمَّ هذا الانتقاء ، فما هى مبرراته ؟ •

٢ ـ وتتمثل العقبـــة الثانية فى تحديد معنى الزعامات السياسية وتعيين ماهيتها ، بمعنى أن تاريخنا المصرى بوقائعه واحداثه وشخصياته المتعددة ذات الصلة بهذه الوقائع والاحداث لا يمكن أن تدخل كلهـــا فى زمرة الزعماء السياسيين بسماتهم وخصائصهم التى تميزهم عن غـيرهم كقـــادة الرأى والفكر مثـــلا ؟ •

٣ ـ وتتمثل العقبـــة الثالثة فى تلك التناقضات التى يمكن الكشف عنها من خلال المعالجات المختلفة للزعامات السياسية المصرية من قبل الباحثين والمؤرخين ، وهى التناقضات التى تشير الى الأبعاد الذاتية والايديولوجيـــة لـــكل باحث ومؤرخ ، الأمر الذى يثـــار معـــه تساؤل أســاسى هو : **أين الحقيقـــة اذن ؟ •**

٤ ـ وتشير العقبة الرابعة الى طبيعة (رؤية) التناول و (منهج) المعالجة ، لا سيما ونحن لسنا مؤرخين بالمعنى التلقيدى ، بل نحن باحثون فى علم الاجتماع السياسى نتناول الظواهر السياسية فى علاقتها بالسياق

الاجتماعى وبالمتغيرات الثقافية والاقتصادية ، فضلا عن الظروف السياسية التى نشأت فى ظلها هذه الظواهر ونمت ؟ فكيف اذن نتميز عن المؤرخ بصورته الكلاسيكية ؟ •

ولتجاوز العقبات الأربع السابقة يمكننا تحديد مجموعة من (الالتزامات) النظرية والمنهجية والتاريخية والتى تصيغ الاطار العام للفصل الثانى من هذا المؤلف ، وهذه **الالتزامات هى :**

١ ـ يتحدد الاطار الزمنى العام لهذا الفصل من خلال العصرين الحديث والمعاصر للمجتمع المصرى على اعتبار أن هذين العصرين من أكثر عصور هذا المجتمع تشبعا بالزعماء السياسيين بالتصور الذى يطرحه هذا المؤلف وهى الفترة التى بدأت منذ تولية محمد على عرش مصر عام ١٨٠٥ حتى اللحظة الراهنة •

٢ ـ ان هذا العرض لن يتجاهل فترة ما قبل العصر الحديث ، بل سوف نعنى ـ بوجه عام ـ بملامح الزعامة السياسية المصرية وارهاصاتها قبل هذا العصر وحتى نصل الى بشائر نضجها بدءا بالحملة الفرنسية وتولى محمد على •

٣ ـ ثم يمتد البعد الزمنى فيميز بين حقبتين ، حقبة ما قبل دستور عام ١٩٢٣ وهى التى تجلت فيها زعامات أحمد عرابى ومصطفى كامل ، وحقبة ما بعد عام ١٩٢٣ ، والتى بدأت حقيقة بثورة ١٩١٩ والتى تألقت فيها زعامة سعد زغلول ومن جاء بعده كمصطفى النحاس وان كان الأخير لن يدخل فى دائرة تحليلنا •

٤ ـ يكشف هذا الفصل عن تصور خاص للزعامة السياسية والذى يتحدد فى (هؤلاء الأفراد أصحاب النزعات القيادية والملكات أو المواهب الزعامية الذين قادوا الجماهير فى لحظات أزماتها سواء ضد المستعمر الاجنبى أو ضد الحاكم ذى النزعة التسلطية ، وهم فى ذلك يختلفون عن قادة الفكر والرأى من جهة وعن الحكام التقليديين من جهة أخرى ، وان كان هذا لا يمنع من أن تكون هناك (حالات) جمعت فيها (بعض) هذه الزعامات بين الزعامة السياسية الجماهيرية وتولى مقاليد السلطة الرسمية • مع ملاحظة ان الزعامة السياسية بصورتها المتكاملة ، هى تلك الزعامة صاحبة الرؤية

أو الأيديولوجية الخاصة ، والتى بدونها تفتقد الزعامة أهم عناصر التكامل فيهـا) ٠

٥ ـ تتحدد الرؤية النظرية الاختبارية لهذا الفصل فى محاولة الاجابة عن مجموعة التساؤلات التى استقيناها من التراث النظرى الخاص بظاهـرة الزعامة السياسية وارتباطها بعدد من المفهومات والقضايا ، كمفاهيم القوة وصيغة الحكم والثورة والصفوة ٠٠ الخ ٠

٦ ـ يسعى هـــذا الفصل الى تحديد الملامح الايديولوجية العـــامة للنماذج الثلاث للزعامة (أحمد عرابى ومصطفى كامل وسعد زغلول) وكيف انعكست هـــذه الملامح على نمط الزعامة وأسلوب القيادة الذى انتهجه كل زعـــــيم ؟ ٠

٧ ـ ثم كيف كانت هـذه الزعامات (كظواهر سياسية) انعكاسا للظروف الموضوعية للمجتمع المصرى فى حقبه التاريخية المختلفة ؟ ٠

٨ ـ يحاول هذا الفصل أن يكشف عن مظاهر التماثل بين الزعامات السياسية المصرية ومؤشرات الاختلاف أو التمايز ٠

٩ ـ يعتمد هذا الفصل فى تحليل الزعامات السياسية المصرية على أسلوبى العــزو أورد الشىء الى أصوله nputation واقتفاء الأثر Trace وهمـــا الأسلوبان المستقيان من مناهج البحث فى علم اجتمـــاع المعـــرفة Sociology of Knowledge

المبحث الأول

الزعامات السياسية المصرية : البشائر وارهاصات الانبثاق

(١)

ارتبطت [الزعامة] فى مصر ـ عبر تاريخها الطويل ـ بالمواقف والأزمات والتى كشفت فى بعض مظاهرها عن مضمون اقتصادى وان ظهرت الأسباب السياسية بين حين وآخر ، ولقد استمرت الزعامة المصرية فى ارتباطها (بالموقف) و (الأزمة) حتى العصر الحديث والمعاصر ٠

ولكن من المؤكد أن مصر لم تشهد الزعامة السياسية بمضمونها الأصيل وبملامحها المتفق عليها الا منذ الحملة الفرنسية على مصر ، وان كانت هذا لا ينفى أن عصور ما قبل هذه الحقبة قد شهدت قيادات ـ وليست زعامات سياسية ـ وخاصة قيادات الطوائف الحرفية والطرق الصوفية المنتشرة فى احياء القاهرة القديمة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر كحى الحسينية وكحى العطوف وباب زويلة ، وباب الشعرية ٠٠ الخ ٠

ولقد ارتبطت (الحركات الشعبية) بهذه الاحياء وطوائفها ورؤساء هذه الطوائف ولا سيما طائفة (الجزارين) الذين تزعموا ـ أو على وجه الدقة ـ قادوا العديد من الحركات الشعبية ضد ظلم الحكام ، ويكفى ان نذكر فى ذلك (الشيخ أحمد سالم الجزار) الذى « ظهر نفوذه الكبير على حى الحسينية اثناء الأزمات التى شارك هذا الشيخ فيها ٠ ويمكن الافتراض كذلك أن الخلوتية (التى ظهر بينها على البيومى) قد لعبت دورا فى الحياة الروحية للحى ، فالسيد على بن موسى ، وهو شخصية ذات نفوذ (ومدرس بالمشهد الحسينى) ـ كان أيضا واحدا من شخصيات الحسينية المرموقين ، وبعد موته أصبح أخوه « بدر الدين » زعميا للحى وهو الذى قاد حركة عام ١٧٨٩ »(١) ٠

ويذهب أندريه ريمون مؤكدا ارتباط الزعامة أو القيادة الشعبية برؤساء الطوائف والمهن ويشير ـ خلاف ما سبق ـ الى الدور الذى لعبه

---

(١) اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ترجمة زهير الشايب ، مؤسسة روزاليوسف ، يوليو ١٩٧٤ ، ص ٢٧٧ ٠

بصفة خاصة الجزارون الذين يصفهم بأنهم « ۰۰۰۰ قوم متينو البنيــة ، حادو الطباع ، تربطهم تقاليد طائفية قويـــة »(١) ۰ ولقـــد كانت طائفة الجزارين ـ حسبما يشير أندريه ريمون ـ هى النواة التى تتجمع حولهـــا حركات التمرد ، ويذكر من زعماء هذه الطائفة الى جانب أحمد سالم الجزار ، شيخ الجزارين ابن شمعة زلذى يعتبر أحد الزعماء الشعبيين خلال أحـــداث ١٨٠٥ التى لعبت فيها الحسينية دورا حاسما(٢) ۰

(٢)

واذا كانت الزعامات الشعبية قـــد ارتبطت فى القــرنين السابع عشر والثامن عشر برؤساء الطوائف وأرباب المهن ، وهى الزعامات التى تكشفت قوتها من خـــلال الأزمات الاقتصادية وظـــلم الحـــكام ، فكانت بعض (الهيئات)(٣) الشعبية التى تزعمها رؤساء الطوائف الذين كانــوا يمثلون نوعية خاصة من الصفوات The Elites الشعبية الذين يستمدون قوتهم من طبيعة الوضعية الرئاسية للطوائف والمهن ، وهو ما يكشف عن الدور العظيم الذى كانت تقوم به هذه الطوائف والمهن ، فضلا عن رؤساء الفـرق الدينية الذين اضطلعوا بأدوار سياسية فى وقت المحن والأزمات التى كان يتعـــرض لهـــا الشعب ۰

ويخبرنا أحمد شلبى بن عبد الغنى الحنفى المصرى ما يكشف عن دور الصفوات المتميزة فى القرنين السادس عشر والسابع عشر فى الوقوف بجانب الشعب لدرء الظلم ومقاومة الحكام وظـــلم السلطات الحاكمة ، فينبئنا عن الحاج ناصف الذى يلجأ اليه أهل البتانون (احدى قرى مركز شبين الكوم ـ المنوفية) عند ما يشتد بهم الكرب ، والذى يصفه أحمد شلبى بن عبد الغنى بانه كان « ۰۰۰ مرهم البلد ۰۰ كريم اللحية ، طعام عيش لا يحب فساداً ،

---

(١) اندريه ريموز ، نفس المرجع ، ص ٢٧٥ ۰

(٢) انظر : اندريه ريمون ، نفس المرجع ، ص ٢٧٦ ۰

(٣) من المؤكد ان هذه الهيئات لم تكن الاولى من نوعها فى تاريخ المجتمع المصرى ۰ بل ان تاريخ مصر الفرعونية ينبئنا بان أول ثورة على الاقطاع قد حدثت فى مصر قرابة انتهـــاء الاسرة السادسة (بين عامى ٢٢٨٠ ق۰م ـ ٢٢٣٤ ق۰م) [انظر محمد للعزب موسى ، أول ثورة على الاقطاع] ۰ وانظر سيد حامد النساج ، مصر وظاهرة الثورة : دراســـة فى تاريخ الثورات المصرية ، دار النهضة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٩ ۰

فتلقى جميع أمور البلد بصـــدره ، وان مضيفته للشارد والوارد من اهـــل الرايتين ، وانه عين البلد »(١) ٠

(٣)

ويبدو أن الظلم كافراز طبيعي لنمط الحكم الذى ساد مصر أيام حكم المماليك ومن جاء بعدهم من الاتراك العثمانيين قد ساعد كثيرا على خـــلق مواقف الاحتجاج التى كان يتزعمها بعض الأفراد المتميزين فى المجتمع ، ولولا هـــذه المواقف ـ فيما يبدو ـ ما كان لهـــذه الشخصيات أن تظهر كقيادات جماهيرية ، وان ظلت كشخصيات متميزة فى المجتمع ٠

وتاكيدا لسمة الظلم التى ســادت مصر المملوكية والعثمانية تـــلك الأحداث التى ذكرها ابن اياس عن أحد أيام شهر ذى القعدة عام ثمان وسبعون وثمانمائة (١٤٧٣ / ١٤٧٤ م) حيث يقول « وفيه ثار جماعة من المماليك الجلبان ونزلوا الى جهة بولاق فنهبوا ما فيها٠ثم قصدوا شونة الأمير يشبك الدوادار فنهبوا ما فيهـــا ، وصاروا ياخذون جمـال السقايين ، ويحملونها ما نهبوا من الشعير ٠٠ وحصل منهم فى ذلك اليوم غاية الضرر للناس من نهب وخطب بضائع الناس وغير ذلك ٠٠»(٢) ٠

ولاشك أن الاحتجاج أو التمرد أو العصيان ظواهر تترتب بطبيعـــة الحال على ما تفرزه مظاهر الظلم والديكتاتورية المرتبطة بنوعيات خاصـــة من أساليب الحكم ونظمه ، وهنـــا تجد الزعامات السياسية أو القيـادات الجماهيرية أرضا خصبة للتخلق والنمو ٠

وزعامات هذا العصر لا يمكن أن ننظر اليها ، أو ينهض تقويمنا لهـــا على أساس مقاييس عصرنا الراهن ، ولكنها زعامات على اية حال بظروف عصرها ، وبمنطق الوضعية السياسية والاجتماعية السائدة آنذاك٠ ويتاكد هذا الدور الزعامى لبعض شخصيات القرن الثامن عشر والتاسع عشر فيما رواه

---

(١) احمد شلبى بن عبد الغنى الحنفى المصرى ، اوضح الاشـــارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشـــاوات الملقب بالتاريخ العينى ، تقـــديم وتحقيـق وضبط وتصحيح عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٤١٦ ٠

(٢) محمد بن احمد بن اياس الحنفى المصرى ، من بدائع الزهور فى وقائع الدهـــور ، كتاب الشعب (٩٦) ، مطابع الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٤٤٩ ٠

عبد الرحمن الجبرتى المؤرخ المصرى الشهير ، عن ذلك الدور المتميز الـــذى لعبه علماء الازهر ومشايخه(١) ، وهو دور يكشف عن نوعية خاصـــة من الزعامات وهى الزعامات الدينية التى كانت تمثل صفوة متميزة فى حينهـا ، كما يكشف أيضا عن الدور العظيم الذى لعبه الازهر بعلمائه ومشايخه الذين اعتبروا العمل فى الحياة العـــامة صورة من صور الجهاد ، فكان التحامهم بالشعب ودفاعهم عن قضاياه والوقوف بجانبه أمام صلف السلطات الحاكمة وقيادة حركات تزمره ، وتمثيله أمام الحكام والولاة ، نذكر منهم على سبيل المثال الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى والشيخ البكرى والشيخ العروسى ، والشيخ الأمير ••• الخ ، ومما رواه عبد الرحمن الجبرتى ويؤكد الدور القيادى للصـــفوة الدينيـــة ، أنه فى ذى الحجـــة عـام ١٩٧٥ « وقـــع به مـن الحوادث أن الشـيخ الشرقاوى له حصـــة فى قرية بشرقيـة بلبيس ، حضر اليه أهلها ، وشكوا من محمد بـك الالفى ، وذكروا أن أتباعه حضروا اليهم وظلموهم ، وطلبوا منهم ما لا قدرة لهم عليه ، واستغاثوا بالشيخ• فاغتاظ ، وحضر الى الازهر ، وجمبع المشايخ ، وقفلوا أبواب الجامع ، وذلك بعـــدما خاطب مراد بك ، وابراهيم بك ، فلم يبديا شيئا •• ففعل ذلك فى ثانى يوم، وقفلوا الجامع ، وأمروا الناس بغلق الأسواق والحوانيت • ثم ركبوا فى ثانى يوم واجتمع عليهم خلق كثير من العامة وتبعوهم ، وذهبوا الى بيت الشيخ السادات ، وازدحم الناس على بيت الشيخ من جهة الباب والبركة ، بحيث يراهم ابراهيم بك ، وقد بلغه اجتماعهم ، فبعث من قبله أيوب بك الدفتردار فحضر اليهم ، وسلم عليهم ، ووقف بين يديهم ، وسألهم عن مرادهم فقالوا له : « نريد العدل ورفع الظلم والجور ، واقامة الشرع ، وابطـــال الحوادث والمكوسات التى ابتدعتموها وأحدثتموها » فقال « لا يمكن الاجابة الى هـذا كله ، فاننا ان فعلنا ذلك ضاقت علينا المعايش والنفقات » فقيل له « هـــذا ليس بعـذر عند الله ولا عند الناس ، وما الباعث على الاكثار من النفقـــات

---

(١) انظر دراسة هامة عن دور الازهر وعلمائه فى الكفاح فى : عبـد العـــزيز محمـــد الشفناوى ، صور من دور الازهر فى مقاومة الاحتلال الفرنسى لمصر فى أواخر القرن الثامن عشر ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧١ •

ـ كذلك انظر : عبد الرحمن الرافعى ، مصر فى مواجهة الحملة الفرنسية ، مركز النيـــل للاعلام ، القاهرة ، ١٩٧٩ •

وشراء المماليك والأمير يكون أميرا بالاعطاء لا بالأخذ » فقال : « حتى أبلغ » ·
ويستطرد الجبرتي فيقول : « وفي اليوم الثالث حضر الباشا الى منزل ابراهيم بك واجتمع الافراد هناك وأرسلوا الى المشايخ فحضر الشيخ السادات والسيد النقيب والشيخ الشرقاوى والشيخ البكرى ، والشيخ الأمير ·· ودار الكلام بينهم وطال الحديث ، وانحط الأمر على أنهم تابوا ورجعوا **والتزموا بما شرطه العلماء عليهم ، وانعقد الصلح على أن يدفعوا** سبعمائة وخمسين كيسا موزعة ، وعلى أن يرسلوا غلال الحرمين ، ويصرفوا غلال الشون وأموال الرزق ، ويبطلوا رفع المظالم المحدثة ، والكشوفيات والتفاريد والمكوس ··· وكان القاضى حاضرا بالمجلس فكتب حجة عليهم بذلك ، وفرمن عليها الباشا ، وختم عليها ابراهيم بك ، وأرسلها الى مراد بك فختم عليها أيضا ، وانجلت الفتنة ورجع المشايخ ، وحول كل واحد منهم وأمامه وخلفه جملة عظيمة من العامة وهم ينادون : (حسب **ما رسم سادتنا العلماء** : بأن جميع المظالم والحوادث والمكوس بطالة من مملكة الديار المصرية)(١) ·

(٤)

وثمة مجموعة من الحقائق يمكن استخلاصها من النص السابق وهي :

(أ) ان علاقة الشعب بالسلطة الحاكمة سواء المملوكية أو العثمانية كانت علاقة يسودها التوتر والظلم ·

(ب) لم يستسلم الشعب المصرى للظلم وعادة ما كان يعبر عن عدم رضاه هذا بما يشبه التذمر والاحتجاج الذى يأخذ أحيانا شكل العنف ·

(جـ) كان الجامع الأزهر هو ملتقى العامة من الشعب لتدبير أمورهم لمواجهة ظلم السلطات الحاكمة ، وكان ملاذهم الوحيد لدرء الخطر عنهم مستعينين فى ذلك بعلمائه ومشايخه الذين لعبوا دورا جماهيريا عظيما فى الكفاح الوطنى وفى مساندة الحركات الشعبية رغم انتكاسة هذا الموقف بعد حكم محمد على ·

---

(١) عبد الرحمن الجبرتى ، المختار من تاريخ الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ، كتاب الشعب (٢٩) ، اختيار محمد قنديل البقلى ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٢٣٦ ·

(د) ان نظرة السلطات الحاكمة الى علماء الأزهر ومشايخه ـ فى تلك الأونة ـ كانت تتسم بالاجلال والاحترام . ولعل هذا ما يؤكد أن الزعامات الدينية فى الحقب المشار اليها لم تكن زعامات دينية خالصة ، بـل امتزجت النزعة الدينية بالرؤية السياسية الدنيوية ، فكان لهم هذا الدور القيادى فى تزعم حركات الجماهير ، وفى قيادة الثورات وهو ما تجلى فى مقاومة الحملة الفرنسية والدفاع عن مدينة القاهرة ، وقيادة ثورتى القاهرة الأولى والثانية.

ولاشك أن نابليون قد أدرك القيمة الحقيقية للصفوة الدينية أو للزعماء الدينيين ومدى قدرتهم على قيـــادة الجماهير وتحريكهم ، ويتضح ذلك من موقفين : الموقف الأول حين دخل الفرنسيون القاهرة ، فكان أول عمل قاموا به ظنـــا منهم أنه يحقق لهم استسلام الشعب القاهرى ، **هو القبض على الزعماء الدينيين** ، أما الموقف الثانى فيتضح عندما أدرك نابليون أن مركزه محفوف بالمخاطر ، وصار يتودد الى المصريين **ويسترضى العلماء** باعتبارهم (مفتاح) كسب ود الجماهير والطريق الطبيعى لاستمالتهم(١) .

(٥)

ومن ملامح الدور القيادى لعلماء الأزهر ومشايخه ما كشفت عنه ثورة القاهرة الأولى والثانية ، فثورة القاهرة الاولى ، كانت ثورة وطنية خالصة ـ على نحو ما يذهب لويس عوض ـ قامت احتجاجا على نظـــام الضرائب ورسوم التسجيل الذى وضعه الفرنسيون . ولقد تزعم هذه الحركة كوكبة من علماء الأزهر كالشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفـة العميان والشيخ أحمد الشرقاوى والشيخ عبد الوهاب الشبراوى والشيخ يـوسف المصيلحى والشيخ اسماعيل البراوى(٢) .

واذا كان لويس عوض يرى أن قيادة ثورة القاهرة الثانية ضدالفرنسيين كانت بيد الاتراك والمماليك ، الا أن الجبرتى قد أشار الى الدور البطولى الذى قام به السيد عمر مكرم نقيب الأشراف والسيد أحمد المحروقى فى قيادة هذه الثورة ، حيث انضم اليهم عدد كبير من أهالى البلد ، ولكن نظرا لمـا ســـاد

(١) انظر : محمد أمين حسونه ، كفاح الشعب من عمر مكرم الى جمال عبد الناصر ، المجلد الاول : الوعى القومى ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، صص ٢٤ ـ ٢٥ .

(٢) لويس عوض ، تاريخ الفكر المصرى الحديث : الفكر السياسى والاجتماعى ، كتاب الهلال ، العدد ٢١٧ ، ابريل ١٩٦٩ ، ص ٧٠ .

البلاد من فوضى ، ونظرا لتحول الثورة عن مســـارها الطبيعى وتحولها الى مسرح للمذابح الدينية اتخذ العلماء موقفا وسطا لتهدئة الموقف وهو الأمر الذى جعل لويس عوض يرى أن القيادات الدينية أثناء هذه الثورة لم تلعب دورا حاسما حيث تسلم قيادتها أعوان الباب العالى وأصدقاؤه وعملاؤه وهم الذين لم يجدوا سندا يستثيرون به الغوغاء والحرافيش « ... الا اثارة النعـرة الدينية وارهاب البسطاء للجهاد فى سبيل الدين واتهـــام الزعماء المصريين بالخيانة والارتشاء من الفرنسيين وما هؤلاء الزعماء الا أمثال الشيخ الشرقاوى الذى تحدى بونابرت وجها لوجه وألقى بطيلسانه المثلث الألوان على الأرض ، والشيخ المهدى الذى كان بونابرت يقول عنه وعن زميله الشيخ الصـــاوى أنهما ليسا (بونو) بلغـة الجبرتى ، وعامة أعضـاء مجلس الوزراء الذين اعتقلوا واحدا واحدا فى فترات مختلفة بسبب مواقفهم الوطنية »(١) .

ولا شك أن زعامة السيد عمر مكرم تستحق وقفة وتأمل(٢) ، فهو من أبرز صفوات المجتمع المصرى فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، وهو من أكثر زعامات هذه الحقبة قربا من الجماهير ودنوا من نبض رجل الشارع ، فكان بحق من أبرز الصفوات الدينية المستنيرة ، التى جمعت بين الادراك والوعى ، ادراكه لقضايا الانسان المصرى ومشكلاته ، لا سـيما مواقفه مع السلطة الحاكمة ، ثم وعيه بضرورة الدور الذى ينبغى أن يضطلع به وزملاؤه بالنسبة لقضايا الانسان المصرى بحيث ألا ينحصر هذا الدور فى ذلك المفهوم الضيق لمعنى الدين أو لمفهوم رجل الدين .

ولعل اشاراتنا السابقة لوضعية السيد عمر مكرم فى ثورتى القــاهرة

---

(١) لويس عوض ، نفس المرجع ، صص ٧٧ ـ ٧٨ .

(٢) انظر دراسة هامة عن عمر مكرم فى : عبد العزيز الشناوى ، عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية ، (أعلام العرب) ـ ٦٧ ـ ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، يوليو ١٩٦٧ وانظر ايضا نعمان عاشور ، بطولات مصرية من عمر مكرم الى بيرم التونسى ١٧٥٠ ـ ١٩٦١ ، روزاليوسف ، القاهرة ، سبتمبر ١٩٧٣ .

وانظر ايضا جاد طه ، موقف الجبرتى من ثورات القاهرة ، فى الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ندوة عبد الرحمن الجبرتى : ١٦ ـ ٢٣ ابريل ١٩٧٤ ، صص ٣٢٥ ـ ٣٤٠ .

وكذلك : صـــلاح العقـــاد ، الجبرتى والفرنسيس ، فى نفس المرجـع السـابق ، صص ٣٠٩ ـ ٣٢٤ .

وانظر : عبد الرحمن الرافعى ، مصر فى مواجهة الحملة الفرنسية ، صص ٢٢٧ ـ ٢٤٠ .

الاولى والثانية ما يكشف عن هذا الدور الزعامى الذى لعبه النقيب · ويتعاظم هذا الدور من خلال مجموعة الاحداث والوقائع التى سبقت تولية محمد على على مصر ، وابعد توليته أيضا ، فيقول الجبرتى عن أحداث يومى ١٢ ، ١٣ مايو ١٨٠٥ : « وفى تلك الليلة أرسل الباشا مراسله الى القاضى يرفق فيها الجواب ، ويظهر الامتثال ويطلب حضوره اليه من الغد مع العلماء ليعمل معهم مشورة · فلما وصلته التذكرة ، حضر بها الى السيد عمر أفندى ، واستشاروا فى الذهاب ، ثم اتفقوا على عدم التوجه اليه وغلب على ظنهم أنها منه خديعة، وفى عزمه شىء آخر ، لأنه حضر بعد ذلك من أخبرهم أنه كان أعد أشخاصا لاغتيالهم فى الطريق ، وينسب ذلك الفعل لأوباش العسكر ··· أن لو عوتب بعد ذلك ·

اجتمعوا ببيت القاضى ، وكذلك اجتمع الكثير من العامة فمنعوهم من الدخول الى بيت القاضى ، وقفلوا بابيه · وحضر اليهم أيضا سعيد أغا والجماعة ، وركب الجميع وذهبوا الى محمد على وقالوا له (انا لا نريد هذا الباشا حاكما علينا ، ولا بد من عزله من الولاية) فقال : (ومن تريدونه يكون واليا ؟) فقالوا له (لا نرضى الا بك وتكون واليا علينا بشروطنا لما نتوسمه فيك من العدالة والخير) فامتنع أولا ! ثم رضى · وأحضروا كركا وعليه قفطان ، وقام اليه السيد عمر والشيخ الشرقاوى فألبساه له ··· وذلك فى وقت العصر ونادوا فى تلك الليلة فى المدينة ··· »(١) ·

ويشير النص السابق الى مجموعة من الحقائق ، لعل من أبرزها التأكيد على الدور الزعامى لمشايخ الأزهر وقيادتهم لحركة الجماهير ··· ومن الحقائق أيضا أن كلا من السيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوى قد أنابهما الشعب فى التحدث باسمه ، وفى اختيار محمد على واضفاء صفة الشرعية على توليته بالباسه الكرك والقفطان وهو موقف يتماثل الى حد كبير مع عملية التتويج، الا أنه تتويج شرعى شعبى قام به مندوبو الشعب وممثلوه ·

ومن الحقائق اللافتة فى النص السابق أيضا ، مبايعة الشعب لمحمد على واليا على مصر ، وهى مبايعة مشروطة ، وولاية محكومة بشروط الشعب،

---

(١) عبد الرحمن الجبرتى ، المختار من تاريخ الجبرتى ، ص ٦٣٠ ·

وهو ما جعل أحد المستشرقين يذهب الى ما معناه أن هذه الحادثة تعد الأولى من نوعها في الشرق أجمع وهى أن يختار الشعب واليه بارادته ، ولا شك أن هذا الموقف يكشف عن درجة عالية من الوعى أو النضج السياسى اذا قيس بظروف العصر .

(٦)

وتتجسد زعامة السيد عمر كرم فى اصراره ـ كتعبير عن مطلب شعبى ـ على عزل الوالى التركى وتنصيب محمد على ، نظرا لأن الأول قد عاند وكابر ورفض التنازل ، ورفض أن ينزله (الفلاحون) على حد تعبيره . ويقص لنا الجبرتى بعض المواقف التى تؤكد زعامة السيد النقيب واصراره على تحقيق أمل من الآمال الوطنية فى حينها . فيقول الجبرتى عن أحداث ٢٢ مايو ١٨٠٥ « ركب السيد عمر أفندى والمشايخ ، ومعهم جمع كثير من الناس الى الأزبكية وبعد ركوبهم حضر الجمع الكثير من العامة والعصب وطوائف الاجناد والوجاقلية ، وعصب النواحى ، وأهل الحسينية ، والعطوف ، والقرافة ، والرميلة ، والحطابة ، والصليبة وجميع الجهات ـ ومعهم الطبول والبيارق ـ حتى غصت بهم الازقة ، فحضروا الى جهات الجامع الازهر ، ثم رجعوا الى الازبكية ولقوا بالمشايخ . » ثم يقول الجبرتى عن أحداث يوم ٢٥ مايو ١٨٠٥ وفى ذلك اليوم ركب السيد عمر أفندى فى قلة من الناس وذهب الى بيت حسن بيك أخى طاهر بيك . وكان هناك عمر بيك الذى نزل من القلعة ، فوقع بينه وبين السيد عمر مناقشة فى الكلام طويلة . ومن جملة ما قال : (كيف تعزلون من ولاه السلطان عليكم .. وقد قال تعالى (أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول، وأولى الامر منكم) ؟ فقال له : (أولوا الأمر العلماء ، وحملة الشريعة ، والسلطان العادل ... وهذا رجل ظالم . وجرت العادة من قديم الزمان أن أهل البلد يعزلون الولاة .. وهذا شىء من زمان ، حتى الخليفة والسلطان اذا سار فيهم بالجور فانهم يعزلون ويخلعون »(١) .

تلك هى زعامة الشعب كما تجلت فى السيد عمر مكرم وزملائه من العلماء والمشايخ ، وهذا هو الدور الحقيقى للصفوة الدينية كما ينبغى أن يكون ،

---

(١) عبد الرحمن الجبرتى ، فنس المرجع ، صص ٦٣٠ ـ ٦٣١ .

وهو الدور الذى استشعر محمد على خطورته ، فنكل بالسيد عمر وحدد اقامته ثم نفاه الى دمياط رغم افضال الشيخ عليه ، فكان عهد محمد على ، هو العهد الذى تقلص فيه الدور الزعامى لرجال الدين ، وكان هذا يتسق و « ٠٠٠ خطة محمد على وقد استولى على الحكم أن يبعد الشعب ابعادا تاما عن الاشتراك فى توجيه السياسة العامة لبلاده والاستئثار من دون العلماء وغيرهم من ممثليه بالسلطة المطلقة »(١) ٠

وأيا كانت ظروف الصراع الذى نشب بين السيد عمر مكرم ومحمد على وعن دور بعض المشايخ فى تعميق الهوه بينهما وخيانة بعضهم للنقيب فانه من المؤكد أن النزعة التسلطية فى الحكم التى انتهجها محمد على كأسلوب أو كصيغة لتسييس أمور الدولة(٢) تتسق وموقفه من الزعماء الشعبيين والدينيين ، حيث كانوا أحد العقبات الهامة التى اعتقد أنها قد تحول بينه وبين الاستئثار بالحكم ، ويؤكد هذا ما ذهب اليه الشناوى من أن « احتفاظ عمر مكرم بزعامته الشعبية فى ظل الحكم الاستبدادى الذى مارسه محمد على فكان أمرا مشكوكا فيه ، لأن اقصاء هذه الزعامة عن الميدان السياسى كان هدفا سياسيا سعى اليه محمد على وضرورة سياسية فى نظره لتنفيذ المخطط السياسى الذى وضعه لنفسه ولأسرته منذ عام ١٨٠٧ »(٣) ٠

(٧)

يؤكد العرض السابق لارهاصات الزعامة السياسية المصرية مجموعة من الحقائق نوجزها فيما يلى :

١ ــ لم تشهد مصر زعامة سياسية حقيقية الا على يد عمر مكرم وان كان الأخير قد استمد زعامته من وضعه كعالم ونقيب للأشراف وأحد أعلام المجتمع المبرزين ٠

---

(١) نعمان عاشور ، سطولات مصرية ، ص ٢٢ ٠

وانظر : احمد حاتم ، الجبرتى ،محمد على ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ندوة عبد الجبرتى ، صص ٣٧٣ ــ ٣٩٦ ٠

(٢) انظر : عاطف أحمد فؤاد ، السلطة والطبقات الاجتماعية فى مصر ، دراسة اجتماعية ,تاريخية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، مودعة بمكتبة كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٥ ٠

(٣) عبد العزيز الشناوى ، عمر مكرم ، بطل المقاومة الشعبية ، ص ٢٥٠ ٠

٢ ـ عرفت مصر الزعامات الشعبية ، وهى الزعامات التى تألق فيها رؤساء الطوائف والحرف المختلفة ، وهذا يكشف عن أن دور الطائفة أو الحرفة كان يتجاوز حدود طائفته أو حرفته الى الاهتمام بالقضايا العامة للشعب والمشاركة فى الدفاع عن مصالحه ودرء الخطر عنه ، والشاهد على ذلك رؤساء طائفة الجزارة بحى الحسينية ٠

٣ ـ لم تكن الزعامات الدينية تقنع بالدور التقليدى لرجل الدين ، بل آثروا الالتحام مع الشعب ، فكانوا سندا له عند كل موقف ، وكل خطب ، ودليلنا على ذلك تلك المواقف المشرفة التى وقفها الشيخ الشرقاوى والبكرى والسادات والأمير والعطار ، فضلا عن عمر مكرم بطبيعة الحال ٠

٤ ـ كشف العرض السابق عن أن الزعامات الشعبية القيادية قد تركزت فى الصفوات ، سواء أكانت صفوات مهنية حرفية أو صفوات دينية ٠ ولعل هذا يؤكد ما أشرنا اليه فى الفصل الأول وما أشاره التراث الفكرى والنظرى لظاهرة الزعامة السياسية من أن الزعامة ما هى الا صفوة متميزة فى المجتمع ، أيا كان المصدر الذى تستقى منه هذه الصفوة مقوماتها ٠

٥ ـ لم تتألق هذه الصفوات ولم تأخذ أبعادها القيادية أو الزعامية الا من خلال المواقف والأزمات ، فكأن الموقف أو الأزمة بمثابة التجسيد الحى لتلك الزعامات وبلورة لأبعادها ، وكشف عن كوامنها ٠

٦ ـ لم نلحظ من العرض السابق أى تأثير للقوى الاقتصادية فى صياغة الزعامات الشعبية أو الاسهام فى تعيين ملامحها ٠

٧ ـ من العسير فهم الزعامات السياسية بمعزل عن السياق الاجتماعى للمجتمع الذى نشأت فيه ، وتأكيدا لهـذا ، فارهاصات الزعامة السياسية المصرية ، قد خلقتها التناقضات الطبقية التى سادت المجتمع المصرى ، فضلا عن نمط الحكم السائد التى جمعت بين مقولتى الظلم والاستبداد ٠ ولكن من المؤسف أنه فى الوقت الذى ساعد هذا النمط السلطوى على خلق الزعامات، كان العامل الرئيسى فى أفول نجمها كما هو الحال مثلا من موقف محمد على من السيد عمر مكرم ٠

٧ ـ وتؤكد النتيجة السابقة أن الزعامات السياسية الشعبية كانت دائما مصدر قلق وتوتر للسلطة الحاكمة ، وكانت هذه السلطة تنظر اليها

دائمـا باعتبارها ظـواهر غير سـوية فى المجتمع ، وقد تتخذ السلطة ازاءها واحدا من موقفين اما محاولة للاستقطاب سعيا وراء كسب مودتهم تحقيقـا لصيغة التوازن فى المجتمع وقضاء على الانشقاقات والتوترات فى المجتمع . واما أن تحاول التنكيل بهم ومحاربتهم وارهابهم لكسر شوكتهم والنيل من قوتهم ، حتى لا يجد الشعب فيهم السند أو المعين .

٨ ـ وفى الوقت الذى كانت تنظر فيه السلطات الحاكمة الى الزعامات السياسية هـذه النظرة نجـــد الشعب قد اتخذ موقف الملتحم الذى يرى فى الزعامات ملاذا وحصنا يلوذ به ويتحصن فيه ، كما يجد فيهم القوة التى بدونها قد يعجزوا عن تحقيق أهدافهم .

(٨)

وأخيرا ، اذا كنا قد افترضنا أن ارهاصات الزعامة المصرية لم تـكن زعامة سياسية بالمفهوم المتعارف عليه فى عصرنا الراهن وكما تطرحه بعض مقولات الفكر السياسى والاجتماعى ، الا أننا ـ مع ذلك ـ لا يمكن أن نجرد تلك الزعامات من مقوماتها القيـادية(١) أو قدرتها الزعاميـــة ، وذلك اذا ما وضعنا فى الاعتبار ظروف العصر ومتغيرات البناء الاجتماعى والاقتصادى والسياسى للمجتمع الذى نشأت فيه هذه الزعامات وتخلقت .

---

(١) يذكر عبد الرحمن الرافعى عن كفاءة عمر مكرم الزعامية وجاذبيته الجمـــاهيرية ما نصه ان السيد النقيب كان « ... متطورا اليه من الشعب كرئيس تستجاب دعوته وتطـاع كلمته وملجا يأوى اليه المظلومون فيرفع عنهم شر المظالم ويقيهم طغيان الحكام » (عبد الرحمن الرافعى ، مصر فى مواجهة الحملة الفرنسية) ، ص ٢٤٠ .

المبحث الثانى

أحمـــد عـــرابى

كنموذج للصفوة العسكرية الوطنيـة

(١)

تمثل زعامة أحمد عرابى أحد محاور الخلاف بين مؤرخى حقبة الثمانينات من القرن التاسع عشر ، وهو ذلك الخلاف الذى تكشف من خلال محاولات رصد وقائع الاحداث العرابية وتقويمها ، وتقويم شخصيته عرابى وشرعية زعامته وحقيقة وطنيته ودرجة نضجه أو وعيه السياسى ، ومدى تعاظم طموحه الشخصى بالمقارنة بكم انجازاته الوطنية والسياسية وكيفها ٠

والملاحظ أن الاختلافات التى تكشفت بين مؤرخى تلك الحقبة وبين راصدى الحركة العرابية ومحللى شخصية صاحب هذه الحركة ، قد عكست لنا اختلافات فى طبيعة (المنهج) المستخدم للتحليل وفى طبيعة (الرؤية) أو الايديولوجية التى حددت هذا المنهج وبالتالى انعكست على كل متتاليات التقويم(*) ٠

---

* انظر مجموعة من الدراسات والبحوث التى أرخت للثورة العرابية وزعامة أحمد عرابى والتى تعكس التباينات فى رؤى المؤرخين فى تقويمهم للثورة وشخصية زعيمها :

- عبد الرحمن الرافعى ، الزعيم أحمد عرابى ، كتاب الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٢ ٠
- الفريد بلنت ، التاريخ السرى لاحتلال انجلترا لمصر (خمسة اجزاء) سلسلة اخترنا لك ٠
- أحمد عرابى المصرى ، مذكرات عرابى « كشف الستار عن سر الاسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية ١٢٩٨ ـ ١٢٩٩ الهجريتين ، وعامى ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ الميلاديتين، العددان ٢٣ . ٢٤ من سلسلة كتاب الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٧ ٠
- محمود الخفيف ، احمد عرابى ، الزعيم المفترى عليه ، الجزء الاول ، كتاب الهلال ٠
- صلاح عيسى ، الثورة العرابية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢ ٠
- رفعت السعيد ، الواقع الطبقى للثورة العرابية ، مجلة الطليعة ، العدد ٩ ، السنة السابعة ، سبتمبر ١٩٧١ ٠
- رفعت السعيد ، الاساس الاجتماعى للثورة العرابية ، مكتبة مدبولى ، فبراير ، ١٩٦١ ٠
- عبد العظيم رمضان ، قيادة الثورة وفكرة السلطة ، مجلة الطليعة ، العدد ٩ ، السنة السابعة سبتمبر ١٩٧١ ٠
- النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع أحمد عرابى ، الطليعة ، العددان ٢ و ٦ فبراير ١٩٦٦ ويونيو ١٩٦٧ ٠

ومنهجنا منذ البداية يستمد أصوله من حتمية العلاقة بين الفكر والواقع وانه من المستحيل فهم ظواهر المجتمع (ومنها الظواهر السياسية والتى يعتبر أحمد عرابى بثوريته وفكره أحد مظاهرها) بمعــــزل عن سياقها التــاريخى والبنائى ، وهو ما يميزنا نحن الباحثين فى علم الاجتماع السياسى عن غيرنا من المؤرخين التقليديين والراصدين الكلاسيكيين ٠

ويطالعنا عبــــد الرحمن الرافعى بأول تقويم لشخصية عرابى حيث يذهب الى أنه كان بلا منازع ذا شخصية قوية جــــذابة تؤثر فى الأفــراد والجماعات ٠٠ فله من هذه الناحية أخص صفات الزعماء ٠ ولولا هذه الموهبة لمــا استطاع أن يجتذب اليه محبة ضباط الجيش وجمهرة الأمة ، وينال ثقتهم ويملى ارادته عليهم ، وكانت له أيضــــا موهبة الكلام والصوت الجهورى ٠ وهذه أيضا من مزايا الزعماء التى تحببهم الى نفوس الجماهير ٠ وقد كــان لخطبه تأثير السحر فى نفوس سامعيه ٠ وكان بلا مراء يريد الخير لبلاده ، ويريد لهــا الحرية والاستقلال ٠ وعلى هذا الأساس قامت دعوته »(١) ٠

فالصورة كما قدمها الرافعى تجعل من عرابى أحــــد الشخصيات ذات الجاذبية السحرية من حيث قوة التأثير ومزية الصوت الجهورى ، وهى كلها من السمات التى قد تؤهل حقيقة للقيادة ، وهى بعض خصائص القيــــادة الكارزمية كما يذهب ماكس فيبر التى تنهض أولا وأخيرا على مواهب القائد وملكاته الخاصة ٠

ولكن من المؤكد أن الخيط الذى يفصل بين الزعيم أو القائد السياسى وبين (المهيج) السياسى خيط يكاد لا يرى ، فالصورة كما قدمها الرافعى لعرابى تكاد تقترب من صورة المثيرين السياسيين الذين قد يكون لديهــم بعض ملامح القيادة أو الزعامة ، ولا نعتقد أن عرابيا لم يكن محض مهيــج سياسى وإن افتقد (بعض) المقومات الزعامة الحقيقية ٠ ولقد آن لنا أن نؤكد أن السمات الكارزمية وحدها لا تخلق زعيما سياسيا حقيقيا بقدر ما تقـدم مهيجا جماهيريا ، لذلك فان ما أشار اليه فيبر Weber فى تصنيفه للقيادات أو للسلطات عن القيادة أو السلطة الكارزمية أو الالهامية قد يصدق تماما ـ

(١) عبد الرحمن الرافعى الزعيم احمد عرابى ، كتاب الهلال ، ص ٢١٠ ٠

فيما أتصور ـ على ما نسميه بالمهيج السياسى ، أما الزعيم السياسى فهو نمط آخر يجمع بين الملكات النفسية والعقلية ـ وقد تكون الفيزيقية أيضا ـ من جانب وتميز الرؤية أو الايديولوجية السياسية والفكرية من جانب آخر وهو الأمر الذى نفتقده فيما يسمى بالزعامات الكارزمية أو الالهامية ٠

وتتأكد الصورة الكارزمية لعرابى فيما يعتقد المؤرخون وفيما ذهب اليه صلاح عيسى من أن عرابياً كان يتميز بنوع «٠٠٠ من الرومانتيكية ، غلبت على تصوره العام للأشياء وهى مظهر من مظاهر الوعى لبعض عناصره ٠ وهو ما أجمع عليه كل من عرفه من أصدقائه بلنت ونينيه مثلا ـ ولعل هذا راجع الى حسه الصوفى أساسا ، بيد أن ذلك قد ساهم ـ مع عوامل أخرى ـ فى تردده فى بعض المواقف ، وافتقاره الى العقلية العملية ، التى تتخذ قرارات حاسمة ونهائية عندما يتطلب الأمر ذلك »(١) ٠

ولا شك أن عرابى بنزعاته الالهامية هذه قد نبع من صفوف العسكريين باعتباره أحد الصفوات العسكرية المتميزة ، الا أن روحه كفلاح مصرى قد أضفت عليه قدسية خاصة ونظر اليه الشعب باعتباره منقذ الأمة من غطرسة الحكام وتعالى الجراكسة ٠ ولقد ظلت سماته الكارزمية أحد المحددات الأساسية له كقائد للأمة فى حقبة من أخطر الحقب التى مرت به ٠

ويبدو أن السمات الكارزمية لدى عرابى قد تعاظمت حتى بدا للبعض فى صورة قديس ، وهو احساس لم يقتصر على المصريين فقط ، بل تجاوزه الى الأجانب أيضا ٠ ويروى بلنت واقعة تؤكد هذا حيث يقول أنه شاهد بنفسه عرابى وهو يستقبل وفدا من الجالية الايطالية فاذا بهم ينهالون على يديه تقبيلا ، ويؤكد أن عرابى قد بدى لهم فى صورة قديس يدافع عن الحرية »(٢) ٠

ويصف بلنت عرابى مؤكدا ما ذهب اليه الرافعى فى وصفه لعرابى ، حيث يقول بلنت « ان عرابى نموذج للقائد الفلاحى ٠٠ طويل ٠٠ عريض

---

(١) صلاح عيسى ، الثورة العرابية ، ص ٤٧٤ ٠

(٢) انظر : صلاح عيسى ، ملامح من الخريطة الفكرية للثورة العرابية ، مجلة الطليعة ، العدد التاسع ، السنة الرابعة ، سبتمبر ١٩٧١ ، ص ٤٧ ٠

المنكبين ، بطيء الحركة نوعا ما ٠٠ يشبه فى مشيته مشايخ البلاد ٠٠ أسمر الوجه الى الحد الذى كان يجعل الاتراك ينفرون منه ٠٠ ذا نظرة غريبة ٠٠ قد تبدو جامدة وقد تبدو حالمة ٠٠ لكنه كان مبتسما على الدوام وما أن يتكلم حتى يكتشف الانسان طيبته وذكاءه ٠٠ لقد كرهه رياض باشا منذ اللحظة الأولى وحتى رجال الاصلاح فى الازهر كانوا يقللون من قيمته كسياسى ٠٠ لكن ما يميز عرابى هو أنه فلاح من طبقة الفلاحين ٠ كان واحدا من هذه الطبقة ٠٠ وليس مجرد قائداً لها ٠ هو قطعة من الفلاحين يتصف بنفس صفاتهم ٠٠ »(١) ٠

ويبدو أن الانتماء الطبقى القروى لعرابى قد صاغ ـ الى جانب الصفات الكاززمية له ـ الشخصية الزعامية له رغم نصيبه الضئيل من التعليم والثقافة ٠٠ ولا شك أن حماسه الوطنى ووعيه بالتفاوت الطبقى وادراكه لمأساة الحكم المطلق وغياب البناء الدستورى هو ما دفع به الى الانتماء الى الحزب الوطنى (جماعة حلوان) الذى تزعمته جماعة البشاوات الوطنيين وعلى رأسهم شريف باشا وسلطان باشا وغيرهما من البشاوات الذين كانوا يطالبون بالدستور والبرلمان والحكومة المسئولة ٠

وأيا كانت الاسباب التى دعت هؤلاء البشاوات الى تكوين الحزب الوطنى والى المطالبة بالحكم الدستورى البرلمانى(٢) ، الا أن الدعوة فى حد ذاتها كانت دعوة ونغمة جديدة فى حينها ، وتكشف عن وعى وطنى متميز ٠ ورغم تصدر الاعيان للحركة الدستورية وتزعمهم للحزب الوطنى ، الا أن قاعدة هذا الحزب قد اتسعت بحيث استوعبت أعدادا كبيرة من الوطنيين الذين ينتمون الى الطبقات الدنيا والشعبية ومن الصفوة العسكرية الوطنية والمستنيرة ومنها أحمد عرابى ٠

---

(١) نقلا عن رفعت السعيد ، الأساس الاجتماعى للثورة العربية ، ص ١٣٠ ٠

(٢) يذهب رفعت السعيد ـ معتمدا على ما أثاره بلنت ـ الى أن هؤلاء البشاوات لم يكونوا الا طلاب سلطة وحكم وان دعوتهم للمطالبة بالدستور والبرلمان لم تكن دعوة خالصة بل كان دعوة موجهة أو ممهدة لكى يستولوا على الحكم والسلطة ٠ انظر : رفعت السعيد ، نفس المرجع ، صص ١٤٣ ـ ١٤٤ ٠

(٢)

والى جانب هذا الحزب المدنى الذى انضم اليه عرابى ، نجد أن هنـاك حركة مقابلة داخل صفوف الجيش ، وهى الحركة التى قامت أساسا كرد فعل للتفاوت الطبقى داخل صفوف الجيش لا سيما بين الجنود المصريين من جهـة والجنود الاتراك والشراكسة من جهة أخرى ، وكنتاج للتفكك داخل القيادات العسكرية وفشلها فى حملة الحبشة ، ومن ثم كانت هـذه الحركة أو هـذا التنظيم العسكرى السرى الذى رأسه على الروبى ، فأنضم اليه عرابى لاسيما وأنه ـ أى عرابى ـ كانت له سمعة ومكانة بـين الجنود والضباط كأحـد الوطنيين المتحمسين ، ولقد انضم الى هذا التنظيم « ٠٠ مجموعة من الضباط الذين يلهبون حماسا ٠٠ محمد عبيد ، خضر خضر ، على فهمى ، عبـد العـال حلمى ، ألفى يوسف وغيرهم ٠٠ »(١) ٠

ولا شك أن هذه النخبة العسكرية المستنيرة والتى عكست وعيا متميزا للعسكرى المصرى قـد أضافت الى مظاهر السخط مظهراً أو بعـداً آخر ، هو القدرة التنظيمية على تجميع القوى الوطنية ، لا سيما وأن هذه القوى كانت تعكس كافة الطبقات الاجتماعية ولم تكن قاصرة على طبقة دون غـيرها ، وان كانت الطبقة الدنيا القروية قد لعبت دورا هاما فى هذا التنظيم نظـرا لانتماء غالبية الجنود وكثير من الضباط ومنهم أحمد عرابى الى هذه الطبقة الكادحة المطحونة، التى كانت تشكل غالبية أفراد هذا التنظيم العسكرى(٢) ٠

ومن المؤكد أن البداية الحقيقية للحركة العرابية بشعبيتها وبقـدرتها على التعبير عن الطبقات الدنيا فى ريف مصر وحضره قد انطلقت من هـذا التنظيم الذى انصهرت فيه آمال أمة بكاملها ، وتفاعلت فيه عوامل السخط والكراهية جنبا الى جنب مع مظاهر الحماس والوطنية والرغبة فى الخلاص من أزمة الحكم التركى ٠

وهكذا كان عرابى ذلك الفلاح الوطنى ، ابن القـرية المصرية ، زعيم الثورة ، ممثلا للروح المصرية فى بساطتها وعنفها ومودتها وحماسها وحبهـا

---

(١) رفعت السعيد ، نفس المرجع ، ص ١٤٧ ٠
(٢) رفعت السعيد ، نفس المرجع ، ص ١٤٧ ٠

لتراب هذا البلد ، هكذا كان عرابى ذلك الجندى ، البسيط ، القوى ، محــدود الثقافة ، ممتلىء الحماس ، المفعم بالوطنية ٠ هكــذا كان عرابى بتناقضاته هذه ممثلا لنموذج ثورى انبثق من النخبة العسكرية المستنيرة وأحد الفلاحين الـذين ٠٠ مزقوا ستار الظلام يتعلموا ويصبحوا ضباطا فى الجيش ٠٠ هــو ابن لواحد من هؤلاء الفــلاحين الذين ذاقوا كل الوان الظلم والحرمان ، والتى مارست عليهم السلطات الحاكمة كل مظاهر القهر والعدوان(١) ٠

وهنا يكمن السر فى هذا الحب الجماهيرى وهذه الجاذبية الشعبية التى تمتع بها عرابى ، انتماؤه لريف مصر ولفلاحى مصر وللطبقات المطحونة فى مصر(٢) ، فكان تجسيدا لآمال الأمة ، وصرخة مدوية مزقت حجب الليل ٠٠ لبل السلطة الكئيب فكانت هذه الاستجابة الفورية لكل دعاواه(٣) وهــذا التأييد الجارف بكل عفوية وتلقائية ٠

لقد استطاع عرابى بعبقرية أن يجمع بين ثلاث مزايــا : أولا انتماؤه العسكرى وثانيا انتماؤه الطبقى المتواضع ثالثا جاذبيته الجماهيرية كنتاج لموهبته القيادية وكفاءاته الزعامية وحماسه الوطنى المتدفق ٠

ولا شك أن الجاذبية الجماهيرية قد تضاعفت فى الوقت الذى بدت فيه كراهيَة السلطة الحاكمة لعرابى تزداد عنفا وضراوة ٠ فكان عرابى يمثــل (ظاهرة) ثورية فى حينهــا ، وهى الظاهرة التى تألقت بفضل الظــروف السياسية والاجتماعية ونمط الحكم السائد والتناقضات الطبقية الصارخـة عسكريا واجتماعيا ٠ ولا أعتقد أن موهبة عرابى ما كانت لتتألق لولا هــذه الظروف التى جسدت هذه الموهبة وفجرت كوامن الثورة فيها ٠

---

(١) انظر فى هذا المعنى : رفعت السعيد ، نفس المرجع ، ص ١٢٤ ٠

(٢) انظر دراسة هامه عن علاقة الفلاحين بالثورة العرابية ومساندتهم لعرابى باعتبــاره ممثلا لهم فى : على بركات ، الفلاحون بين الثـورة العرابية وثورة ١٩١٩ ، المجــلة التاريخية المصرية ، المجلد الثانى والعشرون ، ١٩٧٥ صص ٢٠١ ــ ٢٤٨ ٠

(٣) من مظاهر هذا التأييد تلك الاستجابة السريعة لنداء عرابى الذى صــدر فى صورة منشور يطلب فيه اثابة الأمة له فى كل ما يتعلق بأحوال البلاد والذى نصه « اعلموا يا معاشر الوطنيين ان اولادكم المنتظمين فى تلك الجهادية قد اتكلوا على البارى سبحانه وتعــالى وعزموا على منع كل ما من شأنه الاجحاف بحقوقكم ٠٠ فالمطلوب منكم أن توقعوا على الكتابة المرسلة اليكم من ضمن هذه النشرة وهى الكتابة المقصود بها أن أكون نائبــا عنكم فى كل ما يتعــلق بأحوال البلاد » (نقلا عن رفعت السعيد ، نفس المرجع ، ص ١٢٥) ٠

ولقد اعترف أحمـــد عرابى بفضل الظروف فى خلق زعامته حينما قال لصديقه بلنت « اننى ممثل الجيش الا أن الظروف هى التى دفعت الجيش لأن يثق بى ، لكن الجيش ليس سوى ممثل للشعب وحام له وسيظل كذلك حتى يستغنى الشعب عن هذه الحماية ، ولهذا فاننا الآن نمثل روح الحركة الوطنية التى تحول بين الوطن وبين الحكام الاتراك من أن يمثلوا به ويعيدوه الى عهـد التحكم »(١) ٠

(٣)

وتثير قضية انتماء عرابى الى الصفوة العسكرية Military Elite قضية حزئية هامة تتعلق بنوعية الصفوات المعبرة عن كوامن الشعب ونفسية الأمة وآمالها ، بمعنى أى من صفوات المجتمع أكثر قـــدرة على تجسيد روح الشعب وبلورة أهدافه ومن ثم الدفاع عنها ومحاولة تحقيقها ؟ هل هى الصفوة العسكرية ؟ هل هى الصفوة الاقتصادية (الاعيان) هل هى الصفوة المثقفة ؟ هل هى الصفوة الدينية ؟ أم هى الصفوة السياسية ؟ ٠

ولا شك أنه من العسير أن نجد اجابات على التساؤلات السابقة دون أن نضع فى الاعتبار عـــدا من الملاحظات :

١ ـ ان محاولة تحديد الصفوة المعـبرة عن الشعب محكوم بمقولتى الزمان والمكان ، بمعنى أن الصفوة التى قد تعبر عن الشعب فى حقبة ما فى مجتمع ما ، قـــد تحل محلها صفوة أخرى فى حقبة أخرى فى نفس المجتمع ٠ كذلك فان الصفوة أو الصفوات التى قد تجسد آمال مجتمع ما قد تعجز نفسها عن تجسيد آمال للشعب فى مجتمع آخر ٠ ولا شك أيضا أن مقولتى الزمان والمكان محكومة أيضا بالاوضاع الحضارية والثقافية للشعوب ٠

٢ ـ والأوضاع الحضارية والثقافيـــة للشعوب لا شك أنها تفـــرز نوعيات خاصة من الصفوات تتسق وطبيعة هذه الاوضاع ، ولعل هذا يفسر لنـــا سيادة الصفوات العسكرية لدى شعوب العالم الثالث ذات المستويات الثقافية والحضارية المتواضعة ومنها المجتمع المصرى ٠

---

(١) انظر صلاح عيسى ، ملامح من الخريطة الفكرية للثورة العرابية ، ص ٤٩ ٠

٣ ـ يرتبط الوضع القيادى للصفوات بطبيعة البناء الطبقى Class Structure للمجتمع من جهة وديناميات السياق السياسى Political Context للمجتمع من جهة أخرى ·

٤ ـ تؤكد الملاحظتان الثانية والثالثة أن تزعم الصفوة العسكرية للحركة العرابية وثيق الصلة بالوضع الثقافى والحضارى لمصر فضلا عن الوضعية الطبقية والسياسية للمجتمع المصرى آنذاك · كما أنهما تفسران السبب فى ضآلة ـ أو انعدام ـ الدور القيادى للصفوة المثقفة المصرية رغم محاولاتها أن يكون لها مثل هذا الدور ·

٥ ـ يتوقف الدور الزعامى للصفوة (أيا كان نوعها) على مدى تمثلها لنفسية الشعوب وقدرتها على ترجمة أحلامها والتعبير عن آمالها ، التعبير الصادق الذى يكشف عن قدرات ابداعية خلاقة فى تحقيق الآمال المرجوة للشعوب وفى تحقيق ما يمكن تسميته بالتحديث السياسى والاجتماعى،ورغم أن الصفوة بطبيعتها قلة Minority ، والقلة كما يرى بعض علماء الاجتماع السياسى لا تعبر عن الكل بل تعبر عن مصالح الصفوة أو الطبقة التى تمثلها ، ولما كنا لا ننكر سلامة هذه الرؤية لا سيما اذا ما قدر للصفوة أن ترتبط ارتباطا رسميا بالسلطة والحكم ، الا أنه من المؤكد أن الصفوة ـ أى صفوة ـ سوف تظل دائما المنبع الاساسى لتخلق الزعامات السياسية والفكرية ، لا سيما اذا ما نظرنا الى الصفوة بمنظورها الشمولى ، بمعنى أنها لا تعنى تميزا طبقيا ، بقدر ما تعنى تفردا بسمات تؤهل للقيادة وأحيانا للحكم · ولا شك أن الزعيم أو القائد لابد وأن يتميز ومن الحتمى أن يتفرد ومن المنطقى أن ينتمى الى صفوة والا أضحى شخصا عاديا ، ولكن لا شك أن نجاحه كزعيم يتوقف على مدى نجاحه فى تجاوز مصالح طبقته وارتباطه عضويا بالجماهير ، والا سيفقد مقومات زعامته الشبية ويصبح ـ ممثلا ـ لجماعته وطبقته وليس زعيما بالمعنى الجماهيرى · ولكن ينبغى أن نؤكد أننا لا ننادى بحكم الصفوة ، لأنه حكم بطبيعته حكم ديكتاتورى غير جماهيرى وانما نؤكد على التعددية فى الحكم مع ايماننا أن الصفوات سوف تظل دائما مصدرا أساسيا للزعامات السياسية بالشروط آنفة الذكر ·

(٤)

وترتبط ظاهرة التحديث السياسى والاجتماعى كأحد أهداف الزعامة السياسة الحقيقية بمدى توفر ما اسميناه بالايديولوجية أو المنظومةالفكرية

للزعيم أو على أقل تقدير بمدى توفـــر الرؤية الفكرية بمظاهرها السياسية والاجتماعية والاقتصادية لصاحب التجربة الزعامية ، وذلك على اعتبار أن عملية التحديث لا يمكن أن تتحقق بمعزل عن الفكر والا تحولت الى مجموعة من الاجراءات غير الواعية والتخبطات العشوائية العفوية غـــير الناضجة · فلا تحديث بلا رؤية ولا تجديد بلا فـكر ·

وعرابى كأحد الزعامات الالهامية الكازرمية لم تكن لديه ـ فيماأتصورـ رؤية متكاملة أو ايديولوجية محددة المعالم ، متكاملة الابعاد للتحـــديث السياسى أو للتغير التنائى فى مظاهرها السياسية والاجتماعية والاقتصادية بل كان لديه تصور عام تجسده مجموعة من القيم السياسية والاجتماعيـة التى كان يؤمن بها عرابى ، وهى قيم يغلب عليها الحماس الوطنى الذى لم يبلغ الى مرتبة الرؤية المتكاملة أو الايديولوجية ذات الأبعاد المحددة ·

ولقد تجسدت مجموعة القيم هذه فى برنامج الوزارة الوطنية برئاســـة البارودى والتى تولى فيها عرابى نظارة (وزارة) الحربية · وهذا البرنامج الذى أشار اليهبلنت يكشف عن تصور (اصلاحى) للوزارة ، قد يكون عرابى مصدره الأساسى ، وقد يكون أحد المشاركين فى وضعه ، وقد حدد بلنت هذا البرنامج كما تحدث عنه عرابى فيما يلى :

- الغـــاء نظام السخرة الذى يفرضه الباشاوات الأتراك على الريف المصرى ·
- القضاء على اقطاع الماء واحتكار الباشاوات والأتراك لمياهالفيضان·
- حمــاية الفلاحين من المرابين اليونانيين الذين ينشبون أظافرهم فى أجساد الفلاحين مستعينين بالمحاكم المختلطة ·
- اصلاح القضاء فهو ملىء بالفساد ·
- نشر التعليم بالنسبة للرجال والنساء على السواء ·
- انتخابات حرة لبرلمـان جديد(١) ·

---

(١) انظر : رفعت السعيد ، الواقع الطبقى للثورة العرابية ، مجلة الطليعة ، سبتمبر ١٩٧١ ، ص ٤٨ ·

ونـــلاحظ أن البرنامج السابق لم يتعـد مجموعة من (الأمانى) أو التمنيات ، وهى أمانى اختلطت فيها الابعاد الاجتماعية بالابعاد السياسية والاقتصادية ، ولكن رغم ذلك فانها تعكس وعيا ـ وان كان محدودا ـ ببعض قضايا الانسان المصرى ٠

ورغم التحفظ السابق الا أن المتتبع لمجموعة الرسائل التى تبودلت بين عرابى وصديقه بلنت يكشف عن أن هناك أمرين كان يشعر عرابى أن شعبه يفتقدهما ، أولهما الحرية(*) وثانيهما العدالة ، ففى رسالة بعث بها الى بلنت فى أول ابريل عام ١٨٨٢ يقول عرابى « ان أى انجليزى حر لا بد له وأن يؤيد هؤلاء الذين يسعون لتحقيق الاستقلال لوطنهم ، ويسعون للاصلاح ولاقامة حكومة عادلة ٠ وان هدفنا الوحيد هو انقاذ وطننا من الذل والعبودية والظلم والجهل وأن نرفع شعبنا الى المستوى الذى يمكنه من مقاومة أيـــة محاولة لاعادته الى ظلمات المـاضى »(١) ٠

(٥)

والقضية السابقة ، تعكس لنا بجلاء قضية العلاقة بين كل من الزعامة الكازرمية والفكر ومحاولات التحـــديث السياسى ، فالبعض قد يرى أن فى السمات الكازرمية الالهامية ما يكفى لنجاح أى حـركة ثورية حتى وأن لم يتوفر عنصر الرؤية أو الفكر لدى صاحب هذه السمات وبالتالى فان عمليـــة التحديث السياسى أى تغيير صيغة الحكم السائدة وما يترتب عليهـــا من مشاركة سياسية وتغيـــير نمط السلوك السياسى للافراد ٠٠ الخ تصبح رهينة بكازرمية هذا الزعيم والهاميته ٠

ونحن لاندعى أن عرابياً لم يكن بلا فكر ،ولكنه فكر لم يرتق الى مستوى الرؤية المتكاملة أو النظرية محدده المعالم ٠ ولقد أختلف بشأن الفكر العرابى طائفة المؤرخين الذين تناولوا الشخصية العرابية ، ففى الوقت الذى يرى فيه صلاح عيسى أن عرابيا كانت لديه مجموعة من الرؤى السياسية السليمة ،

---

* لعل فى قول عرابى المأثور لتوفيق عابدين الشهيرة فى ٩ سبتمبر عام ١٨٨١ ما يكشف عن ادراك عرابى لقيمة الحرية حيث قال « لقد خلقنا الله احرارا ، ولم يخلقنا تراثا وعقارا ، فوالله الذى لا اله الا هو اننا لن نورث ولن نستعبد بعد اليوم » ٠

(١) انظر : رفعت السعيد ، نفس المرجع ، صص ٤٨ ـ ٤٩ ٠

وبالذات فكره الديمقراطى الذى كان ـ حسبما يشير عيسى ـ جوهر موقفه(١)
يرى آخرون ومنهم الرافعى أن عرابيا لم يكن « ٠٠٠ على حظ كبير من الكفاية
السياسية وبعد النظر ٠٠ ومن هنا جاء شططه فى كثير من المواطن وعدم تقديره
للأمور وملابساتها ٠ وعرابى معذور فى ذلك لأنه لم ينل حظا كبيرا من الثقافة
والالمام بشؤون السياسة وأطوارها ٠ فهو لا يعدو أن يكون ضابطا من تحت
السلاح ، لم يتخرج فى المدارس الحربية ولا المدنية ٠ ولم يعلم نفسه بنفسه
تعليماناضـــجا ، ولم يكن له من العبقرية ما يغنيـــه عن الدرس والاطلاع
والتحصيل »(٢) ٠

ورغم قسوة هذا الحكم وتطرفه والذى جرد أحمـــد عرابى من كل مزية
وهو الأمر الذى لا تقره الحقيقة ولا يعكسه الواقع ، ولا يتسق مع قواعد الحكم
الموضوعى ، ولا منطق العدل والانصاف ، الا أنه يعكس التباينات التى عادة
ما تقوم بين المؤرخين عند تقديرهم للظواهر أو القضايا التى عادة ما يؤرخون
لها ، وغير خاف أن للابعاد الايديولوجية دورها غير المنكور عند القيام بعملية
التقويم هذه ٠

وتتأكد تلك التباينات اذا ما تعرضنا لرؤية ثالثة قدمها بلنت عنـــد
تقويمه لزعامة عرابى حيث يقول أنه « كان يحيط نفسه برجال الدين لأنه كان
مسلما ورعا وكانت الاوقات التى يجب أن يقضيها فى تنظيم وسائل الدفاع
يصرفها فى الادعية والصلوات ، ويظهر أنه لم ينقطع عن هـــذه الاعمال الى
النهاية ، ومن الصعب أن يعرف الانسان ما كان هيأه من التدابير الحربية ٠٠٠
ان عرابى لسوء حظ الحرية لم يكن قويا ، وانما كان يجهل أوروبا جهلا تاما ،
ويجهل أيضا الطرق والأساليب السياسية الغربية »(٣) ٠

ومن الجلى أن بلنت قد تضافر مع الرافعى وقدما صورة قاتمة لأحمـــد
عرابى لا سيما فى وصفه اياه بالجهل وعدم الخبرة والدراية وضعف شخصيته
وبعده عن الحنكة العسكرية وانصرافه الى ممارسة الطقوس الدينية ، فضلا
عن عدم معرفته بالاساليب السياسية الغربية ٠ ولا شك أن وصف بلنت هذا

---

(١) انظر : صلاح عيسى ، الثورة العرابية ، ص ٤٧٤ ٠
(٢) عبد الرحمن الرافعى ، الزعيم أحمد عرابى ، صص ٢١٠ ـ ٢١١ ٠
(٣) انظر صلاح عيسى ، المرجع السابق ، ص ص ٤٧٤ ـ ٤٧٥ ٠

يجرد عرابيا أيضا من سماته الكارزمية وبالتالى يكون قد جرده من ابسط السمات القيادية ، الأمر الذى تنتفى معه شرعية انتمائه الى الزعامات أو القيادات السياسية ٠

ولكن قد يكون عرابى ـ بالفعل ـ ذا حظ متواضع من العلم والثقافة والمعرفة ، وقد يكون ـ أيضا ـ نصيبه من الخبرة أو الدراية السياسية محدوداً بآفاق معينة وهو ما يقلل كثيرا من مقومات زعامته ، ولكن ما نختلف فيه مع بلنت أن عرابيا كان ذا شخصية ضعيفة وهو ما يتناقض مع مواقفه الجريئة ازاء السلطة الحاكمة (موقفه من الخديو توفيق) ومن التفاف الجنود والضباط حوله ومن خلال جاذبيته الجماهيرية وحضوره الخطابى ومقدرته على التأثير فى الآخرين ، وهو ما يجعلنا نؤمن بزعامته الكارزمية وبقيادته الالهامية ٠

(٦)

ولكن من المغالاة والجحود أن نجرد عرابيا كلية من أى تصور للاصلاح(١) رغم اتهام البعض له بالجهل ـ كالرافعى ـ وعدم معرفته بالطرق والاساليب السياسية الغربية كبلنت ، الا أنه ظل بحسه الوطنى الثورى وبانتمائه الطبقى والعسكرى ، أحد الصفوات الثورية العسكرية المتميزة ، وان لم يرق الى مستوى الزعامات السياسية المتكاملة ٠

ثم تثار قضية أخرى متعلقة باتهام البعض له بولعه بالسلطة ، وهو اتهام يثير لدينا قضية أخرى هى علاقة الزعامة السياسية بالسلطة ٠ فالزعامة السياسية الحقيقية ـ كما نتصورها ـ تظل دائما خارج السلطة الشرعية الرسمية ، تعمل بحرية وبدون تقيد بقيود السلطة بمعناها الرسمى ، لذلك فاننا عادة ما نميز بين الحاكم بوضعيته السلطوية الرسمية ٠ وبين الزعيم السياسى كرمز للجهاد الوطنى وكتجسيد لآمال أمته ، وتفتقد الزعامة كثيرا من مقوماتها اذا ما بدأت تفكر فى تحقيق مطالب سلطوية رسمية ، لأن الزعامة ـ بطبيعتها ـ سلطة تتجاوز كل المعانى السلطوية التقليدية ، فهى سلطة

---

(١) انظر البرنامج الذى قدمه عرابى بعد هزيمة الثورة للورد دفرين فى ١٥ ديسمبر ١٨٨٢ ، وهى برنامج يتضمن تسعة عشر عنصرا تكشف عن تصور خاص لكيفية الاصلاح السياسى والاجتماعى ويكشف فى الآن نفسه عن حسن خاص تجاه قضيتى العدالة والحرية ٠ (صلاح عيسى ، المرجع السابق ، صص ٤٦٧ ـ ٤٧٠) ٠

خارج الشرعية ، وما شرعيتها الوحيدة الا تأييد الجماهير لها ، وان كان هذا لم يحل دون تكون هناك حالات ـ وهى بطبيعتها حالات فريدة ـ جمع فيها بعض الزعماء بين الزعامة السياسية والسلطة الرسمية ٠

وأيا كانت نية عرابى فى الاستيلاء على السلطة ٠ وقد كان بالفعل أحد وزراء وزارة البارودى ـ فانه ما كان ينبغى أن يفكر ـ هو فى حكم الزعيم ـ فى أن تكون له وضعية رسمية فى حكم البلاد ، بل كان عليه أن يظل حاكما (عن بعد)(١) ، حيث يحقق له هذا (البعد) تأثيرا أقوى ، ويكون بمثابة الحارس على حرية الشعب ، المراقب لتصرفات الحكام ، الموجه لسلوكها ، فهو بذلك قوة فوق كل قوة ٠

ولكن يبدو أن الصفوات العسكرية دائما ـ والتى منها عرابى ـ لا سيما فى بعض البلدان المتخلفة ـ كنتيجة لضآلة الخبرة السياسية ، فضلا عن القصور النسبى فى نوعية الثقافة وكيفها ، عادة ما تخلط بين الزعامة والحكم ، وتعتقد أن قيادتها لحركة ما (ثورة أو انقلاب ٠٠٠ الخ) يؤهلها لحكم البلاد ، ويكون سندا شرعيا لتولى السلطة ، وهذا ما وقعت فيه مصر بعد ذلك بأكثر من سبعين عاما وكأن التاريخ يعيد نفسه ٠

(٧)

وفى نطاق البحث عن ماهية الزعامة العرابية والكشف عن ديناميأتها والتعرف على مواطن قوتها ومظاهر ضعفها وسر عبقريتها ، يقودنا الحديث الى محاولة تحليل موقف عرابى من التيارات السياسية فى عصره لا سيما وأن أساطين هذه الاتجاهات السياسية كانوا ممن ينتمون ـ بحكم الطبقة ـ الى علية القوم ، وان عرابيا بحكم ولائه القروى وانتمائه الطبقى كان يقع فى قاع السلم الاجتماعى ، فكيف استطاع عرابى اذن أن يكون له دور وسط هذا التيار

---

(١) لقد نكل عرابى بعد توليته وزارة الحربية بالعديد من خصومه وكمم أفواه معارضيه واغلق بعض الصحف المناهضة له فاستحال الى حاكم اوتوقراطى وهو الذى قام أصلا لمناهضة النزعات الاستبدادية فى الحكم ٠ انظر عاطف أحمد فؤاد الحرية والفكر السياسى المصرى دراسات تحليلية فى علم الاجتماع السياسى (الفصل الاول) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ ٠ وانظر ايضا ابراهيم عبده ، الديمقراطية بين شيوخ الحارة ومجالس الطراطير ، سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٩ ٠ وانظر كذلك عبد اللطيف حمزة ، الصحافة المصرية فى مائة عام ٠

السياسى القوى ٠ الذى جمع بين الأتراك والشراكسة الدستوريين كشريف باشا وعثمان كينج وعمر لطفى باشا ، وبين الاقطاعيين المصريين سلطان باشا والشريعى باشا وغيرهم من الاقطاعيين والذى جمع أيضا بين كبار الموظفين كعلى مبارك باشا ، ثم الامام الشيخ محمد عبده والشيخ خليل الهجرسى من قادة التقدم فى الازهر ثم بقايا (مصر الفتاة)(*) وتيار جمال الافغانى ومحمد عبده ٠٠ وسليم النقاش وسعد زغلول وأويب اسحق(١) ؟ ٠

وهنا تكمن أحد أسرار عبقرية عرابى ذلك الفلاح القروى صاحب الفكر السياسى والاجتماعى المتواضع ، كيف استطاع وهو بوضعيته هذه أن يكون أحد أقطاب الحزب الوطنى (جماعة حلوان) وأن يفرض تصوراته ــ وهــو الفلاح ــ على هذا الجمع المتميز من عليه القــوم ؟ ، وأن يشترك ــ وبصورة فعلية ــ فى صياغة برنامج الحزب الوطنى(٢) ٠ ورغم وصف البعض لهـذا البرنامج بالتخلف(٣) ، الا أنه ــ رغم ذلك ــ يعكس تيارا اصلاحيا معتدلا جمع بين قادة الفكر والاعيان والاتراك وبين التنظيم العسكرى برئاسة أحمد عرابى ، ولكن يبدو أن وقفة ٩ سبتمبر الشهيرة بميدان عابدين قد كشفت عن الروح الثورية لدى عرابى ، والتى أصابت بعض المعتدلين من الحزب الوطنى بالهلع والخوف ، ولا سيما وأن عرابيا كانت لديه أفكاره الخاصة التى كانت تعكس وضعه الطبقى ، وهو الأمر الذى خلق فيما بعد وضعا غير متوازن بين عرابى وغيره من أعضاء الحزب الوطنى من ذوى الاصول الطبقية المتميزة ، الى الدرجة التى ذهب فيها عرابى الى القول بأن الجيش سوف يظل يساند جماعة الاعيان طالما يسيرون فى الطريق الصحيح ٠٠ ولكن ــ حسبما يقول عرابى ــ سيوف الجيش ستظل باستمرار قادرة على أن تقوم أى أعوجاج فى سلوكهم(٤)

اذن لقــد ظلت أحد أسرار مقومات الزعامة العرابية تكمن فى قدرته على

---

* هو حزب انشاه جمال الدين الافغانى أو جماعة انشاها الرجل حبــا فى مصر وأملا فى الرقى بها وتحريرها من ظلم الحاكم وجبروته ٠ وهو بطبيعة الحال غير حزب مصر الفتــاه الذى انشأه الاستاذ أحمد حسين أطال الله بقاءه ٠

(١) رفعت السعيد ، المرجع السابق ، صص ١٦٣ ــ ١٦٤ ٠

(٢) يتكون برنامج الحزب الوطنى من ستة مبادىء ٠ انظر تفاصيلها فى عبــد الرحمن الرافعى ، الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ص ١٤٤ وما بعد هذه الصفحة ٠

(٣) رفعت السعيد ، المرجع السابق ، ص ١٦٨ ٠

(٤) انظر رفعت السعيد ، نفس المرجع ، ص ١٧٠ ٠

مواجهة الحكام وابراز وضعيته كفلاح مصرى أمام غطرسة الاعيان وصلف الأتراك وهنا يكمن السر فى هذا التأييد الجماهيرى ـ فضلا عن تأييد رفقائه فى الجيش ـ لـه الـذى أضحى بالنسبـة (رمزا) لمناهضة السلطة وجبروت الاتراك وصلف الشراكسة ٠

فلا انكار اذن لزعامة الرجل ، ولكنها زعامة محدودة بظروف عصره ، وهى زعامة تستمد مقوماتها من وضعها كصفوة عسكرية فقط ، وانما من المؤكد أن الانتماء الطبقى لعرابى والخلفية الاجتماعية القروية له وظهوره فى ظـل ظروف أو مواضعات سياسية واجتماعية معينة التى أضافت الى أبعـاده الذاتية الكارزمية أبعادا أخرى موضوعية ساعدت على صياغة البناء الزعامى للشخصية العرابية ، ومن ثم قدر لأحمد عرابى أن يلعب هذا الدور الخطير فى مسيرة المجتمع المصرى ، ورغم مثالب الرجل من نقص الدراية وضآلة الخبرة ومحدودية ثقافته وولعه بالسلطة وافتقاره الى رؤية أو ايديولوجية متكاملة ـ وهو ما يقلل كثيرا من سماته الزعامية ـ الا أنه سيظل أبدا رمزا حيا لثورية الانسان المصرى فى بساطته وعفويته ، ثم أنه سيبقى دائما أحد الصعوبات المصرية المتميزة التى جمعت بين ملامح الالهامية والحس الثورى والحماس الوطنى المصرى الصادق ، والتى استطاعت بذكاء أن تتجاوز حدود انتمائها الصـفوى العسكرى وتصبح ظاهـرة سياسية شعبية جمعت بين التميز بصورته الذاتية والجماهيرية والشعبيه ٠

الفصل الثالث

مصر والزعامة السياسية فيما بعد عام ١٩٥٢

تمهيـــــــــد :

المبحث الأول :

الثوره والصفوة العسكرية : عود على بـــدء ٠

المبحث الثـــانى :

انتكاسة الليبرالية بـــين الايديولوجية الغائبـــة وتطلعات الزعامة الـــكارزمية ٠

المبحث الثـــالث :

الزعامة المصرية الراهنة : محاولات احياء الليبرالية بـــين تحـــديات الواقع وبشائر الأمل ٠

(١)

أشرنا فى مقدمة هذا المؤلف ، وفى الفصل الأول منه إلى أن هذه الدراسة ليست محض تأريخ تقليدى للزعامة السياسية المصرية ، وليست مجرد ترديد لتراث علم الاجتماع السياسى فيما يتعلق بظـاهرة الزعامة السياسية وما يرتبط بهـا من مظاهر وقضايا أخـرى ، الأمر الذى جعلنا نؤثر (المدخـل الاختبارى) للقضايا النظرية غير المتفق عليها من جانب الباحثين والعلمـاء فيما يتعلق بظاهرة الزعامة السياسية ، وذلك باخضاعها للاختبار التاريخى والميدانى فى ضوء طبيعة ظاهرة الزعامة السياسية المصرية بمراحلها التاريخية المختلفـة ٠

والمباحث الأربع السابقة قد كشفت عن مجموعة من السمات المشتركة للزعامات السياسية المصرية فى ذات الوقت الذى كشفت فيه عن مجموعـة من التمايزات النوعية بين زعيم وآخر ٠ وما بين التماثل والاختلاف تظهر الهوية الخاصة للزعامة المصرية ، فى الوقت الذى يتكشف فيه مدى الاتساق بين الطرح الفكرى والتساؤلات النظرية التى أثيرت فى الفصل الأول من هذا الكتاب وبين ماهية الزعامات السياسية المصرية ؟

وتلك هى المهمة التى ينوط بها هذا المبحث الذى يحاول أن يجيب عـن التسـاؤلات الآتيـة :

(أ) ماهى مظـاهر التماثل والاختلاف بين الزعامـات السياسـية المصرية ؟

(ب) هل هناك هوية خاصة من الممكن أن تتميز بها الزعامة السياسية المصرية تاريخيا ؟

(ج) الى اى حـد اتسقت سمات الزعامة السياسية المصرية وظروف نشأتها مع ما أثير من تساؤلات نظرية حـول ظاهرة الزعامة السياسية وكما طرحه التراث النظرى لعلم الاجتماع السياسى فيما يتعلق بهذه الظاهرة ؟

(٢)

(أ) الزعامات السياسية المصرية
بين التماثل والتمايز

يتأكد من العرض السابق أن للزعماء السياسيين المصريين سمات خاصة قد تصل أحيانا الى مستوى الموهبة والعبقرية لعل من أبرزها القدرة على قيادة الآخرين والتأثير فيهم ، فضلا عن السيطرة واخضاع الآخرين بصورة قد تحدث بشكل ارادى أو لا ارادى • فالزعيم السياسى ــ والحال هكذا ــ كان شخصا موهوبا متميزا ذا قدرات خاصة ، وهذا ما لاحظناه منذ الزعامات المصرية الاولى التى تجلت فى رؤساء الطوائف الحرفيــة والمهنية ، أو فى الزعامات الدينية (عمر مكرم) ، أو فى النماذج الثلاثة التى أشرنا اليهــا (أحمد عرابى ومصطفى كامل وسعد زغلول) ، فقد كانت كلها زعامات يملك أصحابها مواهب خاصة •

ومن مظاهر التماثل ما كشف عنه الدور الذى لعبته الظروف الموضوعية للمجتمع المصرى ــ لا فى خلق الزعامة ــ وانما فى تجسيدها وبلورتها ، وهى الظروف التي صاغتها عوامل ثلاثة هى : الازمات الاقتصادية والاحســاس بعدم العدالة والاوتوقراطية كنظام للحكم وخيرا وطأة الاحتلال الاجنبى •

فالظروف لم تخلق الزعامات بقدر ما أتاحت لها الفرصة للظهور والتألق، فظلم الاتراك العثمانيين وتعسف المماليك وأزمة الاحتلال الفرنسى ، قد ساعدت على ظهور زعامات القرنين السابع عشر والثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر • كذلك فان أوتوقراطية نظام الحكم فى عهدى اسماعيل وتوفيق ، والتمايزات الاجتماعية والطبقية قد عمل على تفجر زعامة عرابى ، كذلك فانه من المؤكد أن ظروف الاحتلال الانجليزى والنزعة الفردية فى الحكم قد عملت على تألق زعامة كل من مصطفى كامل وسعد زغلول •

ولكن من المؤكد أن الظروف وحدها لا يمكن أن تخلق الزعامات ، الا اذا توفر عنصر الموهبة والكفاءة والقدرة الخاصة ، كذلك فان الموهبة الزعامية تظل كامنة حتى تجد المناخ الملائم والظروف المناسبة التى تكشف عن هذه الزعامة وتتيح لها فرصة الظهور والتألق[٤٧] ــ

(٣)

وتشكل **الجماهير** ـ مع كل من الموهبة والظروف ـ عنصرا ثالثا ساعد على تألق الزعامات السياسية واستمرارها ، فلقد لعب الشعب المصرى دورا هاما فى مساندة زعاماته السياسية وتأييدها ، فكان بمثابة القوة الروحية والمعنوية التى استمد منها الزعماء العون وقت المحن والخطوب ، ولولا هذا التأييد الجماهيرى ما استمرت تلك الزعامات فى أداء مهمتها العظيمة فى قيادة الأمة وقت الشدائد والأزمات ، وهو الأمر الذى يتضح بصورة جلية فى موقف الجماهير المصرية من كل من مصطفى كامل وسعد زغلول على وجه الخصوص .

ثم كانت **كراهية السلطات الحاكمة** ـ ومعها بطبيعة الحال المحتل الاجنبى ـ لهذه الزعامات ، على اعتبار أن هذه الزعامات كانت تعد من الظواهر غير السويه Abnormal Phenomena فيما تتصور السلطات الحاكمة ، والتى ينبغى ـ كما تتصور هذه السلطات ـ محاربتها والقضاء عليها لما تحمله من دعاوى تتناقض وطبيعة البناء السياسى وهوية نظام الحكم الذى ينهض وفقا له المجتمع ، ومن ثم ظهر (الصراع) كأحد السمات التى ميزت علاقة السلطة الحاكمة (والمستعمر الاجنبى) بهذه الزعامات بداية بعمر مكرم وانتهاء بسعد زغلول .

وبكشف الانتماء الاجتماعى والطبقى للزعامات السياسية المصرية ، أن هذه الزعامات قد نشأت من خلال الطبقات الاجتماعية الدنيا أو المتوسطة سواء فى الريف (كعرابى وسعد زغلول) أو فى المدن (كمصطفى كامل) ، ويستثنى من هذا محمد فريد باعتباره (حالة) قد لا نجد لها نظيرا طوال تاريخ الحركة الوطنية المصرية .

وبقدر ما يكشف هذا الانتماء الطبقى عن دور متميز لكل من الطبقتين الدنيا والمتوسط فى ريف مصر وحضرها فى قيادة الحركة الوطنية ، بقدر ما يكشف أيضا عن أن الموهبة ليست حكرا على الطبقات العليا فى المجتمع . ولكن من المؤكد أن هذا لايعنى أن الطبقة العليا فى المجتمع (بالمفهوم الاقتصادى) لم يكن لها دور ، بل ان حقائق تاريخ المجتمع المصرى ، تؤكد أن هذه الطبقة قد حاولت ـ قدر ظروفها ـ أن تكون لها بعض اللمسات فى تحريك القضية الاساسية وهى الاستقلال ، ويظهر هذا من خلال نشأة حزب الأمة الذى جمع علية القوم فى الثقافة والثراء المادى ، رغم بعض الملاحظات التى يمكن أن

يبديها البعض فيما يتعلق بأسلوب حزب الأمة فى الجهاد ·

كذلك لا ينبغى أن نتناسى أن البداية الأولى لنشأة حزب أحمد عرابى (الحــزب الوطنى أو جماعة حــلوان) قد جمعت عددا كبيرا من الاعيـــان والباشاوات ونفراً غير قليل من علية القوم ، فضلا عن بعض أفراد الصـفوة المثقفة والعسكرية فى المجتمع ، وان انسحب الكثير من أعضاء هذا الحزب عندما بدى لهم أن انتماءهم له وخطة عرابى الثورية الطموحة قد تعرض مصالحهم ـ فضلا عن أوضاعهم الاجتماعية ـ للخطــر ، أو على اقل تقـدير تتعرض للاهتزاز ، وهو ما يقلل كثيرا من هيبتهم الاجتماعية وأوضاعهم الطبقية ·

وقد يكون من التزيد أن نؤكد أن من بين مظاهر التماثل بين الزعامات السياسية المصرية هو (حب مصر) ووعيهم الناضج (بصورة نسبية) بازمة المجتمع المصرى وبأهمية دورهم الزعامى فى الخلاص من هذه الازمة ، وبأهمية دور الجماهير فى تدعيم زعاماتهم وبالتالى تماثلت نظرة الزعماء السياسيين المصريين للجماهير والشعب ، حيث غلب عليها ـ أى على هذه النظرة ـ الاحترام والاجلال والاحساس بأن الشعب (قوة) لها دور فى مسيرة الحركة الوطنيـة المصرية ·

(٤)

وتتعدد مصادر الاختلافات أو التمايزات بين الزعامات السياسـية المصرية من خلال محاور خمسة ، أولها مصدر النشأة الصفوية ، فقـد يكون من المتفق عليه أن الزعامات السياسية المصرية السابقة تشكل صفوة مـن صفوات المجتمع ، ولكن من المؤكد ـ وفقا للتحليل التاريخى ـ أن طبيعة هذه الصفوة قد اختلفت من زعيم الى آخر ، ففى الوقت الذى كان فيه عمر مكرم أحد الصفوات الدينية المستنيرة ، مثل أحمد عرابى الصفوة العسكرية ذات الأصول القروية والحس الوطنى المستنير ، بينما كان مصطفى كامل نموذجا للصفوة المثقفة الواعدة ، فى حين عبر سعد زغلول عن نموذج آخر للصـــفوة السياســية التى جمعت بين التفكير أو الثقافة الدينيــة المستنيرة والرؤية العلمانية الواعية ·

ثم يأتى المحور الثانى وهو المتعلق بدرجة الوعى أو النضج السياسى ، فمن المؤكد أن عمر مكرم كان على درجة عالية ـ فى ضوء ظروف عصره ـ من

الوعى السياسى والفكر الناضج المستنير وهو ما كشفت عنه مواقفه ازاء صلف المماليك والفرنسيين ومن بعدهم محمد على ٠ أما أحمد عرابى فكان أميل الى الحماس الثورى والاندفاع الوطنى برؤيته كفلاح مصرى ، وهو ما قد يشكك البعض فى قدر وعيه السياسى وبعد نظره فى قيادته للحركة الوطنية ٠

وقد لا يختلف أحد على أن مصطفى كامل كان يتمتع بدرجة عاليـة من الوعى السياسى رغم بعض هناته المتعلقة بدعوته الى الخلافة الاسـلامية تحت راية الدولة العثمانية وثقته فى فرنسا ، الا أنه بالمقارنة بسابقه كـان بعيد النظر ، ذا حس سياسى متميز ، ولعل هذا يرجع ـ الى جانب موهبته الخاصة ـ الى نوعية تعليمه وطبيعة ثقافته القانونية وتأثره بالثقافة الاوربية الفرنسية على وجه الخصوص ، فضلا عن تمثله الناضج لتاريخ المجتمـع المصرى ٠

اما سعد زغلول ـ ذلك الشيخ المخضرم ـ فكان نضجه السياسى أمـرا غير مشكوك فيه على الإطلاق نظرا لخبرته الطويلة منذ أن كان قاضيا ووزيرا ووكيلا منتخبا للجمعية التشريعية ، ثم تأثره بالسيد جمال الدين الافغـانى وتلمذته على يد الشيخ محمـــد عبدهوتعليمه الازهرى وثقافته القانونيـــة واختلاطه بساسة عصره وفهمه لألاعيب القصر والمستعمر الانجليزى ٠ فكل هذا ـ لاشك ـ أنه قد لعب دورا فى صياغة شخصيته الزعامية وأضاف اليها أبعادا وصلت بها الى درجة من الوعى والنضج الذى تكشفت آثاره فى قيادته للأمة فى حركتها الوطنية ، وفى كفاحها ضد القصر والمستعمر الانجليزى ٠

اما المحور الثالث من محاور الاختلاف فينهض فى الواقع على تعريفنـا لمفهوم الزعامة السياسية وعلى مقومات هذا المفهوم والذى أشرنا فيه الى أن الزعامةالسياسية لا ينبغى أن نطلق عليها زعامة بصورتها المتكاملة ما دامت لا تعمل من خلال رؤية أو ايديولوجية خاصة أو على الأقل من خلال مجموعة من الأفكار ، والا تعتبر الزعامة ـ حينئذ ـ صورة من صور الحماس الثورى أو التهييج السياسى أو الاثارة السياسية ٠

واذا ما طبقنا هذا التصور على زعامات مصر أثناء الحملة الفرنسية ، وما قبلها وما بعدها ، فقد يخرج عمر مكرم والشرقاوى والشيخ والسادات وغيرهم من دائرة الزعامة السياسية ، وفى هذا ظلم لأنفة ينبغى أيضا أن نضع

فى اعتبارنا الظروف الثقافية والاجتماعية والسياسية للمجتمع آنذاك ،كما أنه لا ينبغى أيضا أن نتعامل مع تلك الزعامات بمنهج عصرنا وبما يطرحه الفكر السياسى الحديث ، وبما يفرزه الطرح النظرى لعلم الاجتماع السياسى ٠

أما العرابيون فبرغم تميز الكثير منهم ثقافيــا وتعليميا كالبارودى والنديم ومحمد عبده ٠٠٠ الخ ، وهو ما يجعلنا نؤكد أنهـم كانوا أصحاب فكر ، الا اننا بالنسبة لأحمد عرابى ذاته كنتيجة لظروفه الثقافية والتعليمية يشق علينا أن نعثر له عن فكر متكامل ، وان كانت له مجموعة أفكار لم تصل به الى مستوى أصحاب النظريات أو الايديولوجيات المتكاملة ٠

ويتميز مصطفى كامل ـ على حداثة سنه ـ وكنتيجة لثقافته الغربية (الفرنسية) المتـــآلفة مع تربيته الدينية وتمثله الجيــد لوقائع التاريخ السياسى للمجتمع المصرى ، انه كان صاحب رؤية فكرية وهو ما ظهر بصورة واضحة فى مجموعة مقالاته وكتبه ومؤلفاته ككتاب المسألة الشرقية وكتـاب الشمس المشرقة ، وان اختلف البعض معه فى تفاصيل فكره ورؤاه المختلفة ٠

أما سعد زغلول ، فهو حقيقة لم يكن مفكرا سياسيا أو صاحب نظرية محــددة الملامح ، الا أنه كان يملك طاقما من الرؤى والتصورات خاصــة بالسياسة والحكم ، كما أنه كان لديه أيضا حس متميز فى تحليل الاوضــاع الاجتماعية والطبقية وهو ما كشفت عنه مذكراته التى أشرنا الى بعض منها والحقيقة ان هذه الرؤى والتصورات الخاصة بسعد لم تكن الا نتيجة كثقافته المتنوعة العريضة ، وخبراته السياسية الواســعة ، وفهمه الواعى لطبيعــة المجتمع المصرى ٠

(٥)

واذا ما انتقلنا الى المحور الرابع وهو الخاص بعملية التحديث السياسى ، على اعتبار أن التحديث ظاهرة حتمية ومتوقعة ، أو ينبغى أن تكون حتميــة ومتوقعة كانعكاس لقيادة هذه الزعامات للأمة ومناهضتها لأساليب الحكم الاوتوقراطى وتعنت الحكام وظلمهم ، فالتحديث السياسى هنا هو تغيير نمط الحكم من صيغته الأوتوقراطية الى الصيغة الديمقراطية ٠ فنلاحظ أن أول مظهر من مظاهر التحديث السياسى فى مصر الحديثة قد حدث بعد تلك الوقفة الشجاعة التى وقفها عمر مكرم ومن ورائه الشعب المصرى حينما عزلوا الوالى

التركى ، واختاروا محمد على واليا على مصر (بشروطهم) على نحو ما خاطبوه وهو ما جعل أحد المؤرخين الاجانب يذهب الى ما معنـــاه أنها أول سابقة فى الشرق كله أن يعين الشعب واليه وبشروطه (أى بشروط هذا الشعب) •

ولا شك أن هذا الاختيار يعد أحد مظاهر الديمقراطية التى لم يألفهـا الشعب المصرى ويعد فى الآن نفسه مظهرا من مظاهر التحديث السياسى اذا ما وضعنا فى الاعتبار الطريقة التى كانت متبعة عند تعيين الوالى التركى ، والظروف السياسية للمجتمع المصرى فى أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر •

أما أحمـد عرابى فلا شك أن مواقفه الثورية قد أحدثت عددا من التغيرات السياسية لعل من أبرزها عزل عثمان رفقى وتشكيل وزارة وطنية جـــديدة ووضع مشروع لدستور مصرى ، وهى كلها مظاهر للتحديث السياسى وذلك اذا وضعنا فى الاعتبـار ظروف الحكم المطلق التى ســادت المجتمع المصرى آنــذاك •

أما القدر فلم يمهل الزعيم مصطفى كامل لكى يحقق آماله وآمال أمته ، فلم تحدث ـ فى حياته ـ مظاهر تذكر للتحديث السياسى ، الا اذا اعتبرنا تأسيس الحزب الوطنى كان أحد مظاهر هذا التحديث رغم أن لطفى الســيد ورفاقه قد سبقوه فى تأسيس حزب الأمـــة ، كذلك الشيخ على يوســف فى تأسيسه لحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية ، وهو الأمر الذى يجعلنـا نؤكد أن عدم حدوث مظاهر جادة للتحديث السياسى فى أيام مصطفى كامل تجعل من مقولة التحديث أحد محاور الاختلاف بين الزعماء رغم اتفاق زعامات ما قبل مصطفى كامل وما بعده (سعد زغلول) فى هذا المحور ، حيث خبـر المجتمع المصرى مظاهر عديدة من التحديث السياسى كانعكاس لقيادة هـــذه الزعامات للحركة الوطنية •

ويشكل دستور عـــام ١٩٢٣ وانتخابات عام ١٩٢٤ ، وتشكيل أول وزارة شعبية وأول برلمـان منتخب وأفول نجم الحكم المطلق مظاهر جــادة للتحديث السياسى ، وهى العملية التى ترتبت على احداث ثورة عام ١٩١٩ وزعامة سعـد زغـلول لهـا •

(٦)

ـ ويجىء المحور الخامس والأخير للكشف عن التمايزات القائمة بين الزعامات السياسية المصرية مشيرا الى الاهداف السلطوية لهذه الزعامات من حيث ميلها الى الحكم وشغفها بتملك السلطة الرسمية من خلال زعامتها ٠

واذا كنا فى تحديدنا لمفهوم الزعامة أشرنا الى أنها ـ أى الزعامة ـ هى سلطة خارج السلطة الشرعية بل تفوقها ، ولا ينبغى أن تكون السلطة أو الحكم أحد اهدافها وهو ما وجدنا نموذجا له لدى عمر مكرم الذى لم يفكر على الاطلاق فى أن يكون له دور سلطوى فى حكم البلاد ، وكذلك مصطفى كامل الذى لم ترد أحلام السلطة أبدا على خاطره ٠

أما أحمد عرابى ، فلقد تولى (نظارة) الحربية فى وزارة البارودى وسعد زغلول الذى تولى رئاسة أول وزارة شعبية تشكلت وفقا للانتخابات التى أجريت فى أثر اصدار دستور عام ١٩٢٣ ، ومهما قيل فى أسباب تولى عرابى أو سعد لهذه المناصب الرسمية فما كان ينبغى ـ وهما الزعيمان الوطنيان ـ أن يتركا الساحة السياسية الجماهيرية ويسعيان وراء مناصب رسمية وهما يملكان من القوة والسلطة ما يفوق أى سلطة شرعية أو منصب رسمى ، فما كان الزعماء أبدا ذوى مناصب رسمية ولا ينبغى أن يكونوا كذلك ٠

(ب) الزعامات السياسية المصرية والتراث النظرى لعلم الاجتماع السياسى

(٧)

من محاولتنا الرامية الى اخضاع مجموعة التساؤلات التى استقيناها من التراث النظرى الخاص بظاهرة الزعامة السياسية فى علم الاجتماع السياسى وما ارتبط بها من قضايا وظواهر أخرى ، للاختبار التاريخى والميدانى أشرنا اليهما فى الفصل الأول من هذا الكتاب ، تتضح لنا **مجموعة الحقائق الآتية :**

اولا : ان الزعامات السياسية المصرية التى اخضعناها للبحث والدراسة كانت تمثل قوة Power فى المجتمع ولكنها لم تكن على الاطلاق قوة اقتصادية ، ولم تكن قوة سلطوية رسمية ، بل كانت أقرب الى القوة المعنوية المتعلقة بسمات خاصة للزعماء وقدرات وكفاءات ومواهب تتسم بالندرة والعبقرية ٠

ثانيا : مالت غالبية الزعامات السياسية المصرية التى اشرنا اليها لذا ما حددناها على متصل الكارزمية ـ الشرعية Charisma-Legitimacy Continuum . الى الناحية الكارزمية الالهامية التى تستمد مقوملتها من السمات الخاصة التى تميز الزعيم أو القائد وهو ما يؤكد النتيجة التى أشرنا اليها فى « أولا » ٠

ثالثا : لعبت الظروف الموضوعية للمجتمع المصرى ـ لا سيما ظروف الحكم الاوتوقراطى و الحكم العسكرى الاجنبى ـ دوراً متميزاً فى بلورة الزعامات السياسية المصرية ، وهو ما يتناقض مع ما ذهب اليه هيرمنز Hermens من أن ظروف المجتمع الديمقراطى هى التى تعمل على خلق الزعامات السياسية وما يؤكد فى نفس الوقت ما ذهب اليه السير رايت ميلز Mills من أن فهم الصفوات والزعامات ينبغى أن يكون فى ضوء الظروف الموضوعية للمجتمع والسياق الاجتماعى Social Context وذلك فى معرض مناقشته لفهوم صفوه القوه The Power Elite .

رابعا : يؤكد العرض السابق أن الزعامات السياسية المصرية هى التى خلقت الثورات وليس العكس ، مع الاعتراف بأن الثورات المصرية قد بلورة هذه الزعامات وجسدتها ولكنها لم تخلقها ، وفى هذا نتفق مع هيرمنز Hermens من أن نجاح الثورات يستوجب وجود زعامات سياسية تقودها وتوجهها وتحدد مسيرتها ٠

خامسا : أكد العرض السابق أن الزعامات السياسية المصرية لم تكن فى الواقع الا صفوة Elites متميزة فى المجتمع ، وان تعددت مصادر هذه الصفوات ما بين مصدر دينى وآخر عسكرى وثالث سياسى ورابع ذى ماهية ثقافية متميزة ، وهو ما يؤكد ما ذهب اليه التراث النظرى للزعامة السياسية فى تأكيده على الصفوات باعتبارها مصدرا هاما لتفريخ الزعامات ٠ مع ملاحظة أن الزعامات السياسية المصرية قد تجاوزت الحدود الضيقة لصفوتها حيث التفاعل الدينامى مع الجماهير ٠

سادسا : كشف العرض السابق عن اختلافات بينه بين المؤرخين المصريين فى تقويمهم للزعامات السياسية المصرية وهى اختلافات تكشف عن

تناقضات ايديولوجية وسياسية **Ideological and Political Contradictions** بين المؤرخين المصريين وهو ما يؤكد تأثير الايديولوجيا على الطـــرح الفكرى الذى تفـــرزه علوم المجتمع والمتخصصون فى علوم الانسان والمجتمع ومنهم المؤرخون ، وهو ما يثير عـــددا من التساؤلات حول مدى توفر الموضوعيـــة Objectivity فى تقويمات المؤرخين ودور الايديولوجيا كأحد عوائق تحقيق الموضوعية فى علم الاجتماع وغيره من علوم المجتمع ·

المبحث الخامس

الزعامات السياسـية المصرية

مظـــاهر التمـاثل ومؤشرات التميـز

تمهيـــــد

هذا الفصل لا يعنى بمجرد التأريخ للمجتمع المصرى لحقبة ما بعـــد الخمسينات ولا يعـد محض رصـد لوقائع يوليو ١٩٥٢ وأحداثها وما ترتب عليها من تغيرات أصابت للبناءين الاجتماعى والسياسى للمجتمع المصرى ، فما كتب عن ثـــورة يوليو من الكتب والمؤلفات والمقالات والدراسات سواء العربية أو الأجنبية من الكثرة والوفرة بحيث لا نعتقد اننا اذا ما حاولنـــا التاريخ أو الرصد لهـــذه الحقبة أننا سنأتى بجديد ، بل سنكون مجـــرد محاكين لهذا التراث مرددين له ، رغم ايماننا بأن القصة الحقيقية لثـــورة يوليو ١٩٥٢ لم تكتب بعد ، لاسيما وأن هناك من الوثائق والخبايا والوقائع مالم يفصح عنـــه بعـــد ٠

بيـد أن هذا الفصل عرض تحليلى لظاهرة الزعامة السياسية كمـــا تبدت فى فترة ما بعد عام ١٩٥٢ **وذلك فى ضوء :**

١ ـ مجموعة التساؤلات التى أثيرت فى الفصل الأول من هذا المؤلف وهى الخاصة ببعض القضايا المرتبطة بظاهـــرة الزعامة السياسية كظاهرة الصفوة والسلطة والقوة والثورة والايديولوجيا والتحديث السياسى ٠

٢ ـ علاقة طبيعة الزعامات السياسية لفترة ما بعـــد الخمسينات **بـــكل من :**

(أ) الانتماء الطبقى والفكرى لزعامات هذه الفترة ٠

(ب) موقف الشعب المصرى من زعامة هذه الحقبة ودور الوعى السياسى المصرى فى خلق هذه الزعامة ٠

(جـ) دور التأثير الكاريزمى لعبد الناصر فى استمرار زعامة الخمسينات والستينات ٠

(د) صيغة الحكم وطبيعة النظـام السياسى لحقبتى الخمسينـــات والستينات ٠

٣ ـ ما أفرزته التجربة الناصرية من مظاهر التحديث السياسى ٠

٤ ـ طبيعة النموذج الناصرى فى علاقته بطبيعة النماذج الزعامية لدول العالم الثالث ٠

٥ ـ زعامة السبعينات ومحاولاتها لاحياء الليبرالية واجراء بعض بعض مظاهر التحديث السياسى ٠

ورغم حساسية قضية الزعامة السياسية فىمصر فيمابعد الخمسينات، الا أن الطرح الموضوعى لها والمعالجة العلمية لأبعادها وما يتاح حاليا من حرية نسبية فى تناول مثل هذه الظواهر قد يقلل كثيرا من درجة الحساسية هذه٠

ولكننا لا ندعى ـ فى طرح مثل هذا الموضوع ـ وصولنا الى درجة عالية من الموضوعية ، فما وجد بعد هذا الباحث الموضوعى المطلق ، لاسيما وأن معالجة الظواهر الاجتماعية والسياسية من العسير تناولها بمنأى عن الأبعاد الذاتية للباحث ، ولكننا حاولنا بقدر الامكان أن تكون متغيرات الواقع الاجتماعى والسياسى هى دليلنا فى الكشف عن ماهية الزعامة السياسية فى مصر فيما بعد الخمسينات وهى محكات موضوعية واقعية أفرزتها طبيعة النمط الزعامى السائد فى تلك الحقبة ، رغم تأكيدنا على أن محاولات تحليل هذه المتغيرات وتفسيرها قد تختلف من باحث الى آخر ، باختلاف المنطلقات الفكرية والايديولوجية للمحللين ومحاولى التفسير ٠

المبحث الأول

الثــورة والصــفوة العســكرية

عــود على بــدء

(١)

اذا كان أحمد عرابى قد قدم نموذجا للزعامة السياسية المصرية المنبثقة عن الصفوة العسكرية **Military Elite** المصرية بكل محاسنها ومثالبها ، فانه من المؤكد أيضا أن جمال عبد الناصر قد استطاع أن يكشف عن نموذج آخر لزعامات الصفوة العسكرية الوطنية التى جمعت بين كراهيتها للسلطة الحاكمة والمستعمر الاجنبى ومحاولتها ايجاد طريق (للخلاص) من أزمات المجتمع المصرى سواء فى صورتها السياسية أو فى أبعادها الاجتماعية والاقتصادية المختلفة(١) ٠

والصفوة العسكرية التى يمثلها عبد الناصر ، صفوة ، تفاعلت مجموعة من العوامل فى صياغة ماهيتها وتحديد معالمها ، ويبرز على قمة هذه العوامل الوعى بأزمة المجتمع المصرى الذى تجسدت أولا فى الاحتلال الانجليزى وثانيا فى فساد القصر وعجز مجموعة الوزارات التى توالت على حكم مصر ، سواء الوزارات الوفدية أو غيرها من الوزارات المؤتلفة أو المستقلة ، عن ايجاد صيغة ملائمة لخلاص المجتمع المصرى من براثن الاستعمار ، وحل القضية الوطنية فضلا عن الفشل المستمر الذى أصاب الوزارات المصرية فى أن يكون لها كيان مستقل بعيدا عن ممارسات القهر السياسى والسلطوى الذى كان يمارسه القصر وتعسفه فى استخدام حقه الدستورى فى اقالة البرلمان والوزارة، الى جانب المواقف الانتكاسية التى أصابت الليبرالية السياسية المصرية ، والمظاهر المتعددة للصراع الحزبى الى الدرجة التى وصلت الى قمة التكالب المسف على السلطة والحكم(٢) ٠

---

(١) انظر قصة تكوين خلايا الضباط الاحرار فى : جورج فوشيه ، جمال عبد الناصر فى طريق الثورة ، تعريب نجده هاجر وسعيد الغز ، منشورات المكتب التجارى ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٠ ، ص ١٦٩ وما بعدها ٠

(٢) انظر تفصيلا لذلك فى : طارق البشرى ، الخريطة السياسية والاجتماعية لثورة ٢٣ يوليو ، الطليعة ، العدد (٧) ، يوليو ١٩٦٥ ، ص ص ٨ ـ ٣١ ٠

ولاشك أن الانتماء الطبقى والاجتماعى الذى جمع الصفوة العسكرية التى كان ينتمى اليها عبد الناصر ورفاقه من الضباط الأحرار ، كان من بين عوامل التقارب بين أعضاء هذه الصفوة ، فغالبية هذه الصفوة ممن ينتمون الى الطبقات الدنيا الكادحة أو الطبقات المتوسطة الواعدة سواء فى الريف أو فى الحضر ، وهو ما ولد الوعى والاحساس بحقيقة (القضية الاجتماعية) وبطبيعة التمايزات الاجتماعية والطبقية ، فضلا عن الادراك الواعى لطبيعة الاستغلال الاجتماعى وصوره أو مظاهره المتعـددة ٠

(٢)

ولعل هذا التمثل الجيد والواعى لظروف المجتمع المصرى وتاريخه من قبل بعض أعضاء الصفوة العسكرية الوطنية ، قد تفاعل مع الحماس الوطنى الأمر الذى (ولد) احساسا بضرورة أن تكون هناك طريقة للخلاص ، فـكان تنظيم الضباط الأحرار ، وكانت النية الصادقة فى حتمية احداث تغيير جذرى بحدد معالم طريق مستقبل المجتمع المصرى ، سياسيا واجتماعيا ٠

ولكن رغم هذا الاختلاف الثقافى ، أو على الأقل الاختلاف فى مصـــادر ثقافة هذه الصفوة العسكرية(١) الا أنهم اتفقوا على طريقة الخلاص وهى الثورة ، ويؤكد ذلك جمال عبد الناصر فى خطاب أرسله الى صديقه حسن

= وانظر كذلك فى قصة الثورة ووقائع ما قبل الثورة : أنور السادات ، البحث عن الذات (قصة حياتى) ، المكتب المصرى الحديث ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ص ٨٣ - ١٠٧ ٠

وأيضا : جاك دومال ومارى لوروا ، جمـــال عبد الناصر من حصــــار الفالوجـه حتى الاستقالة المستحيلة ، ترجمة ريمون نشاطى ، دار الآداب ، بيروت ١٩٦٨ ٠

(١) لا أقصد بهذا المستوى التعليمى ، حيث أنهم تماثلوا فى هذا المستوى ، ولكنهم اختلفوا نوعا ما فى طبيعة المصادر التى استقوا منها ثقافتهم ، حيث تباينوا بين متأثر بالافكار اليسارية وآخر بالافكار اليميبية وثالث بالرؤية الاسلامية ... الخ ٠ ويؤكد كل من فوشـيه وبيتر مانسفيلد Mans Field ان جمال عبد الناصر قد قرأ الكثير عن مفكرى القرن التاسع عشر وزعمائه ومن جاءوا بعدهم فقرأ عن روسو وفولتير وديكنز وحياة يوليوس قيصر والكسندر ونابليون وغاندى ، فضلا عن قراءاته المتنوعة عن بعض أعلام الفكر المصرى وبعض الزعمـاء المصريين الذين لعبوا دورا فى تاريخ الحركة الوطنية فقرأ عن مصطفى كامل ومحمد عبده ... الخ ٠ ويذهب بيتر مانسفيلد الى ان عبد الناصر قد تأثر اول الأمر بالوفد ثم تحـول عنه الى حزب مصر الفتاة ولكنه شعر - حسبما يشير مانسفيلد - أن أحمد حسين ليس بالزعيم الذى تحتاجه مصر ٠ Mansfield, Peter, Nasser's Egypt, Penguin Books, Middle Sex, 1969, P. 31.

النشار فى عام ١٩٣٥ حيث يتساءل فيه : أين الكرامة .. ؟ أين الوطنية..؟ أين نشاط الشباب .. ؟ من الذين يستطيع ايقاظ المصريين هؤلاء المخلوقات البائســــــة ؟(١) .

ولنا أن نستشف من تــــلك التساؤلات التى أثارها عبد الناصر مدى الاحساس بأزمة المجتمع المصرى ، وبحتمية الخلاص من هذه الأزمة ، ومدى الحماس الذى كان يمثله عبد الناصر الشاب . ولكن هل يكفى الحماس والنية الصادقة والوعى بأزمة المجتمع لخلق الشخصية الزعامية وقيادة أمة ؟ وهل تكفى السمات الكازرمية التى كان يتمتع بها عبد الناصر من قوة الشخصية والقدرة على التأثير فى الآخرين لخلق الزعامة السياسية الحقيقية ؟ .

والواقع أن عبد الناصر كان يعكس بجلاء الكازرمية الزعامات الصفوة العسكرية ، وهى زعامات تعتمد على مواهب أو قدرات خاصة فى تزعم الصفوة أولا ثم محاولة تزعم الأمة ثانيا من خلال التأثير الكازرمى الذى يمارسه هذا الزعيم ــ ان صح أنه زعيم ــ على الشعب .

فالصفوة العسكرية عادة ، جماعة متميزة ، على قدر مناسب من الوعى والادراك لمشكلات المجتمع العسكرى ، ثم انها على قـــدر من الحس الوطنى العام بمشكلات المجتمع ككل ، فهى صفوة يغلب عليها الحماس والوطنية ، وهو الأمر الذى تبدى فى أحداث يوليو عام ١٩٥٢ والتى يعتبرها رايموند بيكر Barker ثورة من أعلى Revolution from above عند تصنيفه لثورة يوليو فى دراسته عن ثـــورة مصر تحت حكم ناصر والسادات(٢) ذلك على اعتبار ــ كما يذهب بيكر ــ أن من قام بها لم يتعد مجموعة الضباط الأحرار كممثلين للصفوة العسكرية الواعية ، وهى ــ أى الثورة ــ على حسب ما يرى بيكر ــ لم تكن ثورة من أسفل نظرا لغياب القاعدة الشعبية عن الاسهام فيها فى أول الأمر .

---

(١) Ibid, P. 35.

(٢) Baker, Raymond, William, Egypt's Uncertain Revolution Under Nasser and Sadat, Harvard Univ. Press, 1978.

ولقد اعتمدنا على العرض الذى قدمه للكتاب وحيد عبد المجيد ، مجلة السياسة الدولية، العدد (٦٠) ، ابريل ١٩٨٠ ، ص ص ٢١١ ــ ٢١٤ .

(٣)

فالحـــركة الناصرية فى يوليو ١٩٥٢ ، وهى حركة الصفوة العسكرية المستنيرة ، قد انطلقت من الحماس الوطنى المفرط والاحساس بأزمة المجتمع المصرى اعتمادا على السمات الكارزمية لقائد الحركة ، ومن الملاحظ عادة أن غالبية الثورات أو الحركات التى تنطلق أساسا من خلال الصفوة العسكرية ـ والتى أسماها باكر الثورة من أعلى ـ تعتمد فى المحل الأول لنجاح هـــذه الحركة على السيطرة على الاوضاع العسكرية والقوى المشكلة للجيش وعلى السمات التى يتحلى بها الزعيم ٠ وقـــد يقال على نحو ما يـــذهب ارفينج هورويتز **Irving Horowitz** ان بعض المجتمعات المتخلفة وذات المشكلات السياسية والاقتصادية والتى تسودها الأميـــة لا تحتاج الى الزعامات أو القيادات العقلانية أو الرشيدة **Rationalistic Leaderships** قدر احتياجهـا الى القيادة أو الزعامة الكارزمية **Charismatic** ، لا سيما بالنسبة لمشكلات التنمية ـ أن تضع الحلول الجاهزة والسريعة للاسراع بحـــل مثل هـــذه المشـــكلات(١) ٠

ورغم تحفظنا على اشارة هورويتز هذه فانه من المؤكد أن عبد الناصر كان يمثل ـ من خـــلال حركته ـ نموذجا للقائد الكارزمى العسكرى ، الذى استطاع بمهارة ـ ومن خلال التفاعل الايجابى من رفاقه ـ أن يقدم نموذجا للثورة العسكرية البيضاء ٠ ولكن من المؤكد أن هـذا النقاء الثورى قد شابه كثير من الظلال التى باعدت بينـــه وبين صفته غير الدموية ٠

ولكن هل يمكن أن تعتبر ظروف المجتمع المصرى ونسبة الأمية والأزمات السياسية والاقتصادية مـــبررا لظهور الزعامة الناصريـــة الكارزمية التى انطلقت من خلال الصفوه العسكرية ؟ وهل مجتمع بمثل تلك الظروف التى مرت بمجتمعنا المصرى لا تجدى معه الا مثل هذه النوعية من القيادات على نحو ما يرى هورويتز **Horowitz** والذى ينفى فى الآن نفسه امكانية نجاح الزعامة الرشيدة أو العقلانية فى بعض المجتمعـات الافريقيـــة ومنهـــا مصر بطبيعة الحـــال ؟ ٠

---

(١) Horowithz, Irving, Louis, Three Worlds of Development. The Theory and Practice of International Stratification, Oxford, New York, 1966, P. 241.

وقد يكون بالفعل أن طبيعة المجتمع المتخلف **Underdeveloped Society** هى التى تعطى للقيادة الكارزمية فرصة الظهور والتألق بمعنى أن هـــذه الزعامات لا يمكن أن تتخلق فى ظل مجتمعات حققت أشواطا كبيرة من الرقى والتقـدم ، لذلك فانه من المـــؤكد أن انخفاض المستوى الاجتماعى والثقافى وانخفاض مستوى الوعي السياسى **Political Consiousness** لدى المجتمعات المتخلفة يتيح لتلك الزعامات السياسية الكارزمية التألق والظهور ، فضـــلا عن الاستمرار فترة طويلة من الزمن .

ولكن رغم ذلك فاننا قد لا نوافق هورويتز **Horowitz** فيما أكد عليه من أن المجتمعات المتخلفة لا تصلح معها الا القيادات أو الزعامات الكارزمية ، نظرا لأن مثل هذه المجتمعات ـ فيما نتصور ـ أشـــد ما تكون احتياجا الى زعامات ناضجة وواعية تجمع بين العلم والخبرة والحس السياسى الرشيد أكثر من احتياجها الى زعامة تعتمد فقط على مواهبها الكارزمية ، الأمر الذى قد يزيد هذه المجتمعات تخلفا على تخلفها .

(٤)

ويمكننا القول أن الزعامات الكارزمية ينبغى أن تكون زعامات قصيرة الأمد ، بمعنى أن يكون لها دور موقوت ، لا سيما بالنسبة للبدايات الأولى للثورة أو الحركة ، ثم عليها بعد ذلك أن تسلم الأمر كله للزعامات العقلانية الرشيدة التى تجمع بـــين النضج أو الخبرة السياسية والابعـــاد الفـكر والايديولوجية . ولا شك أن الزعامات الرشيدة تعد ـ فى يقينى ـ من بـــين (ضمانات) احراز التقدم وتجاوز عثرات الطـــريق ، وهى المقومات التى تفتقدها كثيرا الزعامات الكارزمية .

فالزعامة الناصرية اذن ـ ومن خلال حركتها الثورية الفوقية ـ قـد استطاعت أن تتخلق ليس فقط بفضل الظروف الموضوعية لتخلف الانســان المصرى ، ولكن أيضا بسبب حالة السأم السياسى الذى أصاب هذا الانسان، وفقدانه الثقة فى الساسة القدامى نظـرا لعجزهم عن حل القضية الوطنية ، ومن ثم كان تصور هـذا الانسان المصرى أو فى الزعامة الناصرية العسكرية (الخلاص) من ازمة هذا المجتمع ، وأنه ـ ورفاقه ـ قادرون على انجاز مالم

ينجزه الآخرون ، ولعل هذا يكشف لنا عن علة هذا التأييد الشعبي والجماهيري للحركة و للقائمين بها منذ اللحظة الأولى ٠

فلا شك اذن أن السياق الاجتماعي والسياسي للمجتمع المصري ، يستطيع أن يقدم لنا تفسيرا مقبولا لتألق هذه الصفوة العسكرية وظهور عبد الناصر بكارزميته كأحد الابطال الذين يمكن يتحقق على أيديهم الخلاص ، أو هكذا كان يتصور أقل الناس تفاؤلا ٠

والبطل ، والبطولة كأحد رموز القوة عادة ما تستهوى الشعوب ذات المستويات الثقافية والتعليمية المتواضعة حتى ولو حمل هؤلاء الابطال من الأوهام والمنى أضعاف ما يحملونه من الحقائق أو المقومات المضوعية ، ومن ثم كان هذا التقدير الجماهيري للظاهرة الناصرية ، وهو تقدير يغلب عليه الحماس العاطفي والتأييد الانفعالي الوجداني ٠

(٥)

لذلك فان ما أشار اليه بوتومور Bottmore ثم محمد على محمد فى تعيينه لماهية الصفوة العسكرية(١) وما أكد عليه السير رايت ميلز Mills من ضرورة فهم ظاهرة الصفوة فى ضوء الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع أو من خلال طبيعة السياق الاجتماعي والسياسى وما بتميز به البناء الاجتماعي من ماهية خاصة(٢) يمكن أن يفسر لنا أسباب تخلق الزعامة الناصرية فى تلك الحقبة من تاريخ المجتمع المصرى ٠

فمن المؤكد اذن أن الزعامة الناصرية كانت قوة Power لم تستمد مقوماتها من وضعية اقتصادية معينة ـ نظرا لطبيعة الانتماء الطبقى لعبد الناصر ورفاقه ـ ولم تكن هذه القوة ذات أبعاد فكرية أو ثقافية بعينها، بل لم يكن المصدر الوحيد لهذه القوة الا المصدر العسكرى ، وهى سمة اشترك فيها عبد الناصر مع أحمد عرابى ، بل نستطيع أن نؤكد أن المصدر العسكرى لقوة زعامات العالم الثالث يكاد أن يكون سمة مشتركة تجمع بينهم ٠

---

(١) انظر : محمد على محمد ، دراسات فى علم الاجتماع السياسى ، ص ص ٣٦٠ ـ ٣٦٧ ٠

(٢) Mills, Wright, The Power Elite, P. 296.

ولثورات الصفوات العسكرية(١) ملامحها ومقوماتها ، فهى فضلا عن كونها ثورات من أعلى على نحو ما يذهب كل من بيكر Baker وهورويتز، الا أنها تفتقد التوجيه الفكرى أو العقائدى ، وهو الأمر الذى سوف يتكشف لنا من خلال المبحث الثانى من هذا الفصل ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تتسم تلك الثورات – من خلال زعاماتها – بالمركزية الشديدة واتخاذ الاوتوقراطية أو النزعة الفردية فى الحكم كاسلوب أو كمنهج لتسييس امور الدولة ٠

ومن بين الملامح المميزة لثورات الصفوات العسكرية ، غياب الرؤية الاجتماعية ، أو البعد الاجتماعى للثورة ، وهو غياب قد يكون موقوتا ، وقد يكون غيابا أبديا ، وهنا تفقد الثورة أهم مقومات استمرارها وتعد مجرد انقلاب عسكرى يعجز عن احداث تغييرات ذات دلالة فى طبيعة البناء الاجتماعى والسياسى للمجتمع ، وتصبح غالبية المحاولات لتغيير المجتمع مجرد تغييرات مظهرية لا تمس الجوهر من قريب أو من بعيد ٠

اذن من الممكن أن ننظر الى الزعامة الناصرية من هذه الابعاد الثلاثة : البعد الفكرى أو الايديولوجى ، والبعد الخاص بصيغة الحكم ، ثم أخيرا الرؤية أو البعد الاجتماعى وهذا ما سوف تكشف عنه الصفحات التالية ٠

---

(١) يذهب كمال جنبلاط الى أن عبد الناصر قد صرح له فى أحد المناسبات « أن أضخم وأخطر عمل قمت به فى نظرى وبالنسبة لى ، وهو أخطر من انجازات الثورة ذاتها هو : اننى تمكنت أن احول تماما بين الجيش وبين ممارسته للسياسة » ولسنا ندرى الى اى صفوة ينتمى عبد الناصر وهو فى وضع الممارس للسلطة والسياسة ، أليس ينتمى الى العسكريين ؟ أليس هناك تناقض بين القول والفعل ٠

انظر تقديم ترجمة كتاب جاك دومال ومارى لوروا ، جمال عبد الناصر من حصار الفالوجا حتى الاستقالة المستحيلة ، ص ٩ ٠

المبحث الثاني

انتكاسة الليبرالية بين الايديولوجية الغائبة

وتطلعات الزعامة الكارزمية

(١)

تمثـــل الرؤية الفـــكرية للزعيم السياسى أو النسق العقـــائدى والايديولوجى له أحـــد المقومات الاساسية لصـــياغة الشخصية الزعامية الحقيقية وطابعه القيادى بصورته المتكاملة ، ولقد انعكس هذا التصور فيما أثرناه فى المباحث الســـابقة عن الزعامات السياسية المصرية التى سبقت عبد النـــاصر ٠

وتكشف لنا الرؤية التتبعية للتاريخ الثقـــافى لعبد الناصر أنه رغم قراءاته المتنوعة فى التاريخ والسياسة وخاصـــة تاريخ الساسة والمصلحين والزعماء أنه لم يستطع أن يكون منظومة فكرية ذات ملامح متكاملـــة الا اذا اعتبرنا كتاب فلسفة الثورة ممثلا للفكر الناصرى رغم تشكك البعض فى شرعية انتماء هذا الكتاب الى عبد الناصر كمؤلف ٠ ولكن من المؤكد أن ثورة يوليو قد قامت بلا نسق فكرى أو عقائدى متميز ، أو اطار نظرى مكتمل الأبعاد اللهم الا مبادىء الثورة الستة التى تداعت وتهاوت منـــذ اللحظة الأولى للممارسة الواقعية للسلطة والحكم حيث أضحى (بعضها) مبادىء بلا مضمون وفرغت تماما ، من معانيها الحقيقية ، وأصبحت محض شعارات جوفاء ، لا سيمـــا فيما يتعلق باقامة دعائم المجتمع الديمقـــراطى ٠

ولعـــل الطبيعة العسكرية للتجـــربة الناصرية ومقومات الشخصية الكارزمية لعبد الناصر قد باعدت بينه وبين تأسيس رؤية فكرية محـــددة الملامح ، ولكن رغم المحاولات المتعثرة والمهترئة لتقديم ما يسمى بفكر الثورة وبناء الدولة الحديثة منذ فلسفة الثورة والميثاق الوطنى وبيان ثلاثين مارس، الا أنها لم تكن الا مجرد مجموعة أفكار قدمت وفقا لظروف كل مرحلة ، وغلب على معظمها الطابع الايديولوجى المـــاركسى (الميثـــاق الوطنى)(١) ، حيث

---

(١) انظر كنموذج للتفسير الماركسى للميثـــاق الوطنى فى : لطفى الخولى ، الميثـــاق

بدى الماركسيون فى الستينات فى صورة منظـــرى أو مفكرى السلطة ، وهى الفترة التى هادن فيها عبد الناصر الجماعات المـــاركسية فى مصر لاعتبارات سياسية عالمية واستقراء مضلل لأبعاد السياسة الدولية ومتغيراتها ٠

فالفكر الناصرى اذن قد خضع بصورة أو بأخرى لتقلبات السياســـة الداخلية والخارجية معا ، وهذا ما يكشف عن حقيقة هامة ، هى أن الثورة قد قامت بلا تنظير فكرى ، وانما قامت ويحددها الحماس الوطنى والنيـــة الصادقة ، معتمدة على مبادئها الستة ومجموعة الانطباعات التى ظهـرت فى كتاب فلسفة الثورة ، والتى عجزت من خلالها عن تقديم صيغة فكرية تفصح عن فلسفة متكاملة للثورة ، وهو الأمر الذى أكده رايموند بيكر Baker عند مناقشته لأسباب تعثر ثورة يوليو ١٩٥٢ والتى أشار فيها الى عـــدم قدرة الثورة على صياغة الاطار الفكرى والمؤسسى (الايديولوجيا والتنظيم) ، والذى يعـــد من أهم أسباب الفشل الذى منيت به الثورة أثنـــاء مسيرتها السياسية والاجتماعية(١) ٠

(٢)

ولقد انعكس هذا التخبط الفكرى على جميع مراحل المسيرة الثورية ، وهو التخبط الذى تبدت مظاهره من خلال أول اجراء سياسى قامت به الثورة بعد الغاء الملكية ، وأعنى به الغاء النظام الحزبى فى مصر والغاء دستور عام ١٩٢٣ ، وهو الاجراء الذى أعتبر عندئذ أول انتكاسة للديمقراطية الليبرالية، تلك الانتكاسة التى تجسدت بصورة جلية فى كل مظاهر الحكم الاوتوقراطى بدءا بتفضيل نظام الحزب الواحد وخلق صيغ وهمية غير واقعية لتحالف قوى الشعب العاملة ، والتى ظهرت من خلال التجارب التنظيمية الثلاث وأعنى بها هيئة التحرير والاتحاد القومى والاتحاد الاشتراكى ، وهى الفلسفة التى

الوطنى : قضايا ومناقشات (المكتبة الثقافية) ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمــة والطباعة والنشر ، أغسطس ١٩٦٢ ٠

(١) بيكر ، الثورة المصرية تحت حكم ناصر والسادات ، عرض وحيد عبد المجيد ، مجلة السياسة الدولية ، ابريل ١٩٨٠ ، ص ٢١٢ ٠

وجدت صدى وتشجيع من الجماعات غير اليمينية فى مصر(١) وانتهاء بمهزلة المجالس النيابية والمجالس الشعبية ومحاولة تكوين جبهـــة طليعة تـدين بالولاء للنظام الناصرى ٠

ولعل تلك الانتكاسة الليبرالية التى تبدت فى المركزية الشديدةوالقضاء على المعارضة والتنكيل بهـا من خلال التنظيمات الأحادية قـــد كشفت عن مظاهرها الحقيقية من خلال التجارب الدستورية التى مرت بها مصر منـــذ عام ١٩٥٢،حيث شهدت مصر منذ قيام الثورة سبعة من الدساتير والاعلانات الدستورية فى أعوام ١٩٥٣ ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٨ ، ١٩٦٢ ، بمعنى أن تعـــدد الانظمة الدستورية قد فاق تعدد الرئاسات ، ومن بين تلك الدساتير لم يصدر من خلال استفتاء شعبى عام سوى اثنين فقط هما دستورا ١٩٥٦ ، ١٩٧١ ، أما البقية فقد صدرت بقرارات من رئيس الجمهورية ومن حيث المضمون نجد أن النظام المصرى قـــد تبنى الاسلوب الرئاسى للحكم بصورته التقليدية الا أنه أضاف اليهثلاث مسائل أخرى أولها أن اختيار الرئيس يتمبالاستفتاء لا بالانتخاب ، وثانيها أن الرئيس يملك حـل البرلمـان (فيما عدا دستور ١٩٧١) وثالثها أنه من حق الرئيس دستوريا رئاسة التنظيم الشعبى ٠٠ وعادة ما تجيء نتيجة الاستفتاء على رئيس الجمهورية شبه اجماعية وذلك تأكيدا لوضعه ولأن الكشف عن وجود أقلية ذات وزن لا تعطيه تأييدها قـــد يبرر طلب اجراء انتخابات على منصب الرئاسة٠ وقد يبرر بالتالى مطالبة تلك الأقلية بحق الوجود السياسى(٢) ٠

(٣)

فلا شك أن تفضيل نظام الحزب الواحد بتجاربه الثـــلاث والمركزية الرئاسية والتأكيد على حقوق رئيس الجمهورية والذى كشفت عنه مجموعة

---

(١) انظر : لطفى الخولى ، الدولة والتنظيم السياسى فى التجربة المصرية ، الطليعة ، العدد (٧) ، يوليو ١٩٦٥ ، ص ص ١٠٩ ـ ١٣١ ٠

وانظر ايضا بعضا من مقالات على صبرى التى نشرت فى جريدة الجمهورية من ٢٣ ديسمبر ٦٦ الى ٣١ مارس ١٩٦٧ ، منشورات البنك الاهلى المصرى (ادارة الشئون العامة ، القاهرة ١٩٦٧ ٠

(٢) انظر : طارق البشرى ، ثورة ٢٣ يوليو وقضية الديمقراطية فى : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الديمقراطية فى مصر : ربع قرن بعد ثورة ٢٣ يوليو (تاليف مجموعة من الباحثين) ، يوليو ١٩٧٧ ، ص ٢١ ٠

التجارب الدستورية،وهى الحقوق التى مالت بنظام الدولة نحو الاوتوقراطية والحكم الفردى رغم النص أحيانا على بعض الحقوق للافراد(١) ، فبعد الناصر كان دائما يضيق بالمعارضة فلقد كان يعتبر «٠٠٠أن أى احتجاج أو اعتراض أو نقد أو حتى محاولة لتقصى الحقائق ومناقشتها أو مجرد التنفيس عما بالصدور يعد ثورة مضادة ٠٠ ولابد من اجراءات لمواجهتها »(٢) ٠

وتلك هى الأوتوقراطية فى قمة تطرفها وهى نتيجة طبيعية لفشل الزعامة الناصرية فى تحقيق أى مظهر من مظاهر التحديث السياسى على نحو ما يذهب كليمنت مور Moore الذى يرى أن الناصرية لم تستطع أن تحقق هذا التحديث والذى يعنى تغيير صيغة الحكم من الصيغةالاوتوقراطية الى النمط الديمقراطى وهو أمر كان ينبغى أن يتحقق كانعكاس طبيعى لأحداث يوليو ١٩٥٢ باعتبارها أحد مظاهر أو أشكال الحركات الاجتماعية التى يتوقع بعدها تغييرات بنائية فىالمظاهر السياسية للمجتمع وهو مايطلق عليه مور اسم التحديث السياسى ، وهو ما عجزت عن تحقيقه الزعامة الناصرية(٣) ٠

ويدلل مور على فشل الزعامة الناصرية فى خلق تنظيمات سياسية يمكن أن تفرز زعامات سياسية جديدة بتلك الدراسة التى قام باجرائها ر٠ هراير ديكمجيازDemkmejianعلى مائة وواحد وثلاثين وزيرا مصريا بين عامى ١٩٥٢ ــ ١٩٦٨ ، حيث لاحظ أن هناك وزيرين فقط كانا يشغلان عدة مناصب بالتنظيم السياسى ، بينما كان هناك على الأقل حوالى ثلاثة وثمانين وزيرا كانوا يشغلون مراكزهم فى التنظيم السياسى أثناء توليهم الوزارة أو بعد اقصائهم عنها(٤) ٠

---

(١) انور السادات ، البحث عن الذات : قصة حياتى ، ص ١٧٩ ٠

(٢) Moore, Clement, Henry, Authoritarian Politics In

(٣) Unincorporated Society : The Case of Nasser's Egypt, **Comparative Politics**, April, 1974, P. 197.

(٤) Ibid, P. 197.

وقـــد يتسق الاتجاه الأوتوقراطى(١) فى الحكم مع طبيعـة الزعامة الكارزمية التى تدور عادة حول ذات الزعيم ، ولكن يبدو أيضا أن التصور الناصرى للديمقراطية قد يكون مسئولا عن تلك النزعة الأوتوقراطية ، حيث يذهب معرفا الديمقراطية بأنها تعنى تأسيس العدالة الاجتماعية وتحقيق قدر من العدالة بـين الطبقات • والديمقراطية كما يرى عبد الناصر تعنى ألا يكون الحكم مجرد احتكار اقطاعى واستغلال رأسمالى ، بـل ينبغى أن يكون الحكم موجهـا لرفاهية كل الامة •• فالديمقراطية ـ كمـا يذهب عبد الناصر ـ لا يمكن أن تخلق ببساطة من مجرد وجود دستور أو برلمـان ، ولكنها تخلق من خلال القضاء على الاقطاع واحتكار رأس المـال وسيطرته على الحـكم(٢) •

(٤)

ويكاد يجمع مؤرخو الفكر السياسى بدول العالم الثالث ومنها مصر الناصرية على أن الزعامة الكارزمية تنهض على أساس رفض فكرة تعـدد الاحزاب والاتجاه الليبرالى فى الحكم ، ويعتمد هـذا الرفض على التصور القاصر لزعامات هـذه الدول لمفهوم الديمقراطية ، فالتصور النـاصرى للديمقراطية كما أشرنا لا يرى فى الدستور أو البرلمـان أهمية بقـدر ما يرى فى القضاء على الاقطاع وتحقيق الرفاهية الاجتماعية هدفا أساسيا للديمقراطية كما يفهمها هو ، ولكن كيف تتحقق الرفاهية الاجتماعية فى غيبة الديمقراطية وبمنأى عن الدستور والبرلمـان ؟ •

ويـرى هوروويتز أن زعامات العالم الثالث فى رفضها لفكرة تعـدد الأحزاب ونبذها للفكر الليبرالى انما تعتمد على مجموعة من التبريرات يمكن ايجازهـا فيمـا يـلى :

أولا : يعمل نظام تعدد الأحزاب على تفتيت الوحدة الوطنية •

ثانيا : ان التنظيمات السياسية الوطنية (كهيئـة التحرير والاتحاد

---

(١) انظر قصة التجربة السياسية فى مصر بعد عام ١٩٥٢ فى : سيد مرعى ، التجربة السياسيـة فى مصر من التنظيم الواحد الى تعدد الاحزاب فى مركز الدراسـات السياسية والاستراتيجية ، الديمقراطية فى مصر : ربع قرن بعد ثورة ٢٣ يوليو ، ص ص ٢٨ ـ ٣٣ •

(٢) Lewis, Bernard, The Middle East and The West, Weidenfeld and Nicolson, London, 1964, PP. 63 - 64.

القومى والاتحاد الاشتراكى) تعمـــل على تجميع آمال الشعب نحو تحقيق التحـــرر الوطنى .

ثالثا : يعـد نظام تعدد الأحزاب اهدار للقوى العاملة والزمن . كما أن هذا النظام لا يعتبر ضمانا للمعايير الديمقراطية للسلوك السياسى .

رابعا : لا يتناسب نظام تعـدد الأحزاب مع الأمم التى فى سبيلها الى النمو ، حيث تعتبر صيغة التعاون المتبادل ـ وليس التنافس ـ هى الصيغة التى تلائم تلك المجتمعات فى الوقت الراهن .

خامسا : يقوم التنافس بـــين الأحزاب السياسية على اعتبـــارات ميتافيزيقية ولا ينهض على أسس سسيولوجية ، فهو نظام يضع فى اعتباره المصالح الخاصة وبعض المظاهر الانسانية .

سادسا : ان نظام تعدد الأحزاب قـد يكون نظاما ملائمـا للمجتمعات ذات الأنظمة الاقتصادية التى تقوم على الملكية الخاصة Private ownership اما يسمى بتفتيت المـــلكية ، وهى مجتمعات تتسم بســـيادة القطاعات الاجتماعية المتناحرة . أما مجتمعات العالم الثالث فهى مجتمعات لا تتسم بسيادة ظاهرة التفتت الاقتصادى ، الأمر الذى لا يحتاج معه الى نظـام تعـدد الأحزاب(١) .

تلك هى الدعاوى التى يعتمد عليها رافضو نظام تعدد الأحزاب وهى دعاوى جوفاء ـ كما نرى ـ تهـــدف أولا وأخيرا الى أحكام قبضة الزعامات الكارزمية على الحكم . ولا شك أن الزعامة الناصرية برفضها لنظام تعـــدد الأحزاب قد تصورت أنها ضمنت اخماد الاصوات المعارضة ، وهى الاصوات التى حاربها النظام الناصرى بلا هوادة منذ بداية الثورة ، وهو الأمر الذى ظهر فى المحاكمات العسكرية التى سميت بمحاكم الشعب والتى حوكم فيهـا ساسة ما قبل عام ١٩٥٢(٢) ، ثم الموقف من الجماعات اليسارية فى بعض

---

(١) Horowitz, The World of Development : The Theory and Practice of International Stratification, PP. 247 - 249.

(٢) انظر نصوص تلك المحاكمات فى : كمال كيرة ، محكمة الشعب (سبع أجـزاء) ، صدر عن مكتب شئون محكمة الثورة ، ١٩٥٤ .

الأوقات ، ثم موقفة من جماعة الاخوان المسلمين(١) وبعض الاقلام الصحفية المعارضة ، ثم ذلك الموقف المخزى من القضاء ، فيما يسمى بمذبحة القضاة ٠

ولقــد أدت الاوتوقراطية الناصرية والتى رفضت الاتجاه الرأسمالى الليبرالى والمــاركسية اللينينية(٢) ـ فى أول الأمر ـ الى الوقوع فى براثن الماركسيين المصريين الــذين أوحوا الى عبد الناصر بالمــاركسية اللينينية كأسلوب ومنهج فى الحكم ، واعتبروا هذا نموا فى فكر عبد الناصر ، ونظروا الى هذه الخطوة باعتبارها تحولا للثورة من كونها ثورة وطنية خالصــة الى ثورة وطنية ذات مضمون اجتماعى(٣) ٠

(٥)

ولعل الفتيجة الطبيعية لاختفاء المعارضة وكبت الحريات ، وهو المنهج الذى انتهجته الزعامة الناصرية ، فضلا عن الطبيعة العسكرية للنظام وسيادة القبضة البوليسية ، لعل نتيجة هذا كله مجموعة الاخطاء ـ بل الخطايا ـ التى وقع فيها النظام منذ حرب ١٩٥٦ مرورا بحرب اليمن حتى حرب يونيو ١٩٦٧ ، ثم ذلك الانتشار الاخطبوطى للماركسيين فى أجهزة الدولة ، ثم قبل هــذا وذاك اهــدار كرامة الانسان المصرى(٤) وأبعاده عن ساحة العمــل السياسى ، ومن ثم كان الفراغ السياسى أحد السمات التى ميزت الحقبة الناصرية ، والفراغ السياسى هو الساحة الطبيعية التى يعمل من خلالهــا اصحاب الحكم المطلق ٠

---

(١) انظر على سبيل المثال : عبد المتعال الجبرى ، الناصرية فى قفص الاتهام ، دار الاعتصام ، القاهرة ١٩٧٩ ٠ وكذلك زينب الغزالى ، أيام من حياتى ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٧٩ ٠ ثم مصطفى امين ، سنة أولى سجن ، الكتاب الاول ، العدد ٢٨٨ يناير ١٩٧٥ ٠

(٢) Mansfield Peter, Nasser's Egypt, P. 224.

(٣) انظر : فؤاد مرسى ، عبد الناصر والنظرية الثورية ، الطليعة ، العدد التاسع ، السنة السابعة ، سبتمبر ١٩٧١ ، ص ١١ ٠

(٤) يذهب أنور السادات فى كتابه البحث عن الذات مشيرا الى نموذج لكيفية اهدار كرامة الانسان المصرى « كانت لجنة تصفية الاقطاع تمثل قمة الارهاب والكبت والاذلال ٠ فقــد اعتدوا على كرامة الانسان وهو ما لا يقبله شعبنا تحت أية ظروف ولأى سبب ٠٠٠ فالشعب المصرى يقبل الجوع والفقر والحرمان ٠٠٠ ولكنه لا يقبل امتهان الكرامة » (أنور الســادات ، البحث عن الذات ، ص ص ١٧٩ ـ ١٨٠) ٠ ولعل قول السادات هذا يتناقض مع ما ذهب اليه كمال جنبلاط من وصفه لعبد الناصر بذلك الانسان الطامح الى الخير والفضل والحب والقــوة المعنوية ٠ أنظر كمال جنبلاط (تقــديم) ، وجال دومال ومارى لوروا ، عبد الناصر من حصــار الفالوجة حتى الاستقالة المستحيلة ، ص ١٥ ٠

ولاشك أن الموقف السلبى الذى وقفـــه الشعب المصرى ازاء قضـــايا مجتمعة يعـد نتيجة طبيعية لـما كانت تمارسه السلطة الناصرية آنذاك من أساليب للقهر المعنوى والبدنى ، فضلا عن ذلك الدور الذى لعبته أجهـــزة الأعلام آنذاك من تمجيـــد للزعامة الناصرية وحجب الحقائق عن الشعب ، حتى بدا الشعب وكأنه يعيش فى مجتمع غريب عنه ٠

والاعتماد على وسائل الاعـلام يعتبر أحـد الحيل التى تلجأ اليهـــا الزعامات الكازرمية الاوتوقراطية من حيث الترويج للقيم السياسية التى ينهض على أساسها النظام السياسى ، ومن حيث المبالغة فى تقديم صـــورة الزعيم باعتباره منقذ الأمة من كل خطب يلم بها أو مشكلة تعن لها ، فأضحت الجماهير بمعزل عن السلطة والمجتمع اعتمادا على الهامية الزعيم وعبقريـــة القائد بالصورة التى قدمتها أجهزة الاعلام ٠

ومن هنـــا شعر الانسان المصرى بالغربة ازاء تلك الطبقة الاخطبوطية التى بدأت تنفث سمومها فى المجتمع وتلتف حول الزعيم الكازرمى ، صانعها الوحيد ، وظلت تخرب فى المجتمع ما شاء لها التخريب(١) ، وهى ولا شـك احد النتائج المتوقعة من جـــراء انتهاج أسلوب الحكم المطلق وهو الاسلوب الذى اتسق الى حد كبير مع طبيعة الزعامة الالهامية وسماتها الكازرمية ٠

(٦)

ومن هنـــا تتبدى مظاهر فشل الحكم الكازرمى الناصرى ذى الـــنزعة الاوتوقراطية فاغتراب الشعب المصرى عن السلطة كان يعـد أحد مظاهر هذا الفشل ، لأنه من المتوقع فى ظل الحكومات الديمقراطية ـ كنتيجة لطبيعـــة هذه الحكومات وسماتها أو مقوماتها الأساسية ـ أن تقرب المسافة بـــين السلطة (باعتبارها ممثلة للاغلبية) والشعب ، وهذا ما عجزت عن تحقيقه الزعامة الناصرية التى آثرت الحكم المطلق والذى لم يكن سوى تجسيد لفكر السلطة ان جاز لنا أن نتصور أنه كان للسلطة آنذاك فكر محـدد ٠

---

(١) أنظر مظاهر هذا التخريب فى : جلال الدين الحمامصى ، حوار وراء الأســوار ، المكتب المصرى الحديث ، القاهرة ١٩٧٦ ، الطبعة الرابعة ٠ وكذلك انظر : عبد المتعال الجبرى ، الناصرية فى قفص الاتهام وخاصة الفصول الثالث والرابع والخامس والسادس ٠

ولم يقتصر الموقف السلبى ازاء قضـايا المجتمع المصرى على رجـــل الشارع العادى بل تجاوزه الى مثقفى هذا المجتمع(١) ، حيث آثر غالبيتهم الانسحاب من الساحة السياسية ، وان ظـــل البعض ـ وهم كثرة ـ مهادنة السلطة والتزلف لها ، وهو موقف غير مشرف على أية حال اذا ما قارنا موقف المثقفين المصريين فى قيادة الحركة الوطنية فيما قبـــل عام ١٩٥٢(٢) بذلك الموقف الاستسلامى السلطوى الذى اتخذته هذه الفئة بعد عام ١٩٥٢ ، وان كنا لا ننكر أن هناك (حالات) فردية كان فيها لبعض المثقفين المصريين دور ـ وهو محدود بطبيعته ـ فى مواجهة السلطة الحاكمة ، ولكنها حالات لا تمثل ظاهرة ، اذ سرعان ما كانت السلطة تنكل بهذه الأقلام أو الأصوات المعارضة فى حينهـــا ٠

ولاشك أن أحـــلام الزعامة وأوهامها والنظر الى السياسة باعتبارها عملية اجتهادية رغم أن السياسة علم وفن وهو الأمر الذى لم تدركه الزعامة الناصرية أو لم تستطع أن تحققه(٣) وهو ما ضاعف من حجم أزمات المجتمع المصرى ، وتعد كارثة يونيو ١٩٦٧ قمة المأساة التى عاشها الانسان المصرى ، والتى طوحت بأحـــلام الزعامة الناصرية ونالت كثـيرا من حجم تطلعاتها وعبث أوعامهـــا ٠

---

(١) انظر تحديدا لمفهوم المثقف ودوره فى المجتمع فى : محمد عباس سيد أحمد ، ثورة يوليو والمثقفون ، الطليعة ، العدد (٧) ، يوليو ١٩٦٥ ، ص ص ١٥٤ ـ ١٦٤ ٠

(٢) انظر : عاطف أحمد فواد . الحرية والفكر السياسى المصرى : دراسات تحليلية فى علم الاجتماع السياسى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٠ (الفصل الاول وموضوعه الفكر والقوى السياسية) ٠

(٣) من أمثلة أحلام الزعامة الناصرية وأوهامها تلك المساعدات غير المحسوبة للحركات العسكرية الانقلابية لبعض بلدان افريقيا وآسيا ٠ كذلك المغامرة الخاصة بحرب اليمن ثم أخيرا حرب يونيو ١٩٦٧ التى كشفت عن زيف الزعامة وأخطاء الحكم آنذاك ٠ انظر فى قصة حـرب يونيو : صلاح العقاد ، مأساة يونيو ١٩٦٧ ، حقائق وتحليـــل ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ ٠

وانظر تحليلا لنفس الكارثه فى : Churchill, Randolf, S., Churchill, Winston, The Six Day War, Heinemann, London, 1967

وكذلك أنور السادات ، البحث عن الذات ، ص ص ١٥٥ ـ ٢١٧ ٠

(٧)

وقد يقاس نجاح الزعامات السياسية أو فشلها ، لا سيما تلك الزعامات التى نمت فى مواكبة الثورة أو حركة سياسية أو اجتماعية بمدى ما تحققه هذه الزعامات من مظاهر للتحديث السياسى أو التغيرات البنائية السياسية. وقد يقال ان الزعامة الناصرية قد نالت قدرا من النجاح بالنسبة لبعض الانجازات الاجتماعية والاقتصادية وهى الانجازات التى بدأت بقوانين الاصلاح الزراعى (رغم الأخطاء التى شابت تنفيذ هذه القوانين)(١) ، الا أنه من المؤكد أن قدرة الزعامة الناصرية على احداث ما يمكن تسميته بالتحديث السياسى ، كانت قدرة محدودة ، بل تكاد تكون معدومة ، بل ان الذى يمكن أن يقال بالنسبة للتغيرات السياسية أن الزعامة الناصرية قد أكدت على حكم الفرد وأجهضت النزعة الليبرالية التى سادت مصر بموجب دستور ١٩٢٣ وقضت على حرية الرأى وهو ما تكشف من خلال الممارسة الواقعية وليس من خلال النصوص الدستورية ، أو من واقع مجموعة الخطب الخاصة بعبد الناصر والتى كان يشيد من خلالها دائما بأهمية الحرية والديمقراطية للشعب، وأنه لا حرية لأعداء الشعب ، رغم أن أعداء الشعب هؤلاء لم يكونوا فى الواقع الا أعداء السلطة ومعارضى الناصرية .

ويتكشف هذا الفشل فى احداث التغيير السياسى فى ذلك الفشل الذى منيت به التنظيمات السياسية الأحادية فى تنشيط عملية المشاركة السياسية وخلق حركة من الرواج السياسى أو فى عملية تنمية الوعى السياسى Political Consiousness للانسان المصرى ، ويكفى أن نشير الى تنظيم كالاتحاد الاشتراكى الذى عجز عن القيام بدوره كوعاء لتنظيم المشاركة السياسية وسيطرة فئة معينة على مقدراته وتوجيهه وجهة سلطوية خالصة ، وهو الأمر الذى وقف ازاءه الانسان المصرى موقف المتفرج . واذا ما أخذنا أحد

---

(١) انظر : عبد الحميد صفوت ، الانجازات الاجتماعية للثورة : حساب الأرباح والخسائر : فى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الثورة والتغير الاجتماعى (اشراف السيد يسن) ، العدد (١٥) ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ص ٨٤ ـ ١٩٤ .

المؤشرات الهامة للكشف عن فشل هذا التنظيم وأعنى به اشتراكات العضوية حيث نلاحظ أنه فى مايو ١٩٦٨ « ٠٠٠ دفع ٤٠ فى المائة فقط من الأعضاء اشتراكاتهم والغالبية العظمى من هؤلاء كانوا من العمال والفلاحين الذين كانت اشتراكاتهم تدفع عن طريق الخصم الروتينى ٠ لذلك فلم يكن غريبا أن العاملين فى الزراعة ، وفى الوحدات الانتاجية الصغيرة والذين لم يخضعوا لنظام الدفع الروتينى لم يتعدوا نسبة ٢ الى ٣ فى المائة ، وبدلا من أن يقوم من أن يقوم الاتحاد الاشتراكى بوظائفه السياسية ، أخذ شيئا فشيا فى الاضطلاع بالوظائف الادارية الحكومية ونشطت القيادات التنفيذية والادارية لتولى المناصب القيادية فيه ، بحيث طبع العمل فى الاتحاد الاشتراكى بطابع ادارى ومكتبى ٠ وظهر تركز شديد على رفع تقارير منفصلة الى المستويات الأعلى لتتماشى مع تقاليد البيروقراطية ، ولا تعكس صورة موضوعية للرأى العام »(١) ٠

فهذا الفشل فى انماء وعى سياسى مصرى متميز ، وعدم القدرة على صياغة رأى عام حر قادر على الحوار والعطاء والنقد والمعارضة يعد فى تصورى أحد مظاهر عدم تحقيق التحديث السياسى ، لا سيما وأن سنوات ما قبل ١٩٥٢ قد شاهدت وعيا سياسيا جماهيريا قد تبدى فى المواقف الجماهيرية من الاستعمار والقصر ، والدور المشرف الذى لعبته الجماهير فى مساندة الحركة الوطنية ، بل وأيضا وفى مساندة حركة يوليو ١٩٥٢ ، فجاءت زعامة ما بعد هذه الحقبة وأحدثت ما يشبه النكسة فى ديناميات الوعى السياسى المصرى ، ولقد تركز همها ـ فقط ـ فى صياغة رأى عام يدين لها بالولاء ، وهو رأى عام سلبى الحركة ، متلقى غير متفاعل ، فهو وان تفاعل ، فهو تفاعل الواهم المستسلم ، غير المدرك لحقائق الأشياء ٠

(٨)

اذن لقد ظلت الزعامة الناصرية الكارزمية تعمل منذ الخمسينات من هذا القرن من خلال ثلاث محاور هى : أولا : التأكيد على النزعة الاوتوقراطية

---

(١) اسامة الغزالى حرب ، المشاركة السياسية فى : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الثورة والتغير الاجتماعى : ربع قرن بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (اشراف السيد يسن) ، ص ٥٣ ٠

ومحاربة المعارضة بلا هوادة مستخدمة فى ذلك كل أساليب الحكم العسكرى والبوليسى من حيث الاضطهاد والتعذيب ، الأمر الذى خلق حالة من اللا أمن بين المواطنين وتوجس بعضهم من البعض الآخر • ثانيا : خلق انتصارات وهمية عربية وعالمية ، فضلا عن بعض الانجازات الاقتصادية والاجتماعية الداخلية ، وذلك تأكيدا لموهبة الزعامة وقدراتها اللا محدودة كما تود الزعامة أن توهم الرأى العام أو توحى اليه • ثالثا : خلق طبقة من المرتزقة والمتزلفين للترويج للفكر الكارزمى الناصرى وهى الطبقة التى احتكرت غالبية المناصب الوزارية وقمة الوظائف الادارية بالدولة •

ومن خلال هذه المحاور الثلاثة تتالت كل الانهيارات الداخلية ، وعلى رأسها تحطيم معنويات الانسان المصرى واحساسه بالغربة فى مجتمع هو صاحبه • ثم جاءت السبعينات فكانت بداية الصحوة وارهاصات الأمل ، وبشائر مجتمع جديد يملك الانسان المصرى فيه ارادته •

ولكن قبل أن نعرض ـ باختصار ـ لحقبة السبعينات ، يجدر أن نشير الى مجموعة من الملاحظات خاصة بظاهرة الزعامة الناصرية :

أولا : منذ أن قامت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ من خلال هذه الصفوة العسكرية الوطنية ما كان ينبغى عليها أن تفكر فى السلطة أو فى الحكم ، بل كان عليها ـ بعد استقرار الاوضاع ـ أن تسلم مقاليد الحكم الى ادارة مدنية من ذوى الخبرة السياسية •

ثانيا : لم تكن السمات الالهامية والخصائص الكارزمية لعبد الناصر كافية لقيادة أمة بعراقة مصر وأصالتها وعمق مشكلاتها ، ومن هنا تتسق الملاحظة الأولى مع الملاحظة الثانية هذه •

ثالثا : كان لغياب الايديولوجية الثورية والافتقار الى الاطار الفكرى الذى كان ينبغى أن تتحرك من خلاله الثورة عبر مراحلها المختلفة ، التأثير البالغ فى كل الترديات والأخطاء ـ بل والخطايا ـ التى وقعت فيها الزعامة الناصرية •

رابعا : قد لا تنطبق تماما مقومات الزعامة السياسية بصورتها المتكاملة على الظاهرة الناصرية لافتقارها الى البعد الفكرى أو الايديولوجى ، فهى زعامة استقامت على أساس بعض السمات الخاصة للزعيم ، وهى سمات

ما كان لها أن تظهر لولا ظروف الثـــورة ، ولولا التشجيع الجنونى للشعب المصرى فى مساندة هذه الزعامة ، ذلك الشعب الذى كان أول ضحية للزعامة الناصرية التى خلقها بنفسه ، فخنقته بيديها ·

خامسا : كشفت التجربة الناصرية عن فشل زعامتها وعدم قدرتها على تحقيق أى مظهر من مظاهر التحديث السياسى ، بل على العكس لقد انتكست الليبرالية وأجهضت الحريات ·

سادسا : اعتمدت الزعامة الناصرية على تضليل الرأى العام وتوجيهه الوجهة التى قد توحى له بعبقرية الناصرية وبقدرتها على تحقيق المعجزات ، كما اعتمدت على تعميق الفجوة بينها وبين الشعب بخلق الطبقة المتزلفة لها والمروجة لقيمها ، فضلا عن اعتمادها على الاسلوب العسكرى والبوليسى الارهابى الذى خلق بين الشعب حالة من اللا أمن والتوجس والخوف ·

سابعا : رغم حالة اللا أمن والتوجس والخوف الذى عاشها الشـــعب المصرى فى ظل الزعامة الناصرية ، الا أنه كان دائما ينظـــر اليها باعتبارها (رمزا) ، وانها قادرة على أن تأتى بمعجزات وكيف لا وقد صورت أجهـزة الاعلام له هذه الأوهام ، والدليل على ذلك موقفان ، الأول هزيمة يونيو (وهنا كان ينبغى على عبد الناصر أن يستقيل فعلا باعتباره مسئولا عن الهزيمة) والثانى عند وفاته عندما شعر الشعب وكأنه فقد الأمل فى الحياة ، وهـــذا موقف من الشعب المصرى يكشف عن مدى النجاح الذى أصابه عبد الناصر واجهزة أعلامه فى تقديم صورته باعتباره محقق المعجزات ، ويكشف عن نوعية خاصة من الشعوب ، وهى الشعوب وجدانية النزعة رغم مواقفـــه الصلبة والعنيدة من ظلم السلطة ومن جبروت الحكام · ولكن يبـــدو أن الالهامية الناصرية قد استطاعت أن تصيغ مؤقتا من هذا الشعب بناءا وجدانيا مواليا ·

ثامنا : ان استقراءنا لتاريخ عبد الناصر لا يستقيم اطلاقا مع ما انتهجه من أساليب للحكم ، فقـــد قرأ فى التاريخ وفى السياسة ، وقرأ عن الزعمـــاء والمصلحين والرواد وعانى من ظلم السلطات الاوتوقراطية وأدرك أســباب التخلف الاجتماعى والفروق الطبقية الصارخة ،الا أن هذا لم يكن له انعكاسات ايجابية على منهج حكمه اللهم الا فى بعض الاجراءات الاجتماعية والاقتصادية التى شابتها ــ مع ذلك ــ كثير من الأخطاء ·

تاسعا : من المؤكد اذن أن لسلبيات الزعامة الناصرية ــ وهى كثيرة ــ

أبعادها الذاتية والبنائية المجتمعية والتاريخية والعالمية ، وإن كنا ننظر إلى البعد الذاتي والبنائي باعتبارهما مسئولين مسئولية مباشرة عما ترديت فيه الزعامة الناصرية من أخطاء ٠

عاشرا : تعد الزعامة الناصرية نموذجا لحكم الصفوة العسكرية ، لاسيما زعامات العالم الثالث ، والعالم حديث الاستقلال ، وهي زعامات بطبيعتها قلقة ، يغلب عليها الحماس دونما حنكة ٠ أو خبرة سياسية ، وهو الأمر الذي يكشف لنا عن السر في كم الانقلابات العسكرية التي عادة ما تحدث داخل تلك المجتمعات وهي قد تقوم أحيانا داخل الصفوة العسكرية ذاتها ٠

المبحث الثالث

الزعامة المصرية الراهنة
ومحاولات احياء الليبرالية
بين تحديات الواقع وبشائر الأمل

(١)

قد يكون من العسير أن يكون لنا رؤية تقويمية متكاملة للزعامة السياسية لمصرية الراهنة ، نظراً لحداثة عهد هذه الزعامة من جهة ولأن التجربة مازالت فى عنفوانها ولم تنته بعد ، ولكن مع ذلك فان المبحث الراهن هو مجرد مجموعة من الانطباعات العامة عن هذه الزعامة والتى تعتبر احد نماذج الصفوه العسكرية المستنيرة والتى جمعت بين عدد من المزايا هى ، الحس الوطنى الناضج والخبرة السياسية المتميزة ، فضلا عن التمثل الجيد لسيكولوجية الانسان المصرى ولديناميات تاريخه الطويل ، هذا الى جانب ما تتسم به الزعامة الراهنة من تميز فكرى وثقافى ، وهو تميز فرضته محاولات التثقيف الذاتى التى قامت بها زعامة السبعينات ٠

وقد يرى البعض أنه من العسير أن نجرد الزعامة الراهنة من مسئوليتها ـ أو على الأقل ـ اشتراكها فى المسئولية عما ترددت فيه الثورة من أخطاء ، وهو أمر صحيح واعترفت به ـ فى اكثر من مناسبة ـ الزعامة الراهنة ٠ ولكن التقويم الحقيقى والحساب الموضوعى ـ فيما نتصور ـ يبدأ منذ التولى المباشر لمسئولية الزعامة فى مصر ٠

والواقع اننا لسنا فى معرض المقارنة بين زعامة مضت واخرى أتت ، ولكن ما نود أن نؤكده هو أن الزعامة الراهنة ، أو الحكم الراهن قد تسلم مقاليد السلطة ، والمجتمع فى حالة من التمزق والفوضى والانهيار يفوق حالة المجتمع فى عشية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فكان ارثاً ثقيلا من الهموم والاخطاء والخطايا ، وقف انهيار الانسان المصرى وتمزق وانحطاط معنوياته وعدم ثقته أو تخوفه من السلطة على قمة تلك المثالب والاخطاء والهموم ٠ ثم الاحتلال الاسرائيلى بكل ما يحمله من معانى الذل والانكسار والهوان ٠

ثم تتابع الأخطاء والمشكلات والهموم بين انهيار اقتصادى وتفاوت اجتماعية رهيبة وتعقيدات ادارية واختلاسات ورشاوى ، فضلا عن تشعب

الطبقة الاخطبوطية فى كل اجهزة الدولة والتى اشاعت فيها كل قيم التزلف والمداهنة واثارت فى الشعب كل معانى الخوف والرهبة ٠

فوسط هـذا الخضم المتلاطم من الاخطاء والهموم كان لانبثاق زعامة سياسية تتسم بالجرأة والشجاعة والحكمة والتروى وبعـد النظر ، ضرورة بل حتمية فرضتها وضعية المجتمع بابعاده النفسية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ومن هـذ' نستطيع أن نؤكد أن موهبة الزعامة الراهنة قـد كشفت عنها الظروف الموضوعية للمجتمع ،وهى زعامة قد لا تنطبق عليهـا تماماً مقومات الزعامة الكارزمية ، ولكنها تقدم نموذجا للصفوه التى تجاوزت وضعيتها العسكرية حيث أضحت أميل الى الصفوة السياسية المثقفه التى اصقلتها الخبرات التى اكتسبتها من خلال العمل السياسى الداخلى والتعامل المباشر مـع بعض المتغيرات الدولية ، الأمـر الذى كشف عن مقومات جديده لصفوة سياسيـة جمعت بين الحنكة السياسيـة وتوفر الرؤية الفكرية أو الايديولوجية ، وان كانت الأخيرة لم تتبلور الا مؤخراً ٠

(٢)

وقد يرى البعض ان الزعامة الراهنة قد استمدت مقوماتها من وضعها السلطوى ومن خلال ظروف المجتمع ، لذلك تعتبر أقرب الى النظام الحاكمى Rurlership منه الى نظام الزعامة على نحو ما يذهب هيرمنز Hermense فى تحليله للتمايزات القائمة بين النظامين الحاكمى والزعامى ٠

واذا كنا نسلم بأن الزعامة الراهنة قد كشفت عنها الظروف الموضوعية للمجتمع والتى خلفتها الزعامة السابقة الا أنه من المؤكد أن الزعامة الحالية قد جمعت بين بعض مقومات الزعامة فى التصدى لمشكلات المجتمع وايجاد الحلول الجريئة والواقعية فى الآن نفسه وبين النزعه الحاكمية بحكم وضعها الرسمى ٠

ورغم تسليمنا بأنه ليس حتمياً الجمع بين الزعامة السياسية والسلطة الرسمية ، الا أنه من المؤكد أن الزعامة الراهنة لم تبدأ بصفتها الزعامية ، انما بدات بوضعهـا السلطوى الرسمى ثم تخلقت ابعادها الزعامية من خلال الظروف المحلية والعالمية ، والمواقف الجريئة والحاسمة فى التصدى لمشكلات المجتمع رغم الملاحظات التى ابـداها البعض على تلك المواقف والاجراءات ٠

وتتبدى مظاهر الزعامة أولا فى قيام السلطة الراهنة بتصفية فـلول

الطبقة التى خلفتها السلطة السابقة فكانت اجراءات ١٥ مايو ١٩٧١ ، التى كانت بحق بداية حلقة جديدة من حلقات تاريخ المجتمع المصرى ، ثم حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وهى الحرب التى أعادت الى حد كبير للانسان المصرى ثقته فى نفسه ، بعد فترة التمزق التى خلفتها مأساة يونيو ١٩٦٧ ، ثم محاولة التحرر من قيود المعسكر الشيوعى بطرد مجموعة الخبراء الروس وتصفية الحراسات والمعتقلات ، فضلا عن محاولة الانفتاح السياسى والاقتصادى على العالم الغربى ، ثم أخيرا محاولة أحياء الليبرالية التى بدأت فى تصورى بوضع دستور عام ١٩٧١ تجاوزا لمرحلة الشرعية الثورية الى الشرعية الدستورية(١) ٠

(٣)

ومحاولات احياء الليبرالية تستوجب وقفة وتأمل ، فالنزعة الليبرالية فى الحكم الراهن لم تتضح الا بعد مرحلة من التأرجح بين النزعتين الاوتوقراطية والليبرالية وافساح الطريق أمام الرأى الآخر ، فكانت صيغة المنابر فى نطاق الاتحاد الاشتراكى ، ثم صيغة تعدد الاحزاب ، وهى الصيغة التى ما زال المجتمع السياسى المصرى يعمل من خلالها ، رغم بعض الهنات التى ما زالت تشوب تلك التجربة ، خاصة وأن الرأى الآخر كقوة مؤثرة فى المجتمع المصرى لم تتكشف بعد أبعاده ، وأن بعض الاجراءات والقوانين التى قد توحى بتناقض بين دعاوى الحرية ، وبين محتوى تلك القوانين والاجراءات ولنا أن نتذكر ذلك القانون الذى قدمه أحد وزراء الثقافة السابقين لتنظيم الصحافة(٢) الذى كان يعد ــ فى حينه ــ ردة كادت أن تعصف بكل الاجراءات الليبرالية السابق الاشارة اليها ٠

ولاشك أن مثل هذا القانون ــ الذى سحب فى توه ــ وأمثاله قد يجعل

---

(١) أنظر عرضاً مقارناً بين دستورى ١٩٧١ ، و١٩٢٣ فى : عاطف أحمد فؤاد ، الحرية والفكر السياسى المصرى : دراسات تحليلية فى علم الاجتماع السياسى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ ٠

(٢) انظر نقداً لهذا القانون فى : ابراهيم عبده ، محنة الصحافة وولى النعم ، سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٨ ٠

من التجربة الليبرالية غير مكتملة النمو ، خاصة وأن حركة النقـد الحر(١) ضحت من معالم النظام السياسى الراهن ، وهو ما يجعل من مثل هـــذه القوانين ـ التى قد يرى فيها البعض حجرا على الحرية وعلى شرعية المعارضة وجديتها ـ موضعا للشك فى مدى صدق نية السلطة الحاكمة فى ارساء قواعد المجتمع الليبرالى الديمقراطى ٠

ورغم تلك الهنات،فان ما أحدثته السلطة الزعامية الراهنة من تغييرات بنائية سياسية يكشف عن قدرة على احداث ما أسميناه بالتحديث السياسى Political Modernization ، ولا شك أن هذا التحديث سوف يصل الى قمته فى الوقت الذى تكتمل فيه ملامح المعارضة الحزبية والصحفية الحادة ، وفى الوقت الذى يكون فيـــه الدستور ـ دون غيره ـ هو المرجع الأول والأخـــير لسياسة الدولة داخليا وخارجيا ٠

ولاشك أن ملامح التحـــديث السياسى سوف تـكتمل بصورة أكثر وضوحا فى الوقت الذى تتحرر فيـــه الصحافة تحررا كاملا باعتبارها مرآة للرأى العام ، كذلك سوف تضيف اطـلاق حرية تكوين الاحزاب السياسية الى مظاهـر التحديث السياسى التى أحدثتها الزعامة الراهنة بعدا جديدا يكشف عن تخلق مجتمع جديد بحق ٠

(٤)

وتعـد محاولة تنمية الوعى السياسى للانسان المصرى أحـــد مظاهر التحديث السياسى التى تحاول الزعامة الراهنة أن تحققه ولا سيما وأن هذا الوعى قد وصـــل الى أقصى درجات انحطاطه فى فترة ما قبـل السبعينات كانعكاس طبيعى لأسلوب الحكم الاوتوقراطى التسلطى ٠ ومن المؤكد أن هذا الوعى لن يكتمل أو ينمو الا من خـــلال الحرية واتاحة الفرصـــة الكاملة للأحزاب جميعها وبصورة متساوية للممارسة السياسية والحزبية الحـرة ، وفتح آفاق الاعلام لكل الاتجاهات لكى تعبر عن آرائها بحرية ، وأن تتـــاح

---

(١) انظر مجموعة المؤلفات التى تناولت ـ بحرية ـ مثالب التجربة الناصرية والتجربة الراهنة ٠ وانظر على سبيل المثال : ابراهيم عبده ، اقول للسلطان ،سجل العرب ، القاهرة ١٩٧٦ ٠ وانظر لنفس المؤلف ، رسائل من نفاقستان ، سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٣ ٠

المواطن المصرى الفرصة الكاملة للاختيار الحر لممثليه وقياداته دونما توجيه أو تقييد ٠

أما تكوين الكوادر السياسية وتربية النشء تربية سياسية تنهض على أسس الحوار الحر والجدل الواعى يعد ـ فيما أتصور ـ أحد مظاهر انماء الوعى السياسى ، وبالتالى يعد أحد مظاهر التحديث السياسى ؛ وهو أمر لن يتحقق الا من خلال خلق مجتمع سياسى تعمل فيه الأحزاب السياسية جميعها بحرية وفقا لمجموعة القواعد التى يقررها دستور الدولة ، والذى ينبغى أن يكون تجسيدا لحرية الانسان المصرى ٠

فالزعامة الراهنة اذن ـ رغم ملاحظاتنا وملاحظات البعض الآخر ـ زعامة انجاز ، ما زالت تسعى لتعويض سنوات التخلف والمعاناة والحكم المطلق ، فكأنها ـ والصورة هكذا ـ زعامة انقاذ ، وزعامة خلاص ، رغم أن أخطاء الماضى وكثيرا من مثالب الحاضر ما زالت تعوق المسيرة نحو التقدم بالسرعة التى تحتمها ظروف المجتمع ، وهذا هو التحدى االكبير التى تواجهه الزعامة الراهنة ٠

(٥)

فزعامة السبعينات فى مصر تعد أحد الظواهر التى تستوجب تأمل الباحث فى علم الاجتماع السياسى لتفردها وللظروف المحيطة بانبثاقها وتخلقها ، **ويمكن اجمال ملاحظاتنا عنها فيما يلى :**

أولا : من العسير أن تنطبق على زعامة السبعينات شروط الزعامة الكازرمية التقليدية ، فهى زعامة انبثقت أولا من وضعها السلطوى الرسمى ، ثم من خلال الظروف الموضوعية للمجتمع المصرى التى أتاحت لها الظهور والتألق ، فهى زعامة كامنة Latent Leadership ان صح التعبير ٠ وهى زعامة استمدت قوتها ليس من وضعها العسكرى وانما من خبرتها السياسية ووضعها الرسمى ٠

ثانيا : تعد هذه الزعامة أحد الصفوات السياسية ذات الرافد العسكرى المستنير الذى جمع بين الخبرة والرؤية الفكرية والثقافية ، وهو أمر ينـدر تحقيقه بين الصفوات العسكرية التقليدية ٠

ثالثا : تكشفت ملامح هذه الزعامة بصورة أكثر وضوحا من خلال

مجموعة المواقف المصيرية والشجاعة التى وقفتها هذه الزعامة منها على سبيل المثال حركة ١٥ مايو ١٩٧١ وحرب أكتوبر ١٩٧٣ وأخيرا محاولات تحقيق السلام مع اسرائيل · ولعل هذا يؤكد ما ذهب اليه السير رايت ميلز Mills من صعوبة فهم الصفوات أو الزعامات بمعزل عن الظروف الموضوعية للمجتمع وعن طبيعة السياق الاجتماعى والسياسى الذى يميزه ·

رابعا : رغم أن الزعامة الراهنة قـد جمعت بـين الزعامة السياسية والسلطة الرسمية ـ وهو أمر نادر الحـدوث ـ الا أنها حققت عـددا من الانجازات السياسية الهامة ، يقف على قمتها محاولات احياء لليبرالية كمظهر من مظاهر التحديث السياسى ، وهذا يؤكد ما ذهب اليه كليمنت مور Moore من أنه ينبغى بعـد كل تحول اجتماعى (وحركة مايو ١٩٧١ تعـد تحولا اجتماعيا) أن يصحبه تغير أو تحديث سياسى ، لا سيما التغير من الصيغة الأوتوقراطية الى الصيغة الديمقراطية ·

خامسا : تحاول الزعامة السياسية الراهنة ـ رغم بعض الهنات ـ أن تؤكد أن السياسة علم وفن ولا تنهض وفقا لاجتهادات الحاكم والهـامات الزعيم ، وانهـا عملية محسوبة بدقة ، تتفاعل فيهـا العوامل الداخلية بالمتغيرات الدوليـة ·

سادسا : قـد تكتسب الزعامة السياسية الراهنـة صفتى القـوة والاستمرار من خلال استكمال ملامح البناء الديمقراطى احياء لليبرالية مـع محاولة تجاوز مرحلة الحـرية النسبية الى مرحلة الحـرية المتكاملة ، مع محاولة ـ أيضا ـ استكمال مقومات البناء الاقتصادى والخروج من الأزمات الاقتصـادية الراهنـة ·

الفصل الرابع

اتجاهات الصفوة المصرية المتعلمة

نحو ظاهر الزعامة السياسية

(بحث ميـــداني)

تمهيـــــد :

المبحث الأول :
الصفوة المتعلمة : المـاهية والسمات ٠

المبحث الثـاني :
ماهية الزعيم السياسي ومقومات الزعامة السياسية بمقارنتها بالحاكم أو رئيس الدولة وابرز الزعامات السياسية المصرية ٠

المبحث الثـالث :
الزعامات السياسة وحاجة المجتمعات اليهـا ٠

المبحث الرابع :
التاريخ السياسي للمجتمع المصري بـــين تألق الزعامات السياسية وأفـول نجمهـــا ٠

استنتاجات ومناقشــــه عامـــة ٠

تمهيـــــد

قد لا تكتمل صورة الزعامة السياسية المصرية ، اذا ما تحددت ملامح هده الصورة وأبعادها بمبعدة عن الانسان المصرى ، ذلك الانسان الذى ينبغى أن يكون له دور فى كل أمر من أمور حياته ، ومنها الاسهام فى صياغة ملامح زعامته السياسية ، والمشاركة فى تعيين الأبعاد البنائية والشخصية لحكامه كما يتمنى أن يكونوا عليـــه ٠

فالفصل الراهن يعـد حلقة من عــدة حلقات تستهدف تقديم صورة الزعيم السياسى كما يتصوره الانسان المصرى ، من حيث سماته ومقوماته وظروف انبثاقه والفروق التى تميزه عن الصفوات الأخرى كالحكام وعـلاقة الزعامة بالحزبية ٠٠ الى آخـــر تلك القضايا المرتبطة بظاهــــرة الزعامة السـيـاسـيـة ٠

والانسان المصرى بحكم انتمائه الى هذا المجتمع ذى المستويات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية المتباينة،انسان متعدد الأبعاد،متباين الاتجاهات، بتباين انتماءاته الاجتماعية ومستوياته التعليمية والثقافية ، لذلك ينبغى أن يكون تعاملنا مع الانسان المصرى لا باعتباره انسانا ذا بعـد اجتماعى وثقافى واحد وانما باعتباره مجموعة من الفئات الاجتماعية والثقافية التى تكون فى مجملها الصيغة البنائية للانسان المصرى ٠

وبتعدد الفئات الاجتماعية للانسان المصرى تتعدد اهتماماته ومن ثم اتجاهاته ازاء قضـــايا مجتمعه وظواهره المختلفة ، ومنهــــا ظاهرة الزعامة السياسية التى تهـدف الى الكشف عن تصورات هــذا الانسان عنهــا والى أى حــد تتسم هذه التصورات بالاتساق أو التباين ، ثم الى أى حد تتسق تصورات الفئة الواحدة عن ذات الظاهرة ؟ ثم ما تفسير هذا التماثل أو ذلك الاختـــلاف ؟ ٠

ولسوف يقصر هذا الفصل ، وهو الأخير من هذا المؤلف ، اهتمامه على

التعرف على اتجاهات أحـــد الفئات الاجتماعية المصرية عن ظاهرة الزعامة السياسية المصرية ، وأعنى بهـــا فئة الصفوة المتعلمة ، والتى نعنى بهـــا أساتذة الجامعـــة بتخصصاتهم المختلفة ، فضـــلا عن المعيدين والمدرسين المساعدين باعتبارهم النخبة المتميزة تعليميا (ولا أقول ثقافيا ، لأن قضية الثقافة ، قضية شائكة حيث تتعدد فيها الآراء والاتجاهات وتتباين ازاءها وجهات النظر والتصورات المختلفة ، بحيث يصبح مفهوم المثقف أمرا غـير يسير ، وخاصة اذا ما وضعنا فى الاعتبار أن المثقف ذا ماهية متميزة غـــير المتعلم الذى لا يكون بالضرورة مثقفـــا ٠٠٠ الخ) والذى أهلهم تمـــيزهم التعليمى هـــذا الى قيادة حركة التعليم فى المجتمـــع والتى يقف على قمتها التعليم الجـامعى ٠

فلا شك أن للصفوة المتعلمة تصوراتها واتجاهاتها الخاصة ازاء العديد من القضـــايا والظواهر الاجتماعية ومنهـــا ظاهرة الزعامة السياسية ٠ والسؤال هنا هل انعكس هذا التميز التعليمى لهذه الصفوة على تصوراتهـــا لظاهرة الزعامة السياسية ، بحيث تتميز ـ أيضا ـ اتجاهاتها وتصوراتهـــا عن هذه الظاهرة ؟ وهل انتماء هذه الصفوة الى فئة اجتماعية تكاد أن تكون متماثلة ، يفرز بالضرورة تماثـــلا فى اتجاهاتهم وتصوراتهم عن القضـــية موضوع الدراسة ؟ ثم هل نستطيع من واقع هذه الاتجاهات والتصورات أن نكشف عن طبيعة الوعى السياسى لهذه الفئة وعن مدى ما يمكن أن تسهم به فى تحديد معالم المستقبل السياسى للمجتمع المصرى ؟ ٠

والدراسة بطبيعتها استطلاعية يبلغ حجم عينتها ثمان وخمسون فردا من الصفوة المتعلمة ، اعتمدنا فى الكشف عن تصوراتها واتجاهاتها نحـــو الزعامة السياسية على استخبار Questionnaire يتكون من تســـعة عشر سؤالا يتضمن ثلاثة أسئلة عن الخصائص العامة للصفوة كالسن والمؤهـــل العلمى والوظيفة ، بينمـــا تكشف الاسئلة من الرابع الى التاسع عشر عن تصورات الصفوة واتجاهاتها عن ظاهرة الزعامة السياسية من حيث ماهيـــة الزعيم السياسى وصفاته وابرز الزعامات السياسية التى تنطبق عليهـــا مقومات الزعامة ، والتمايزات القائمة بين كل من الزعيم السياسى ورئيس الـــدولة كمـــا يتصورها الانسان المصرى ٠

ثم تتــابع الأســئلة حيث نكشف من الســؤال العاشر حتى السؤال التاسع عشر عن بعض القضايا المرتبطة بظاهرة الزعامة السياسية من حيث تصوراتهم عن الوقت الذى يشعر فيـــه المجتمع أنه فى حاجـــة الى الزعيم السياسى والعلاقة بين الزعامة السياسية والرئاسة الحزبية ، وأكثر فترات تاريخ المجتمع المصرى تشبعا بالزعامات السياسية وخلوا منها ، وعـــلاقة الزعامة السياسية بالنزعتين الاوتوقراطية والديمقراطية ٠



المبحث الأول

الصفوة المتعلمة : الماهية والسمات

(١)

فى محـاولة لرصـد الوضعية الخاصة بسمات عينـة الدراسة والتى حددناها فى ثلاث محاور أساسية هى السن والمؤهل والوظيفة أو المهنة نلاحظ تركزا شديدا بالنسبة لمحور السن فى الفئة من ثلاثين عاما فأكثر (٥٠٪) ، بينما تأتى فئة (أقل من ثلاثين عاما) فى المرتبـة الثانية (٣١٪) ، ثم تتدرج الفئات من فئة أربعين عاما فأكثر (١٦٪) ثم فئة خمسين عاما فأكثر (٣٪) ٠ الجدول رقم «١») ٠

ولعل الارقام السابقة تكشف عن ميل عينة الدراسة الى الفئة العمرية الشابة (ثلاثين عاما فأكثر) ، وهو الأمر الذى يثير تساؤلا عن مدى انعكاس هذا الوضع الشبابى على اتجاهات تلك الفئة نحو ظاهرة الزعامة السياسية؟ ودلالة هذا الانعكاس على مقومات الزعامة السياسية كما تتصورها هـذه الفئة ، باعتبارها فئة واعدة ، تمثل جيلا قد يتوقع منه اسهاما حضـاريا وسياسيا بالنسبة للمستقبل السياسى للمجتمع المصرى ؟

الجـدول رقم (١)
توزيع أفـراد العينـة وفقـا للسن(*)

السـن	العـدد	٪
أقل من ٣٠ عاما	٧١	٣١
٣٠ عاما فأكثر	٢٩	٥٠
٤٠ عاما فأكثر	٩	١٦
٥٠ عاما فأكثر	٢	٣
الاجمـالى	٥٨	١٠٠

(*) قام الزميل الصديق الدكتور سالم عبد العزيز محمود مدرس علم الاجتماع بجامعة

=

(٢)

وتتبلور الخصائص المميزة لعينة الدراسة فى الوضعية التعليمية لأفراد هذه العينة حيث يكشف الجدول رقم (٢) عن هذه الوضعية من خلال طبيعة المؤهلات العلمية الحاصلين عليها ، حيث تتركز غالبية أفراد العينة فى فئة الحاصلين على درجات الدكتوراة فى الآداب والعلوم (٣٣٪) تليها فئة الحاصلين على درجة الماجستين فى الآداب والعلوم (٣١٪) ثم هؤلاء الحاصلون على درجة الليسانس فى الآداب (٢٢٪) ، وأخيرا فئة الحاصلين على بكالوريوس الخدمة الاجتماعية او بكالوريوس من كليات التربية تخصص علوم (١٤٪) (الجدول رقم ٢) ٠

وقد يثير هـذا الثقل العلمى لعينة الدراسة تساؤلا حول طبيعة الاتجاهات المتوقعة ازاء ظاهرة الزعامة السياسية من قبل هذهالكوكبة المتيزة من النخبة المتعلمة ، بمعنى هـل يمكن نعتبر أن لهذا الثقل العلمى دلالته الفكرية ، والتى يمكن أن تنعكس على تصورات هذه الصفوة واتجاهاتها نحو ظاهرة الزعامة السياسية وما يرتبط بها من قضايا أخرى ؟ ٠

الجـدول رقم (٢)
توزيع أفـراد العينـة وفقـا للمؤهل الدراسى

المؤهـل الدراسى	عدد	٪
دكتوراه فى الآداب والعلوم	١٩	٣٣
ماجستير فى الآداب والعلوم	١٨	٣١
ليسـانس فى الآداب	١٣	٢٢
بكالوريوس خـدمة اجتماعية وبكالوريوس علوم من كليات التربيـة	٨	١٤
الاجمـالى	٥٨	١٠٠

الازهر ـ فرع البنات ـ كلية الدراسـات الانسـانية بتفريغ استجابات المبحوثين وجدولتهـا واستخراج النسب المئوية لها ٠ فله شكرى وتقديرى على حسن تعاونه وعظيم اسهامه ٠

(٣)

أما الوضعية الوظيفية أو المهنية لعينة البحث فيكشف عنها الجدول رقم (٣) ، حيث تنحصر هـذه الوضعية بين ثلاث متغيرات أو أوضاع وظيفية هى : المعيـد (٣٦٪) ، مدرس مسـاعد (٣١٪) مدرس جامعى (٢٨٪) • بينما تتضاءل النسب المئوية عند وظائف أستاذ (٣٪) وأستاذ مساعد (٢٪) مما يدل أيضا على ميل عينة البحث الى الفئة العمرية الشابة ولعل هـذا يتسق والجدول رقم (١) والخاص بتوزيع أفراد العينـة وفقـا للسن •

الجـدول رقم (٣)

توزيع أفراد العينـة وفقا للوضعية الوظيفية او المهنية

الوضعية الوظيفية	عدد	٪
معيـد	٢١	٣٦
مدرس مسـاعد	١٨	٣١
مدرس جامعى	١٦	٢٨
أستاذ مساعد	١	٢
أستـاذ	٢	٣
الاجمـالى	٥٨	١٠٠

والجداول الثلاثة السابقة وان كانت لا تعطى صورة كاملة عن ملامح عينة الدراسة الا أنها تكتشف عن وضعية تعليمية خاصة تمثلها تلك الصفوة المتميزة فى المجتمع التى تهـدف الى التعرف على اتجاهاتها نحـو الزعامة السياسية المصرية وذلك توطئة لمقارنتها باتجاهات بعض الفئات الاجتماعية الأخرى فى دراسات مستقبلة كشفا عن مظاهـر التماثل أو الاختلاف بـين اتجاهات الفئات المختلفة ، حتى نستطيع أن نخرج (بتصور عام) عن ماهية الزعامة السياسية كما يتصورها بعض قطاعات المجتمع المصرى •

المبحث الثاني

ماهيـــة الزعيم السياسى ومقومات الزعامة السياسية في مقارنتهـــا بالحاكم أو رئيس الدولة وأبـــرز الزعامات الســـياســـية المصريـــة

(١)

فى محاولة للكشف عن ماهيـــة الزعيم السياسى ومقـــومات الزعامة السياسية فيما تتصور فئة الصفوة المتعلمة تلاحظ الدراسة أن هناك اتجاها غالبا للربط بين التعبير عن الشعب أو التعبير عن الاغلبية والتضحية من أجل الجماهير واعتبارها الاطار المرجعى للزعيم وبين مقومات الزعامة ٠

فمعنى ذلك أن الاتجاه العام لهذه الفئة يرى أن الجماهير أو الشعوب هى المحور الاساسى الذى تدور من حوله الزعامة ، كما أنها تعد فى الآن نفسه من أبرز المقومات التى تحدد ماهيته وتعين أبرز صفاته ٠

والحقيقة أن محاولة ايجاد علاقة بين مقومات الزعامة فىصلتها بالشعب يكشف عن حقيقة هامة ، وهى أنه فضلا عن وعى هذه الفئة بدور الجماهير فى اضفاء صفة الشرعية (الجماهيرية) على الزعامات ، فانه من العسير حقيقة أن تعمل الزعامات بمعزل عن الشعب ، ومن غير العلمى أن تدرس ظاهـرة الزعامة فى غيبة علاقتها الجدلية بالجماهير التى تعـد أهم المصادر الهامة التى تستقى منها الزعامات قوتهـــا ٠

والجدول رقم (٤) يكشف عن تلك الحقيقة حيث تتدرج صفات الزعيم السياسى كما تتصورها الصفوة المتعلمة فى التعبير أولا عن الاغلبية(٣ر١٩٪) والرجوع الى الجماهير والتاثير عليها وتحريكها (٣ر١٩٪) ثم التضحية من أجل الشعب (٣ر١٩٪) ٠

وتتوالى الصفات بعد ذلك حيث تبرز القدرة القيادية وحسن اتخـاذ القرارات (٦ر١٣٪) ، ثم الفكر التقدمى والاحاطة بالسياق التاريخى للمجتمع (٣ر١٠٪) ، ثم تطبيق الديمقراطية كأسلوب والشورى كمنهـــج (٨٪) والحكم بالعدل (٥ر٤٪) والقدوة الحسنة (٣ر٢٪) ثم أخيرا وضوح الرؤية السياسية والنظرة المستقبلية (١ر١٪) ٠

ونلاحظ فى الاتجاهات الســـابقة أن قضية الفكر التقـــدمى والوعى

بالسياق التاريخي للمجتمع والقدرة على القيادة واتخاذ القرارات الحاسمة كانت من أبرز السمات التي تلت سمة (التعبير عن الاغلبية أو التعبير عن الشعب) وهي اتجاهات لا شك أنها تعكس وعيا واضحا بضرورة أن يكون للزعيم السياسي رؤية وفكرا غير تقليدي ، فضلا عن الحس التاريخي والوعي بالخلفية السلفية للمجتمع باعتبارها من مقومات ضمان نجاح الزعامات السياسية .

أما المنهج الديمقراطي والشورى كأسلوب يميز الزعامات السياسية أو ينبغي أن يميزها فلقد كان أحد الاتجاهات اللافتة لدى هذه الصفوة ، وذلك انطلاقا من مقولة أساسية كانت محل خلاف بين الباحثين والعلماء وهي هل الزعامة السياسية ينبغي أن تتحلى بالديمقراطية أو الشورى كأسلوب للزعامة أو للقيادة ، أم ينبغي أن يستأثر الزعيم بالرأى ؟ فالواضح أذن أن الصفوة المتعلمة محور هذه الدراسة يرى بعض أعضائها أن الديمراطية ينبغي أن تكون سمة أساسية وأحد المقومات الرئيسية التي لا تستقيم الزعامة السياسية بدونها ، وهو تصور ناضج على أساس أن الزعامة السياسية التي تعمل في غيبة الرأى الآخر قد يعرضها كثيرا للزلل ولعديد من الاخطاء ، بعكس الأسلوب الديمقراطي الذي يتيح للزعيم آفاقا أوسع ورؤية أكثر وضوحا وقدرة على معالجة القضايا بكفاءة وحكمة قد لا تتوفر كثيرا اذا ما استأثر الزعيم بالرأى أو آثر الفردية في القيادة .

الجدول رقم (٤)
ماهيـة الزعيم السياسي في تصور أفـراد العينة

صفات الزعيم السياسى	عدد الاستجابات*	٪
الذى يطبق الديمقراطية والشورى	٧	٨ر٠
التعبـير عن الأغلبيـة	١٧	١٩ر٣
القـدوة	٢	٢ر٣
القدرة القيادية وحسن اتخاذ القرارات	١٢	١٣ر٦
الرجوع للجماهير والتأثير عليها وتحريكها	١٧	١٩ر٣
الحكم بالعـدل	٤	٤ر٥
وضوح الرؤية السياسية والنظرة المستقبلية	١	١ر١
التضحية من أجـل الشعب	١٧	١٩ر٣
الفكر التقدمى والاحاطة بالسياق التاريخى	٩	١٠ر٣
غـير مبـين	٢	٢ر٣
اجمالى عدد الاستجابات	٨٨	١٠٠ر٠

(٢)

وتتكامل ماهية الزعيم السياسي فيما يفصح عنه الجدول رقم (٥) فى الكشف عن الصفات التى لو أفتقدها الزعيم السياسى يفتقد أهم مقومات الزعامة السياسية ، وتكاد استجابات هذا الموقف تتسق الى حـد كبير مع استجابات الموقف السابق (الجدول رقم ٤) حيث نلاحظ أن عنصر الصدق مع الجماهير والتعبير عن مشاكلهم قد حظى باهتمامات غالبية أفراد العينة (١٨٪) ، وهذا يتماثل مع الاستجابات الخاصة بتحـديد ماهية الزعامة السياسية والتى ركزت على التفاعل مع الجماهير والتعبير عنهم (١٩ر٣٪) (الجـدول رقم ٤) ٠

(*) تدخل هذه الاستجابات فى نطاق الاستجابات متعددة الاجابات Multi - answers

كذلك من مؤشرات التماثل بين الموقف السابق (الجـــدول رقم ٤) والموقف الحالى (الجدول رقم ٥) أن هنـــاك اتجاها يكاد يكون غالبا على اعتبار أن الديمقراطية والشورى من أهم الصفات التى لو افتقدهــا الزعيم يكون قد افتقر أهم مقومات الزعامة، ولعل هذا يذكرنا بمجموعة الاستجابات السابقة والخاصــــة بوضعية الشورى والديمقراطية كأبرز مقومات الزعامة (٨٪) ـ الجدول رقم ٤) ٠

ثم تتابع الاستجابات بعد ذلك بحيث تأتى صفات القدرة على اتخاذ القرارات (٧ر١٤٪) والعـــدل والوطنية (٢ر١٣٪) ، ثم الحكمة والخبرة السياسة (٣ر٧٪) ٠٠ الخ آخــــر الاستجابات أو الصفات التى يـــرى المبحوثون أنها لو افتقدت فى الزعيم السياسى يكون قد افتقد أهم مقومات زعامتـــه ٠

الجـــدول رقم (٥)

اتجاهات أفراد العينة نحو الصفات التى أو افتقدها الزعيم يكون قــد افتقـــد أهم مقومات الزعـامة

الصـــفة المفتقـدة	عدد الاستجابات	٪
الصدق مع الجماهير والتعبير عن مشاكلهم	١٩	٢٨
الديمقراطيـــة والشــــورى	١٢	٦ر١٧
العـــدل والوطنيـــة	٩	٢ر١٣
الايمـــان بالله	٣	٤ر٤
القــدرة على اتخاذ القــرارات	١٠	٧ر١٤
الاقتنـــاع بمبـــادئه	٣	٤ر٤
قـــوة الشخصـــية	٢	٠ر٣
الوعى بالتيارات السياسية والاجتماعية	٣	٤ر٤
الرؤيـــة المستقبليـــة	٢	٠ر٣
اجمالى عـــد الاستجابات	٦٨	١٠٠

(٣)

واللافت فى بعض الصفات السابقة أن هنـاك صفتين ـ وان كانتا لم تحظيا باهتمام الكثيرين ـ لهما دلالة هامة الأولى قوة الشخصية والثانيـة الرؤية المستقبلية ٠ الأولى تذكرنا بصورة مبـاشرة بالسمات الكاززمية للزعيم والصفات الالهامية له ، وهو أمر يؤكد حقيقة هامة هى أنه من العسير تأسيس بناء زعامى متكامل فى غيبـة بعض السمات الذاتية للزعيم والتى أشارت اليها الاتجاهات الراهنة تحت اسم « قوة الشخصية » ٠

أما السمة اللافتة الثانيـة وأعنى بها الرؤية المستقبلية فتكشف عن وعى ناضج بحقيقة الملامح الزعامية ، لأنه ـ فيمـا نتصور ـ لا يمكن أن تقوم زعامة سياسية حقيقية دون أن يكون لديها قدرة خاصة على استشراف ملامح المستقبل والتنبؤ الواعى بحركة المجتمع فى المستقبل كنتيجة للاستقراء الجيد لدينامايات الواقع الاجتماعى والسياسى ، الأمر الذى يمكنه من وضع خططه وتعيين ملامح سياساته فى المستقبل ٠

ولعل سمة القـدرة على التنبؤ تعد من بين ملامح أو مؤشرات التمييز بـين الزعامات السياسية المستنيرة والواعية وبالتالى الناجحة ، وبـين الزعامات السياسية محدودة القدرات والتى يشك دائما فى كفاءاتها الزعامية وبمدى امكانياتها على تحقيق انجازات مستقلبية للمجتمع ، وانمـا تصبح قدراتها محدودة فى مدى ما يمكن تحقيقه فى اللحظة الراهنة ٠

(٤)

ويطالعنا الجدول رقم (٦) باتجـاهات أعضاء الصفوة المتعلمة نحـو الزعامات السياسية السابقة والتى تنطبق عليها ـ فيما يتصور أعضاء هـذه الصفوة ـ صفات الزعامة السياسية ومقوماتها الاساسية ٠

وبتربع مصطفى كامـل (٢ر٢٥٪) على قمـة الشخصيات التاريخية المصرية التى حظيت باكبر نسبة من الاختيارات على اعتبار أنها تمثل الزعامة السياسية المصرية التى يمكن ان تنطبق عليها مقومات الزعامة السياسية ، الحقيقية فى حين احتل سعد زغلول المرتبة الثانية(٣ر٢٠٪)من تلك الاختيارات،

بينما احتل جمال عبد الناصر المرتبة الثالثة (٥ر١٧٪) ، يليه أحمد عـرابى فى المرتبة الرابعة (٢ر١١٪) ٠

ثم تتبابع الشخصيات بعد ذلك بين مصطفى النحاس (٥٪) ومحمد فريد (١ر٤٪) ومحمد على مؤسس مصر الحديثة (٨ر٢٪) وعمـر مـكرم (٤ر١٪) (الجدول رقم ٦) ٠

ولعل محاولة استقراء دلالة **هذه الاختيارات يكشف عن عدد من الحقائق يمكن ايجازها فيما يـلى :**

١ ـ أن غالبية الشخصيات الزعامية التى نالت أعلى الاختيارات مـن الزعامات التى جمعت بين أمرين السمات الكارزمية الالهامية من جهة وحب الشعب من جهة أخرى ٠

٢ ـ كما تكشف تلك الاختيارات عن أن الشخصيات التى نالت أعلى الاختيارات ، كانت من الزعامات السياسية المصرية التى ظهرت من خـلال ثورات أو أزمات سياسية معينة ٠

٣ ـ كانت أقل الشخصيات حصـولا على اختيارات أفراد العينة هى أحمس (٧ر٪) وعبد الله الشرقاوى (٧ر٪) ومحمد كريم (٧ر٪) وطلعت حرب (٧ر٪) وعدلى يكن (٧ر٪) وأحمد ماهر (٧ر٪) ٠

٤ ـ وصلت عـدد الاستجابات التى لا ترى أن فى التاريخ السياسى المصرى أى شخصية يمكن أن تنطبق عليها مقومات الزعامة السياسية الى ثمانية استجابات بنسبة ٥ر٧٪ ، بينما أشار مبحوث واحد (٧ر٪) أنه لا يعرف على وجه الدقة أى من الزعامات المصرية التى يمكن أن تنطبق عليها مقومات الزعامة السياسية الحقيقية ٠

٥ ـ مالت غالبية الاختيارات الى الزعامات التـاريخية التقـليدية كمصطفى كامل وسعد زغلول وأحمد عرابى والتى جمعت بين فترات تاريخية مختلفة وان لم تظهر حجم الاختيارات بحجم البعد الزمنى الذى ظهرت مـن خلاله كل زعامة من الزعامات السابقة ٠

٦ ـ بروز بعض الزعامات غير السياسية كطلعت حرب (٧ر٪) رغم انتمائه اساسا الى رواد الحركة الاقتصادية فى مصر ٠

٧ ـ نال محمد على مؤسس مصر الحديثة أربع اختيارات باعتباره أحد الزعامات السياسية المصرية ، ورغم تحفظنا على هذه الاختيارات الا أنهـــا تكشف عن مدى الوعى بالدور الذى قام به محمـــد على (٢ر٨٪) بالنسبة لتأسيس مصر الحديثة رغم العديد من الأخطاء والمثالب التى شابت تجربته ٠

الجـــدول رقم (٦)

الشخصيات السياسية المصرية السابقة التى يمكن أن تنطبق عليها صـــفات الزعيم الســـياسى

الترتيب التنازلى	الشخصيات المصرية السابقة	عدد الاستجابات	٪
٢	مصطفى كامل	٣٦	٢٥ر٢
٢	ســعد زغـلول	٢٩	٢٠ر٣
٣	جمـال عبد النـاصر	٢٥	١٧ر٥
٤	أحمـــد عرابى	١٦	١١ر٢
٥	مصـطفى النحـاس	٧	٥ر٠
٦	محمـــد فـريد	٦	٤ر١
٧	صلاح الدين الأيوبى (رغم عدم مصريته)	٤	٢ر٨
٨	محمد على (رغم عدم مصريته)	٤	٢ر٨
٩	مينـــا	٢	١ر٤
١٠	أخنـــاتون	٢	١ر٤
١١	عمـــر مكرم	٢	١ر٤
١٢	أحمـــس	١	٠ر٧
١٣	عبد الله الشرقاوى	١	٠ر٧
١٤	محمـد كريم	١	٠ر٧
١٥	طلعت حرب	١	٠ر٧
١٦	عـدلى يكن	١	٠ر٧
١٧	أحمـــد ماهر	١	١ر٤
	لا يوجـــد	٨	٥ر٧
	لا يعـرف	١	٠ر٧
	اجمالى عدد الاستجابات	١٤٨	١٠٠ر٠

(٥)

واذا كنا قد اشرنا فى الجدول رقم (٦) الى أن غالبية الاختبارات الخاصة بالزعامات السياسية السابقة قد دارت حول الزعامات ذات الصفات الكارزمية وذات البعد الجماهيرى ، فان الجدول رقم (٧) يؤكد هـــذا الاستنتاج حيث تذهب ٣ر١٤٪ من اجمالى استجابات هذا الموقف الخاص بتحديد أســـباب اختيار هذه الشخصيات دون غيرها الى أن لهذه الشخصيات صفات خاصـــة وإمكانيات شخصية لا تتوفر فى غيرها هى التى أهلتها للزعامة ولقيادة حركة الجماهير ، ولعل هذا يتسق مع اختيارات الجدول (٦) ٠

أما البعد المجتمعى والجماهيرى كأحد أسباب الاختيـــار فيتكشف من خلال مجموعة الاسباب التى أبداها أعضاء هذه الصفوة كتبريرات لاختيـــار الشخصيات السابقة (الجدول رقم ٦) باعتبارها من أبرز الزعامات السياسية المصرية ٠ وأهم تلك الأسباب التى تفصح عن البعـــد المجتمعى والجماهيرى الأسباب التى نرى أن فى التعبير عن واقع المجتمع كان من أهم مقومات تخلق هذه الزعامات وبالتالى نعد من أقوى أسباب الاختيار (١ر١١٪) ، تليهـــا الوقوف بجوار الشعب ومساندته وسط ظروف أو أزمات سياسية أو اقتصادية قاسية (٥ر٩٪) ، ثم أن هذه الشخصيات كان لديها القدرة على تحـريك الجماهير والتأثير فيها (٥ر٩٪) ، كما أنها كانت تملك قدرا عاليا من الوعى بالتاريخ السياسى للمجتمع المصرى (٠ر٨٪) ٠

ثم تتوالى أسباب الاختيار ومبرراته بعد ذلك حيث نلاحظ أن هنـــاك أسبابا اقتصادية وتتضح من الترتيب التنازلى لهذه الأسباب حيث حصلت الأسباب الخاصة ببناء الاقتصاد وتوفير لقمة العيش (٣ر٦٪) على المرتبة السابعة ، كذلك الأسباب الخاصة بحق الشعب فى حياة كريمة تقيمة من القيم التى كانت تؤمن بها تلك الزعامات (٣ر٦٪) ٠

أما الشورى والديمقراطية كأحد الأسباب التى تكمن وراء اختيار افراد العينة لهذه الشخصيات كزعامات السياسية فقد حصلت على أربع استجابات بنسبة (٣ر٦٪) ٠

ورغم أن التحقق من مدى توفر عنصرى الشورى والديمقراطية فى البناء الزعامى للشخصيات السابقة أمر غير متفق عليه بين المؤرخين وراصدى حركة

تاريخ المجتمع المصرى ، الا أنه من المؤكد أنه قد اختلط الأمر على بعض أفراد العينة بحيث أنهم لم يدركوا الفرق بين أسباب اختيارهم لهذه الشخصيات كموقف أو سؤال محدد وبين مقومات الزعامة السياسية كما يتصورونها اللهم الا اذا كانوا بالفعل يرون أن الزعامات السابقة التى اختاروها كانت تتحلى بالشورى وباتخاذ الديمقراطية كأسلوب للزعامة وهو الأمر المختلف عليه بين المؤرخين جميعهم لا سيما بالنسبة لكل من سعد زغلول وقبله أحمد عرابى وبعده جمال عبد الناصر ، وقبل هؤلاء محمد على مؤسس مصر الحديثة ٠

الجدول رقم (٧)

أسباب اختيار شخصيات الجدول رقم (٦)

أسباب الاختيار	عدد	٪
صفات خاصه وامكانيات شخصية غير متوفرة فى غيرها	٩	١٤٫٣
التعبير عن واقع المجتمع	٧	١١٫١
الايمان بحق الشعب فى حياة كريمة	٤	٦٫٣
الشورى والديموقراطية	٤	٦٫٣
تغيير مجرى التاريخ	٤	٦٫٣
التفانى فى حب الوطن	٣	٤٫٨
بناء الاقتصاد وتوفير لقمة العيش	٤	٦٫٣
الوقوف بجوار الشعب وسط الأزمات والظروف القاسية	٦	٩٫٥
الوعى بالتاريخ السياسى للمجتمع المصرى	٥	٨٫ـ
احساس ذاتى	١	١٫٧
لعظيم أعمالهم غير المذكورة	٢	٣٫١
قدرتهم على فهم الشخصية المصرية	١	١٫٧
اتصافهم بالعدل	٢	٣٫١
غير مبين	٥	٨٫ـ
اجمالى الاستجابات	٦٣	١٠٠

(٦)

وفى نطاق البحث عن أسباب تخلق الزعامة السياسية لا سيما من حيث الدور الذى تلعبه كل من الموهبة الخاصة والظروف الموضوعية للمجتمع أو كلاهما معا فى خلق تلك الزعامة ، يكشف لنا الجدول رقم (٨) عن

ثلاثة اتجاهات أساسية هى أن ٣٩٪ من اجمالى عدد العينة يرى أن الزعامة محض موهبة خاصة ، بينما يرى ٣ر١٥٪ أنه يمكن لأى شخص عادى بصرف النظر عن قدراته أو كفاءاته الخاصة) أن يكون زعيما سياسيا لو أتيحت له الفرصة المناسبة أو لو كانت الظروف الموضوعية للمجتمع تسمح لهؤلاء الأفراد أن يأخذوا دورهم الزعامى فى المجتمع ٠

وما بين هذين الاتجاهين يظهر اتجاه ثالث يرى أن الزعامة السياسية كظاهرة مجتمعية ليست وليدة عامل متفرد واحد بل هى مزيج من الموهبة الخاصة وعوامل مجتمعية متميزة أو هى نتاج لقدرات وكفاءات متميزة تفاعلت وامتزجت بمجموعة من السمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمع (١ر٤٤٪) ٠

والرؤية الثالثة ترى أن الزعامة السياسية هى نتاج للعلاقة الجدلية بين مواهب الزعيم والوضعية البنائية للمجتمع وأن الموهبة وحدها لا تخلق الزعيم ، كما أن الظروف الموضوعية للمجتمع لا تكفى وحدها لانبثاق الصفوات ذات القدرات الزعامية أو القيادية ، فالزعامة اذن هى مزيج بين هذه وتلك ٠

ولعل هذا يذكرنا بما ذهب اليه السير رايت ميلز **Mills** من أن تفسير نشأة الصفوات فى المجتمع ينبغى أن يكون فى ضوء السياق الاجتماعى للمجتمع ، أو من خلال الوضعية البنائية لهذا المجتمع ٠

ومن المؤكد أن هذه الاستنتاجات تتسق الى كبير مع مجموعة النتائج التى أمكننا استخلاصها من الجداول أرقام ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ والتى كشفت عن تحديد لماهية الزعامة السياسية وقفت فيه الموهبة الخاصة على قمة المقومات التى لا تستقيم الزعامة السياسية بدونها ، كما كشفت فى الآن نفسه عن جدلية العلاقة بين الزعامة السياسية والجماهير من ناحية والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمع من ناحية أخرى ٠

كما يلاحظ بالنسبة للجدول رقم (٧) أنه من بين أسباب اختيار بعض الشخصيات التاريخية المصرية كزعامات سياسية هو ما توفر لديهم من مواهب وقدرات خاصة وكفاءات أو قدرات متميزة (٣ر١٤٪) وهو ما يؤكد الدور الكارزمى للزعيم من جهة ويكشف عن أن الالهامية الزعامية تقف على قمة الصفات التى تتصور الصفوة المتعلمة أنها من المقومات الأساسية للزعامة

السياسية ، وهو الأمر الذى أفصحت عنه الاتجاهات التى كشف عنها الجدول رقم (٨) .

الجـدول رقم (٨)

اتجـاهات أفـراد العينة نحو عوامـل تخلق الزعـامة السـياسية

عوامل تخلق الزعامه السياسية	عدد	٪
موهبــه أو قدرات خاصة	٢٣	٣٩٫٠
الظروف الموضوعيه للمجتمع بصرف النظر عن الموهبه أو القدرة الخاصة	٩	١٥٫٣
الموهبــــه فى امتزاجها بالظروف	٢٦	٤٥٫٧
الاجمــــالى	٥٨	١٠٠٫٠

(٧)

لقد أثارت قضية العلاقة بين الزعامة السياسية والسلطة الشرعية أو الوضعية الرسمية للزعيم خلافات عديدة بين منظرى الفكر السياسى والباحثين فى سسيولوجيا السياسه من حيث جواز الجمع بين الزعامة السياسية من جهة والسلطة الشرعية من جهة أخرى وهل من الحتمى أن يكون الزعيم السياسى ذا منصب رسمى ، أم أن للزعامة السياسية وضعية خاصة تتجاوز كل حدود السلطة الشرعية ، وما ينبغى على هذه الزعامة أنتكون ذات وضعية رسمية ؟

ومن هذا المنطلق الخلافى بين الباحثين آثرنا أن نجعل هذه القضـية موضع تساؤل للكشف عز اتجاهات الصفوة المتعلمة ازاءها من حيث الموافقة أو عدم الموافقة على أن يكون انزعيم السياسى رئيسا للدولة ؟

واللافت فى اتجاهات أفراد العينة أن هناك اتجاها غالبا يكشف عـن عدم الموافقة على الجمع بين الزعامة السياسية ورئاسة الدولة (٦٧٫٣٪) ، بينما يوافق على هذا الجمع ٢٣٫٧٪ وهذه نسبة ضئيلة بالمقارنة بالاتجـاه الرافض (الجدول رقم ٩) .

ومن المؤكد أن هذا الاتجاه الغالب الرافض للجمع بين الزعامة السياسية

والرئاسة الشرعية للدوله يكشف عن وعى متميز لهذه الصفوة ، لأن الزعامة السياسية الحقيقية ـ وكما أشرنا فى الفصلين الأول والثاني من هذا الكتاب ـ هى الزعامة التى تعمل بمبعدة عن السلطة الرسمية ، وهو الأمر الذى جعلنا نعيب على كل من أحمد عرابى وسعد زغلول ارتباطهما الشرعى بالسلطة ، الاول حين قبل نظارة الحربية والثانى حين تولى رئاسة الوزارة المصرية بعد انتخابات عام ١٩٢٤ ، فى حين حمدنا لمصطفى كامل ومن قبله عمر مكرم عدم تفكيرهما فى أى منصب رسمى ، وهو الأمر الذى أضاف الى أبعاد شخصيتهما الزعامية أبعاد جديدة للقوة ٠

ومهما قيل فى أسباب تولى كل من عرابى وزغلول لهذين المنصبين الرسميين ، فما كان ينبغى عليهما أن يقبلاها لأن الزعامة السياسية الحقة هى تلك التى تستمد أصول قوتها من التأييد الجماهيرى وأن تكون ـ دائما ـ رقيبة على تصرفات السلطة الحاكمة ، وأن تظل ـ دائما ـ بمثابة الرمز الذى تلتف حولها الجماهير وتلجأ اليه عند كل خطب يلم بها أو أزمة تعن لها ٠

الجدول رقم (٩)

اتجاهات أفراد العينه ازاء الموافقة أو عدم الموافقة على الجمع بين الزعامة السياسية ورئاسة الدولة

الموافقة أو عدم الموافقة على الجمع بين الزعامة السياسية ورئاسة الدولة	عدد	٪
موافق	١٤	٢٣ر٧
غير موافق	٤٤	٦٧ر٣
الاجمالى	٥٨	١٠٠ر ــ

ومن الملاحظ أن هناك فردا واحدا ممن وافقوا على الجمع بين الزعامة السياسية ورئاسة الدولة رأى وجوب هذا الجمع لا سيما بالنسبة للدول المتخلفة حيث رأى أنها فى أشد الحاجة الى زعامة سياسية موهوبه وذات كفاءة عالية الى جانب ضرورة أن يكون لها وضع رسمى شرعى يتيح لها

تحقيف مجموعة الأهداف والانجازات التى تصل بهـذا المجتمع المتخلف الى درجة من الرقى والتقـدم ٠

كذلك يلاحظ بالنسبة للمجموعات ذات الاتجاه الغالب ، غـير المؤيد لامكانية الجمع بين الزعامة السياسية ورئاسة الدولة أن هناك ـ أيضـا ـ فردا واحدا من هذه المجموعة يرى رغم رفضه لامكانية الجمع هذا ، أن هـذا يتوقف على (رغبة) الجمـاهير ، بحيث اذا رأت أن الزعيم السياسى ذو صلاحية خاصـة لتولى المنصب الرسمى ، فعليه أن يقبل هذا ، أم اذا لم تستحسن هذا فعلى الزعيم السياسى أن يظل ـ دائما ـ بعيـدا عن السلطة الرسمية احتراما لرغبة الجماهير ٠

(٨)

واذا كان الاتجاه الغالب بالنسبة لأفراد عينة الدراسة هو عدم الموافقة على الجمع بين الزعامة السياسية ورئاسة الدولة (٦٧ر٣٪) وكما هو وارد فى جدول رقم (٩) فهل لنا أن نتساءل اذا ما كانت هناك تمايزات متصورة لدى أفراد العينة الموافقين وغير الموافقين على الجمع بين الزعامة السياسية ورئاسة الدولة ، فيما يتعلق بطبيعة هذين النوعين من القوة ، بمعنى هـل للزعامة السياسية باعتبارها قوة فى المجتمع ملامح وخصـائص تختلف فى مظاهر ومضمونها عن تلك التى تميز رئيس الدولة أو الحكم بمعناه الشرعى أو الرسمى ؟

فى الواقع أن الجدول رقم (١٠) يشير الى اجماع لا نظير له على أن هناك فروقا ذات دلالة بين كل من الزعيم السياسى ورئيس الدولة ويستوى فى هذا الموافقون على الجمع بين القوتين أو غير الموافقين عليها ٠

وتظهر أولى سمات التمايز فيما ذهب اليه ٣٦ر٢٪ من اجمالى أفـراد العينة الى أن الحاكم كقوة يستمد سلطته من وضعه الشرعى ومنصبه الرسمى بينما تنبثق الزعامة السياسية كقوة من التأييد الجماهيرى وحب الشعب له٠ ولعل هذه النتيجة تتسق الى حد كبير مع ما أشرنا اليه فى الفصلين الأول والثانى من هـذا المؤلف والتى أكدنا من خلالهما على أن الزعامة السياسية بطبيعتها هى قوة خارج الشرعية بصورتها الرسمية ، بل هى قوة تتجـاوز

كل حدود الشرعية التقليدية ، بعكس الحاكم الذى تعتمد قوته أولا وأخيرا على وضعيته الشرعية وسلطته القانونية ، وهو الأمر الذى اتضح لنا فى نماذج كالشيخ الشرقاوى والشيخ السادات والسيد عمر مكرم ومصطفى كامل وسعد زغلول ما عدا الأشهر العشر التى تولى فيها رئاسة الوزارة المصرية عام ١٩٢٤ ٠

وتؤكد بعض الاستجابات الاخرى (٦ر١٥٪) على أن الحاكم بصفته رئيسا للدولة ذو قدرات ادارية وتنفيذية ، وهو ما نجد عكسه لدى الزعيم الذى تغلب كفاءته العقلية والذهنية على أى قدرة ادارية أو تنفيذية أخرى ٠ ولعل هذا التصور يؤكد بشكل صريح على أن للزعيم ماهية جد مختلفة عن ماهية الحاكم أو رئيس للدولة ٠

ثم تتوالى التمايزات بعد ذلك حيث يرى ١ر١٢٪ أن الحاكم يتميز بالدبلوماسية ، بينما تغلب صفة الصدق على الزعيم السياسى ٠ كما أنه بالنسبة لنطاق المسئولية ، تتسم مسئولية الحاكم بالخطورة والحساسية وكبر حجمها مقارنة بمسئولية الزعيم الذى رغم أهميتها ـ فيما تتصور هذه الفئة ـ لا تتسم بالكبر أو الضخامة اذا ما قورنت بمسئولية الحاكم (٤ر٣٪) ٠

أما عن نوعية المسئولية وطبيعة المهام الموكلة لكليهما فيلاحظ ٧ر١٪ أن مهمة الحاكم تتسم بالازدواجية حيث أنه ـ بطبيعة منصبه ـ يولى كلا من الشئون الداخلية والخارجية قدرا متساويا من الاهتمام ، أو هذا ما ينبغى أن يكون ، فى حين تتحدد مهام الزعيم السياسى فى الاهتمام بالقضايا الداخلية للمجتمع ٠

ولا شك أن هذه الاستجابة أو هذا الاتجاه يتفق كثيرا مع الاستنتاجات التى أمكننا استخلاصها من ظروف انبثاق الزعامة ودور الظروف الموضوعية (القضايا الداخلية) للمجتمع فى تخلق هذه الزعامات ٠ ثم أن نفس هذا الاستنتاج سوف يتأكد لنا بصورة أكثر وضوحا فى المبحث التالى والخاص بالزعامات السياسية وحاجة المجتمعات اليها ، لا سيما نتائج الجدولين (١١ ، ١٢) ٠

ورغم هذه الاتجاهات المؤكدة للتمايزات القائمة بين الحاكم أو رئيس

الدولة وبين الزعيم السياسى الا أن هناك اتجاها يمثل ثقلا ذا أهمية يرى أنه لا فرق ولا تمايز بين كل من الحاكم والزعيم السياسى ، وأنهما كل فى واحد ، وأن كل زعيم سياسى يكون بالضرورة حاكما ، وكل حاكم يمكن أن يمثل فى آن واحد الزعامة السياسية (الجدول رقم ١٠) ٠

ولا شك أن الاتجاهات الغالبة فيما يتعلق بهذا الموقف تؤكد التمايز بين كل من الحاكم والزعيم السياسى ، وهو ما يكشف عن درجة من الوعى بدور كل منهما المتميز كل التميز ، لكن تلك المجموعة التى لم تر فروقا بينهما تلقى ظلالا من الشك على نوعية بعض المفاهيم السياسية التى تتمثلها هذه الصفوة المتعلمة واختلاط بعضها بالبعض الآخر ٠

الجدول رقم (١٠)

اتجاهات أفراد العينة عن التمايزات القائمة بين كل من الحاكم والزعيم السياسى

السمات التى تميز الحاكم والزعيم السياسى	العدد	٪
كل حاكم او رئيس دولة هو بالضرورة زعيم سياسى ولا فروق بينهما ٠	١٦	٣ر٤ ٣ر٤
يتميز الحاكم بقدراته الادارية بعكس الزعيم يتسم بالقدرات الفكرية	٩	١ر٧
يستمد الحاكم سلطته من منصبه الرسمى ، بينما يستمدها الزعيم من التأييد الجماهيرى ٠	٢١	١٢ر٩
الدبلوماسية فى الحاكم والصدق فى الزعيم ٠	٧	٣٦ر٢
الحاكم له اهتمام بالشئون الخارجية والداخلية ، بينما يهتم الزعيم بالشئون الداخلية فقط ٠	١	١٥ر٦
مسئولية الحاكم أكبر من مسئولية الزعيم ٠	٢	
لا يعرف	٢	٢٧ر٦
الاجمالى	٥٨	١٠٠ر ــ

(٩)

وفى نطاق البحث عن تتمة لصورة الزعيم السياسى فى تصورات الصفوة المتعلمة آثرنا أن نتعرف على اتجاهاتهم عن العلاقة بين الزعامة السياسية

والرئاسة الحزبية ، بمعنى هل يمكننا أن نعتبر أن الرئاسة الحزبية كوضعية سياسية لفرد ما تؤهله لكى يكون زعيما سياسيا ؟ ويتحدد التساؤل بصورة أدق : هل يمكننا أن نعتبر الاحزاب السياسية القنوات الطبيعية التــى تمر من خلالها الزعامات السياسية ؟

فالواقع أن الاتجاه الغالب بالنسبة لاستجابات أفراد العينة يؤكد وجود العلاقة بين الزعامه السياسية والرئاسة الحزبية مع تأكيدهم على المجتمعات التى تأخذ بنظام تعدد الاحزاب ، أى المجتمعات الديموقراطية باعتبــارها أكثر المجتمعات التى تتضح فيهـــا ظاهرة العـــلاقة العضوية بين الزعامة السياسية والأوضاع الحزبية (٧٦٪) ٠

ومن المؤكد أن هذا الاتجاه الغالب يكشف لنا عن وعى سياسى متميــز لأفراد هذه الصفوة بالنسبة لهذه القضية على الأقل ، لأنه من المتعارف عليــه ـ وهو ما كشف عنه عرضنا لبعض مظاهر التراث الفكرى فى الفصل الأول ـ بالنسبة لبعض المفكرين السياسيين أنهم يرون الزعامة السياسية لا تتخلق الا من خلال المجتمعات الديمقراطية الحزبية وهو ما أكده هيرمنز Hermense حيث يصبح التنافس هو السمة التى تميز هذه المجتمعات ومن ثم المعارضة وحرية النقد الامر الذى يتيح لكافة الكفاءات والقدرات أن تبرز وتتألق مــن خلال هذا المناخ الذى تتيحه هذه النوعية من المجتمعات ومن خلال مجموعة الاحزاب السياسية التى تختلف فى فكرها وايديولوجياتها وبرامجها ، الأمر الذى يسمح لذوى الكفاءات الزعامية والقدرات القيادية أن تظهر وتتألق ٠

فى الحكم تتيح للزعامات السياسية الظهور كنتيجة لوطأة الحكم والظروف القاسية لهــذه النوعية من المجتمعات وهو مايظهر من خلال الثورات والحركات لهــذه النوعية من المجتمعات وهو ما يظهر من خـــلال الثورات والحركات الاجتماعية الشعبية التى تقودها هذه الزعامات وتوجهها ٠

وفى الوقت الذى نلاحظ فيه هذا الاجماع على عضوية العلاقة بين الزعامة السياسية والرئاسة أو الوضعية الحزبية ، نجد أن هناك اتجاها آخر يمثل نسبة تعد ضئيلة (٢٠ر٦٪) بالمقارنة بنسبة المجمعين ، وهو الاتجاه الذى ينفى العلاقة بين الزعامة السياسية والوضعية الحزبية ، بمعنى أن هـــذا الاتجـــاه يرى أنه ليس بالضرورة أن ترتبط الزعامة السياسية بالوضعية

الحربية ، وأن كلا منهما تعمل بمعزل عن الأخرى ، وأن الزعيم السياسى لا يمكن أن يكون ذا وضعية حزبية معينة ، وأن رئيس الحزب ليس بالضرورة أن يكون زعيما سياسياً ، بل انه ليست له علاقة بالزعامة السياسية ٠

ورغم عدم موافقتنا على هذا الاتجاه الأخير ، الا أنه يمثل تصورا وهو وان كان ذا نسبة ضئيلة ، الا أنه أولا وأخيرا اتجاه يكشف عن ضآلة الوعى السياسى بمتغيرات تخلق الزعامات السياسية وظروف نشـأتها وعـلاقة الديمقراطية الحزبية بظاهرة الصفوات السياسية أو الزعامات السياسية فى المجتمع ٠

الجدول رقم (١١)

اتجاهات أفراد العينة عن العلاقة بين الزعامة السياسية والرئاسة الحزبية

العلاقة بين الزعامة السياسية والرئاسة الحزبية	عدد	٪
هناك علاقة خاصه فى الدول الديمقراطية الحزبية	٤٤	ـر٧٦
ليست هناك علاقة	١٢	٦ر٢٠
لا يعرف	٢	٤ر٣
الاجمالى	٧٥	ـر١٠٠

(١٠)

اذا كان بعض منظرى الفكر السياسى يرون أن الزعامة السياسية لا تتخلق الا من خلال المجتمع الديمقراطى ، متعدد الاحزاب ، فاننا فى الموقف الراهن نتساءل عن العلاقة بين الزعامة السياسية وقضية الشورى ، بمعنى هل الزعامة السياسية تستوجب الشورى والاهتمام بالرأى الآخر والترحيب بالنقد ، أم أنها تفترض الانفراد بالرأى والاستئثار به ؟

ويكشف لنا الجدول رقم (١٢) عن اتجاه عام يرفض فكرة استئثار الزعيم السياسى بالرأى حتى ولو كان فى وقت الأزمات أو سـاعات المحن (٧٥٪) ، وهو رأى مؤسس على فكرة مؤداها أن الاحتكام الى الرأى الآخـر والشورى والقدرة على تقبل نقد الآخرين ، يعد أحـد الضمانات الاساسية

لتخطي عقبات الطريق وعثرات مسار النضال الوطني ومن ثم تحقيق الآمال المعقودة على الزعامة السياسية ، فالزعيم فى حاجة دائمة الى من يستشيره ويبير له الطريق ويتبادل معه الرأى والا أضحى ككل الزعامات الديكتاتورية التى خبرها تاريخ العالم كهتلر وموسوليني وماوسى تونج ، وأيضا بعض زعامات العالم الثالث ، لا سيما تلك الزعامات التى تبوأت مكانتها الشرعية ووضعيتها الرسمية من خلال مجموعة الانقلابات العسكرية التى تنزع بحكم طبيعتها نحــو الصيغة الاوتوقراطية والمنهــج الديكتاتورى فى السياسة والحكم ٠

وفى الوقت الذى نلاحظ فيـــه هـذا الاجماع على رفض الديكتاتورية كأسلوب للزعامة السياسية نجد أن هناك مجموعة ـ ولكنها ضئيلة ـ ترى أنه من الضرورى أن يكون الزعيم السياسى ديكتاتورى النزعة ، حيث لا وقت ـ لا سيما فى أوقات الشدة ـ للاستنارة بالرأى الآخر ، حيث تتشتت الآراء فتضل الزعامة الطريق ، لكن الأمر ـ لا سيما فى أوقات المحن والأزمات ـ فى حاجة الى القرار السريع والشجاع لمواجهة تلك المحن والأزمات (٣ر١١٪) ٠

والواقع أن الرؤية الأخيرة تفتقر الى الوعى والفهم الجيـــد الناضج لطبيعة الزعامة السياسية ودورها فى المجتمع ٠ ومن المؤكد أن الشعوب فى أوقات المحن فى أشد الحاجة الى القرارات الجريئة ، ولكن ليست فى حاجة الى القرارات الهوجاء ، المتسرعة ، غير الحكيمة ، فكيف تتحقق الدقة والحكمة دون أن يكون القرار (شورى) بين الزعيم والأطراف الأخرى المشكلة للبنـــاء السياسى للمجتمع ولتكن المجالس النيابية أو الاحزاب السياسية ، والا تصبح القرارات محض تهريج سياسى ، يزيد المشكلات تعقيدا ويؤدى الى نتـــائج عكسية تضر كثيرا بالمجتمع ، الذى لا شك ـ أنه فى غنى عنها ؟

ثم تظهر مجموعة غـــير واضحة الاتجاه ، ترى أنه فى امكان الزعيم السياسى أن يجمع بين الاتجاهين الديمقراطى والديكتاتورى معا ، كيف ؟ لم يستطع أصحاب هذه الرؤية الغامضة أن يجدوا تعليلا لتصورهم هــذا (٧و١٣٪) الجدول رقم (٤٢) ٠

الجـدول رقم (١٢)

اتجـاهات أفـراد العينة عن مــدى موافقتهم على استئثار الزعيم السياسى بالرأى ورفضه لمبدأ الشورى

الزعامة السياسية ورفض الشورى	عدد	٪
مـوافق	٦	١٣٫٧
غـير موافق	٤٣	٧٥٫ـــ
يمكن الجمع بين الشورى والاستئثار بالرأى	٩	١١٫٣
الاجمـــالى	٥٨	١٠٠٫٠

المبحث الثالث

الزعامات السياسية وحاجة المجتمعات اليها

(١)

يعنى هذا المبحث بالكشف عن تصورات أفراد الصفوة المتعلمة للظروف التى تستوجب وجود زعامات سياسية فى تلك المجتمعات ، بمعنى ما نوعية الظروف المجتمعة ـ سياسية ، اقتصادية ، اجتماعية ـ التى تحتم انبثاق الزعامات السياسية لمواجهة تلك الظروف وصولا لتحقيق الانجازات التى تأخذ بيد تلك المجتمعات خروجا من أزماتها ، وقضاء على معوقات نموها ٠

وتتدرج هذه الظروف ، من ظروف سياسية كما هو الحال فى أوقات الأزمات السياسية وفساد النظام السياسى (١ر٣٧٪) وشيوع ظاهرة الفراغ السياسي (٨ر٤٪) والانفصال بين القيادة والشعب (٦ر٩٪) وهى ظاهرة تعكس مضمونا سياسيا ، ثم ـ وهو مظهر سياسى آخر ـ عدم وجود زعامة سياسية متكاملة الملامح يلجأ اليها المجتمع عند أزماته (٤ر١١٪) ٠

ثم تلك الظروف الاجتماعية ـ الاقتصادية كحالة الظلم الاجتماعى والتفاوت بين الطبقات (٢ر٢٤٪) ، ثم فترات الانتقال والتغير الاجتماعى السريع ، كلها ظواهر تستوجب وجود زعامة سياسية ذات كفاءة عالية لمواجهة تلك المواقف السياسية والاجتماعية والاقتصادية (الجدول رقم ١٣)٠

والملاحظ أن غالبية تصورات أفراد العينة عن الظروف التى تحتم وجود زعامات سياسية للمجتمعات تدور غالبيتها فى فلك الأزمتين السياسية والاجتماعية ، وان تفوقت الظروف السياسية الى حد ما ٠ ولعل تلك النتيجة تتسق الى حد كبير مع معرفتنا العلمية بظروف تخلق الثورات السياسية والاجتماعية ، حيث تقف الأسباب السياسية (خاصة الفساد السياسى والاتجاهات الاوتوقراطية فى الحكم) والاجتماعية الاقتصادية (خاصة مظاهر الظلم الاجتماعى والتناقضات الطبقية الحادة) على قمة الاسباب الداعية الى الثورة والى الحركات الاجتماعية والسياسية ، وحيث تبرز الزعامات السياسية كقيادات محركة لتلك الثورات وهذه الحركات ، وهنا تتسق

معرفتنا بظروف تخلق الثورات بما أشارت اليه التصورات الخاصة بالظروف التى تخلق الاحتياج الى وجود زعامات سياسية فى المجتمع .

ولعل هذه التصورات تتسق أيضا مع ما أشرنا اليه فى الجدول رقم (٨) من اقرار (٣ر١٥٪) من أفراد العينة بدور الظروف الموضوعية للمجتمع فى خلق الزعامات السياسية ، وهو ما يؤكد ذلك الدور الخطير الذى تلعبه ظروف المجتمع فى الكشف عن كوامن الزعامات السياسية ، ولعل فى اشاراتنا لظروف تخلق زعامتى أحمد عرابى وسعد زغلول ـ فضلا عن جمال عبد الناصر ـ خير شاهد على ما نذهب اليه .

الجـــدول رقم (١٣)

تصـــورات أفــراد العينة عن طبيعة الظروف المجتمعية التى تستوجب وجــود زعامات سياسية

الظروف التى تستوجب الحاجة الى الزعيم	عدد	٪
أوقات الأزمات السياسية وعندما تنتشر مظـاهر الفســاد السيـاسى .	٢٣	١ر٣٧
الظلم الاجتماعى والتناقضات الطبقية	١٥	٢ر٢٤
عـدم وجـود زعيم	٨	٤ر١١
الفــراغ السياسى	٣	٨ر٤
الانفصـال بين القيـادة والشعب	٦	٦ر٩
فترات التغير الاجتماعى	٤	٥ر٦
فى أى وقت	٣	٨ر٤
غـير مبـين	١	٦ر١
اجمـــالى عـدد الاستجابات	٦٢	ـر١٠٠

واللافت فيما يتعلق بتصورات أفراد العينة عن الظروف التى تحتم وجود زعيم سياسى أن هناك استجابتين ذات دلالة ، الاولى تلك الاستجابة التى تؤكد أن المجتمعات المتغيرة أو تلك التى تمر بمرحلة التغير الاجتماعى السريع (٥ر٦٪) وهو ذلك التغير الذى يصيب البناء الاجتماعى بعناصره المختلفة ومن ثم يجعل المجتمع فى حالة اللا توازن ، أو قد يؤدى الى حـالة من الاضطراب وقـد يكون حالة فوضى . فهذه النوعية من المجتمعات تعـد ـ فى

تصورهم ــ من أكثر المجتمعات احتياجا الى الزعيم السياسى الذى يوجه حركة التغير ويقود مساراتها ويعين معالمها وهو ما يحقق عملية التوازن فى المجتمع • فدور الزعيم السياسى هنا لا يعدو أن يكون محض (ترشيد) لعملية التغير الاجتماعى ، أو مجرد صمام الأمان أمام عثرات الطريق ، تحقيقا للتوازن وتجنبا لأىّ مظهر من مظـــاهر الصراع الذى قــد ينجم عن التحولات الاجتماعية السريعة التى طــرأ على المجتمع •

أما الاستجابة اللافتة الثانية فهى الخاصة بالتأكيد على أن المجتمعات دائما فى حاجة الى الزعيم السياسى (٨ر٤٪) بصرف النظر عن ظروف هذه المجتمعات ، بمعنى أن الزعامة كظاهرة سياسية تتسم بالحتمية وبضرورة تومرها لدى كافة المجتمعات باعتبارها جزءا من النسيج الاجتماعى والسياسى للمجتمع تستوى فى ذلك المجتمعات المتقدمة بتلك التى لم تصب الا قـــدرا ضئيلا من مظاهر الرقى والتقدم ، ولكن ما قد يثير التساؤل هنا ، وبالنسبة لهذه الاستجابة بالذات ، هو ما اذا كان مفهوم الزعامة السياسية بملامحه الأساسية ومقوماته الرئيسية غير متـداخل مع مفهوم السلطة الرسمية أو مختلط معه ، وأن التمايزات بين الزعامة السياسية والوضعية الشرعية لرئيس الدولة من الوضوح والفهم بحيث يمكن أن ينتفى أى مصدر من مصـــادر الشك أو الريبة بالنسبة لتصورات أصحاب تلك الاستجابة (جدول ١٣) •

(٢)

واذا كان الموقف السابق قد حاول ان يكشف عن الظروف التى تحتم وجود زعامات سياسية فان الموقف الحالى يكشف عن تصورات أفراد العينة عن هوية المجتمعات التى تمر بتلك الظروف وبالتالى تكون فى أشد الحاجة الى وجود الزعامة السياسية •

ويكاد يجمع المبحوثون على أن كلا من الدول النامية (٤ر٢٢٪) والدول المتخلفة (٥٧٪) تعد من أكثر دول العالم احتياجا للزعامات السياسية ، بينما يرى ٦ر٢٠٪ أن جميع دول العالم تشعر دائما باحتياجها لمثل تلك الزعامات (جدول رقم ١٤) •

ولعل المقارنة السريعة بين نتائج جدولى ١٣ ، ١٤ يكشف لنا عن قدر متميز من الاتساق • فاذا كانت نتائج الجدول رقم (١٣) تشير الى اتجـاه

غالب بين اتجاهات الصفوة المتعلمة وهو أن الدول المتخلفة والنامية تعد من أكثر الدول واحتياجا للزعامات السياسية ، فان ما كشفت عنه نتائج الجدول رقم (١٣) يؤكد حقيقة هذا الاتجاه حيث تراوحت اتجاهات أفراد العينة عن الظروف التى تحتم وجود زعامات سياسية بين المتغيرات الآتية :

١ ـ وقت الازمات السياسية وعندما تنتشر مظاهر الفساد السياسى .
٢ ـ عند انتشار ظاهرة الفراغ السياسى .
٣ ـ فى حالة تفشى مظاهر الظلم والتناقضات الاجتماعية .
٤ ـ فى فترة التحولات والتغيرات الاجتماعية السريعة .

ولا شك أن الملامح السابقة ، أو تلك الظروف ـ التى يراها المبحوثون أنها معجلة بضرورة وجود الزعامات السياسية وتوفرها لدى تلك المجتمعات، هى فى الواقع من أهم خصائص المجتمعات النامية والمتخلفة التى تتسم دائما بحالة عدم الاستقرار السياسى والاجتماعى ، والتى تسودها دائما مظاهر اللا توازن الاجتماعى والطبقى .

كما أنه من المؤكد أن تلك المجموعة التى رأت أن كل المجتمعات ـ بصرف النظر عن هويتها ـ دائما فى حاجة الى الزعيم السياسى قد اتسقت تماما مع لاستجابة الخاصة بأن المجتمعات ـ أى مجتمعات ـ تشعر دائما باحتياجها الى الزعيم السياسى فى أى حقبة ، أو فى أى وقت أو مرحلة تمر بها سواء أكانت مرحلة فساد ، أو كانت مرحلة رخاء . فالمجتمعات دائما فى حاجة الى وجود الزعيم أو القائد السياسى بصرف النظر عن هويتها أو طبيعة المرحلة الزمنية التى تمر بها (الجدول رقم ١٣) .

الجدول رقم (١٤)
اتجاهات أفراد العينة نحو تحديد هوية المجتمعات الأكثر احتياجا للزعامات السياسية

هوية المجتمعات الأكثر احتياجا للزعامات السياسية	عدد	٪
المجتمعات المتخلفة	١٢	٦ر٢٠
كل المجتمعات	١٣	٤ر٢٢
المجتمعات النامية	٣٣	ـر٥٧
الاجمالى	٥٨	ـر١٠٠

(٣)

ثم تتوالى مظاهر الاتساق بين المواقف السابقة والموقف الحالى حيث يكشف الجدول رقم (١٥) عن المبررات التى اعتمدت عليها الصفوة المتعلمة فى فى تأكيدها على نوعيات خاصـــة من المجتمعات تحتاج بصورة ملحة الى الزعامات السياسية ، والتى انحصرت ـ أى تلك المجتمعات ـ بصورة واضحة فى المجتمعات النامية والمتخلفة ٠

وتتربع المبررات الاجتماعية ومظاهر التخلف (٤ر٢٢٪) وتحـــديات التغير الاجتماعى السريع (٨ر٢٢٪) على قمة الأسباب التى اعتمدت عليها بعض أفراد الصفوة المتعلمة فى تبرير اختيارها لهذه النوعية من المجتمعات ، وهى تبريرات تكشف عن مضمون اجتماعى له بلا شك أسبابه السياسية ٠

ثم تأتى فى المرتبة الثانية الأسباب السياسية والتى تتضح من زاويتى فساد النظام السياسى (٧ر١٣٪) فى المجتمع والذى قد يرجع الى سـيادة الاساليب الاوتوقراطية فى الحكم ، ويتضح هذا اذا ما علمنا أن غالبيـــة المجتمعات النامية والمتخلفة ما زالت تسودها الصيغ الديكتاتورية فى الحكم ، وهى تلك المجتمعات التى تم اختيارها ـ من خلال المبحوثين ـ باعتبارها من أكثر المجتمعات احتياجا الى الزعامات السياسية ٠

أما الوجه الآخر للأسباب السياسية فيكشف عنه مبرر ضآلة الوعى السياسى (٢ر٥٪) على اعتبار أن هذه الظاهرة ـ باعتبارها أحـــد سمات المجتمعات المتخلفة والنامية ـ تحتم وجود الزعامات السياسية التى تذكى الوعى السياسى للجماهير وتعمل على تنميته ٠ وتصدق هـــذه الحقيقة اذا ما علمنا أن من بين مؤشرات نجاح الزعامات السياسية المتكاملة ومن أبرز مقوماتها هو قدرة الزعامات السياسية على انماء الوعى السياسى للجماهير باعتباره أحد مظاهر التحديث بصورته السياسية Political Modernization والذى يعـــد فى الآن نفسه أحـــد مؤشرات نجاح الزعامات السياسية من فشـــلها ٠

الا أن هناك مبررا آخر اعتمد عليه ٢ر٥٪ من اجمالى عدد العينة وهـــو التخلص من سيادة الجيش كسلطة حاكمة ، وهو مبرر يكشف عن تصور خاص لطبيعة السلطة فى المجتمعات النامية أو المتخلفة والتى تتسم عادة بسيادة

الجـــدول رقم (١٥)
أسباب احتياج المجتمعات الى الزعامة السياسية

اســـــباب	عدد	٪
ضـــآلة الوعى السياسى	٣	٢ر٥
فســاد النظام السياسى	٨	١٣ر٧
لأن الجيش هو القوة الحاكمة	٣	٢ر٥
المعـــاناة من حالة التخلف	١٣	٢٢ر٤
مواجهة التحـديات والتغيرات السريعة	١٩	٣٢ر٨
غـير مطلوب(*)	١٢	٢٠ر٧
الاجمــــــالى	٥٨	ـر١٠٠

النمط العسكرى كصيغة أو أسلوب للحكم ، وتتأكد تلك الحقيقة اذا ما عرفنا ان غالبية المجتمعات المتخلفة والنامية كانت مسرحا دائما للانقلابات العسكرية بصورة أصبحت معها تلك الانقلابات تمثل ظاهـــرة من الظواهر المشـكلة لطبيعة البناء السياسى لتلك المجتمعات ٠

(*) تشير الاعدد والنسب المئوية الموجودة فى خانة (غير مطلوب) الى بعض افـراد العينة الذين اجابوا على السؤال السابق (جدول ١٢) الخاص بهوية المجتمعات التى فى حاجة الى الزعامات السياسية واشـاروا فيها الى أن كل المجتمعات فى حاجة الى زعامات سـياسية وبالتالى اصبح من غير المنطقى أن يسألوا (ولمـاذا هذه المجتمعات بالذات ؟) ٠

المبحث الرابع

التاريخ السياسي للمجتمع المصري

بين تألق الزعامات السياسية وأفول نجمها

لعل الملاحظ المدقق لمجموعة النتائج التى أمكننا استخلاصها من واقع الجـدولين ٦ - ٧ وهما المتعلقان بأبرز الشخصيات السياسيه المصرية التى يمكن أن تنطبق عليها مقومات الزعامة السياسية وأسباب هذا الاختيار • أن غالبية هذه الشخصيات كانت تقـع ـ زمنيا أو تاريخيا ـ فى فتـرات الاحتلال الانجليزى (مصطفى كامل ـ ٢ر٢٥٪ ـ سعد زغلول ـ ٣ر٢٠٪ ـ أحمد عرابى ـ ٢ر١١٪ ـ جدول رقم (٦) وفترات الحكم المطلق ، وأوقات الأزمات السياسية التى تتسم بالعنف والاثارة •

وتتأكد تلك الحقيقة اذا ما كشفنا عن نتائج الجدول رقم (١٦) وهـو الخاص باتجاهات أفراد العينة لأكثر فترات التاريخ المصرى تشبعا بالزعماء السياسيين ، حيث يرى ٤ر٥٣٪ أن فترة الاحتلال الانجليزى والفترة التى سادت فيها صيغة تعـــدد الاحزاب فى مصر هى أكثر حقب التاريخ المصرى تشبعا بالزعامات السياسية • ويؤكد ٣١٪ أيضا هذه الحقيقة اذ يرون أن أن بدايات القرن العشرين وأواخر القرن التاسع عشر قد شاهد تألق الكثير من الزعامات السياسية المصرية •

أما أقل الفترات التى حظيت باختيار أفراد العينة هى فترة التتـار والحروب الصليبية (٤ر٣٪) ، وفترة ما بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ (٢ر٥٪) وفترة الحكم العثمانى (٠ر٧٪) •

وتعتمد أفراد العينة فى اختيارها لهذه الفترات التاريخية على مجموعة من المبررات هى :

١ ـ وجود الاستعمار ووطأة الاحتلال (٥٠٪) •

٢ ـ زيادة الوعى السياسى والحزبى (٦ر١٥٪) •

٣ ـ الارهاب والكبت والظلم (٨ر١٣٪) •

٤ ـ وجود حركة فكرية (٣ر١٠٪) •

٥ ـ الافتقار الى الديمقراطية (٣ر١٠٪) (الجدول رقم ١٧) ٠

(٢)

ونؤكد مجموعة التبريرات السابقة مجموعة من الحقائق نوجزها فيما يلي :

١ ـ أن تصور أفراد العينة لظهور الزعامات السياسية مرتبط بزيادة الوعى السياسى وبزيادة النشاط الحزبى فى المجتمع ٠

٢ ـ ان وجود الاستعمار واشتداد وطأته يعمل على خلق الزعامات السياسية لمواجهة المستعمر والتصدى له ٠

٣ ـ يمثل الارهاب والكبت ومظاهر الظلم والفساد أحد الأسباب التى تتيح للزعامات السياسية الظهور والتألق ، فضلا عن الافتقار الى الديمقراطية وافتقاد الحرية مما يساعد على تخلق تلك القيادات وتألقها ٠

٤ ـ من اللافت أن بعض أفراد العينة (٣ر١٠٪) يرون أن فى ازدهار الحركة الفكرية فى المجتمع ازدهارا أيضا أو تألقا للزعامات السياسية ، وهو ما يكشف عن درجة متميزة من الوعى السياسى والفكرى ، حين يعقد بعض أفراد العينة بين الفكر والسياسة من حيث طبيعة جدلية العلاقة بينهما ومن حيث عمليات التأثير والتأثر ومدى انعكاسات الأوضاع الفكرية على طبيعة الوضعية السياسية ، كذلك انعكاسات الوضعية السياسية للمجتمع على الوضعية الفكرية والبناء الثقافى له ٠

ولا شك أن نتائج الجدول رقم (١٧) تتسق كثيرا مع النتائج الواردة بالجدول رقم (٧) والخاص بأسباب إختيار بعض الشخصيات التاريخية كنماذج للزعامات السياسية المصرية والتى تركزت فى التعبير عن واقع المجتمع (١ر١١٪) والوقوف بجوار الشعب وقت المحن (٥ر٩٪) ، فضلا عن أسباب أخرى كالصفات الشخصية للزعماء (٣ر١٤٪) ٠

ولكن ما يهمنا هو أن الأسباب التى وردت فى الجدولين ٧ ، ١٧ تكشف عن دور الظروف الموضوعية للمجتمعات فى تخلق الزعامات السياسية والكشف عن كوامن مواهبها ٠

الجـــدول رقم (١٦)

اتجــاهات أفــراد العينة عن أكثر فترات التاريخ السياسى للمجتمع المصرى تشبعا بالزعماء السياسيين

أكثر الفترات تشبعا بالزعامات	عدد	٪
فترة الاحتلال الانجليزى وفترة النشاط الحزبى	٣١	٥٣ر٤
البدايات الأولى للقرن العشرين	٢	ـــر٣١
فترة مواجهــة التتــار وفترة الحروب الصليبية	٤	٣ر٤
فترة الحــكم العثمـــانى	١٨	ـــر٧
فترة ما بعد ثورة يوليو ١٩٥٢	٣	٥ر٢
الاجمـــالى	٥٨	ـــر١٠٠

الجـــدول رقم (١٧)

أســباب اختيار أفــراد العينــة للفترات التاريخية الواردة فى الجـدول رقم (١٦)

الأســـباب	عدد	٪
وجود الاستعمار ووطأة الاحتلال	٢٩	ـــر٥٠
وجــود حــركة فكرية	٦	١٠ر٣
زيادة الوعى السياسى وتألق النشاط الحزبى	٩	١٥ر٦
الارهاب والــكبت والظلم والفســاد	٨	١٣ر٨
الافتقــار الى الديمقراطية	٦	١٠ر٣
الاجمـــالى	٥٨	ـــر١٠٠

(٣)

وتعكس نتائج الجدولين ١٨ ، ١٩ تصورات أفراد العينة لأكثر فترات التاريخ السياسى المصرى خلوا من الزعامات السياسية ، حيث تشير غالبية أعضاء الصفوة المتعلمة الى أن فترة ما بعد ١٩٥٢ تعد من أكثر فترات التاريخ السياسى للمجتمع المصرى خلوا من الزعامات السياسية (٣٩ر٧٪) ، فى حين يرى ١٧ر٢٪ أن الفترة التى تمتد منــــذ الحكم العثمانى لمصر حتى النصف الثانى من القرن العشرين هى أكثر فترات التاريخ المصرى خلوا من الزعامات

السياسية ، وهذا الاتجاه يكاد يخفى كلية قدرة مصر على خلـــق الزعامات السياسية ولا يرى فى الشخصيات السياسية المصرية ما يكشف عن قدرات زعاميــة أو امكانيات قيادية ، وهى نظـــرة موغلة فى التطرف ، مسرفة فى التشاؤم ، تفتقد الرؤية الموضوعية ، ويعوزها سلامة المنطق ودقة الحكم ٠

أما الحقبة الناصرية فيرى ٨ر١٣٪ من أفراد العينة أنها تعد نموذجا لفترات الخواء السياسى التى كانت تفتقد الزعامة السياسية بصـــورتها المتكاملة ، ولعل هذه النتيجة تتناقض مع ما ذهب اليه بعض أفراد العينـــة فى الجدول رقم (٦) من اختيار جمـــال عبـد الناصر (٥ر١٧٪) كأحـــد الشخصيات السياسية التى تنطبق عليها مقومات الزعامة السياسية ، وما يراه البعض أيضا فى الجدول رقم (١٦) من اعتبار فترة ما بعد يوليو ١٩٥٢ (٢ر٥٪) أكثر فتـــرات التـــاريخ السياسى المصرى تشـبعا بالزعامات السياسية ٠

ثم تتنوع الفترات الخالية من الزعامات السياسية فيما يتصور أفراد الصفوة المتعلمة ما بين فترة الحكم العثمانى فقط (١ر١٢٪) وفترة ما قبـل ظهور مصطفى كامل (١ر٥٪) ٠

ولكن من الملاحظ أن هناك ١ر١٢٪ قد امتنعوا عن الاجابة عن هـــذا السؤال ، وهو موقف يكشف عن ظاهرة كنا نعتقد أنها قد زالت أو فى سبيلها الى الزوال وأعنى بها ظاهرة الفوبيا السياسية والرهبة من السلطة ، فرغم مناخ السبعينات الذى كشف عن نية السلطة على تحرير الانسان المصرى من قيود المــاضى التى كممت الأفــواه وحجـــرت على الحـــريات ، انمـــا يبدو أن قيود المــاضى ما زالت تلقى بظلالها وتحجب الرؤية أمام تلك الصفوة المتعلمة فآثرت الصمت ، وكأن صمتها يفصح عن رغبة فى الاعلان عن اتجـــاه قد يتعارض مع الوضعية السياسية المصرية الراهنة ٠

وتتدرج المبررات التى استند اليها أفراد العينة فى تعيين أكثر الفترات أو الحقب المصرية خلـــوا من الزعامات السياسية حيث تتربع الديكتاتورية وانفراد الحاكم بالسلطة والاستئثار بالرأى على قمة هـــذه المبررات وهـــو مايتضح فى متغيرى انفـــراد الحاكم بالسلطة (٦و٣٠٪) من جهـــة وسيادة الديمقراطية بصورتها الزائفة (٢٦٪) من جهة أخرى ٠

اما الاحتــلال كمبرر لخنق الزعامات (٥و١٥٪) وفقدان الشعب لثقته فى نفسه (٤ر٣٣٪) وانتشار الجهــل والتخلف (٤ر٣٪) فقــد كانت من اقل المبررات أو الاسباب التى اعتمد عليها المبحوثون فى تبرير اختيارهم لفترات تاريخية أو انها اكثر الفترات فراغاً من الزعامات السياسية ٠

ثم تظهــر مرة أخــرى تلك المجموعة صاحبة الفوبيا السياسية ذات الموقف الغامض ، وهو ما تجلى فى رفض (١ر٢٤٪) وامتناعهم عن الاجابــة وهو الأمر الذى يؤكد تصورهم فى أنـه قد يكون فى اتجاههم ازاء هذه القضية ما يفهم منه تناقضه مع طبيعة البناء السياسى الراهن مما يعرضهم للمساءلة ٠ (الجــدول رقم ١٩) ٠

وتذكرنا الاستجابة السلبية السابقة بذلك الموقف الشين الذى وقفته بعض أفراد الصفوة المتعلمة من الدراسة الراهنة حيث امتنع بعضــهم عن الاجابة عن مجموعة الأسئلة الواردة فى استمارة المقابلة التى أعددناها لهــذا الغرض ، ورفض العــديد منهم التعاون معنا ، وهو ما يؤكد مقولة الفوبيــا السياسية التى أشرنا اليها قبلا ، رغم الحرية النسبية المتاحــة فى الآونة الراهنة ، وهو موقف فى الواقع يكشف عن مدى النجاح الذى أصابته السلطة السياسية السابقة فى زرع الخوف فى الانسان المصرى بصفوته المتعلمة أيضا ٠

الجــدول رقم (١٨)

اتجــاهات أفــراد العينــة عن أكثر فترات تاريخ المجتمع المصرى خــلوا من الزعـامات الســياســية

الفــترات	عدد	٪
فترة ما بعــد ١٩٥٢	٢٣	٧ر٣٩
فترة الحكم العثمانى منــذ	٧	١ر١٢
الحكم العثمانى حتى منتصف القــرن العشرين	١٠	٢ر١٧
فترة الحكم الناصرى	٨	٨ر١٣
ما قبــل ظهور مصطفى كامل	٣	١ر١٥
الامتناع عن الاجابة	٧	١ر١٢
الاجمـــالى	٥٨	٠ر١٠٠

الجـــدول رقم (١٩)

أســـباب اختيــار هــذه الفترات بالذات

الأســـباب	عدد	٪
فردية الحكم والاستئثار بالسلطة	١٢	٢٠ر٦
سيادة الديمقراطية المزيفـــة	١٥	٢٦ر٠
الاحتـــــلال	٩	١٥ر٥
عــــدم وجود زعامة	٤	٧ر٠
فقـد الشعب لثقتـه بنفسـه	٢	٣ر٤
انتشار الجهــل والتخلف	٢	٣ر٤
الامتناع عن الاجابة	١٤	٢٤ر١
الاجمـــــالى	٥٨	١٠٠ر٠

استنتاجات ومنـاقشة عامـة

كشفت لنا النتائج عن مجموعة من الحقائق يمكن ايجازها فيما يلى :

أولا : ترى الصفوة المتعلمة أنـــه لا زعامة سياسية بـــدون التأييد الجماهيرى فمنها تستقى مصدر قوتها وبها تستمر زعامتها ·

ثانيا : ترى الصفوة المتعلمة أنه لا زعامة سياسية بلا فكر وبلا قـدرة على استشراف ملامح المستقبل ·

ثالثا : مالت غالبية أفـــراد الصفوة المتعلمة الى اختيـــار الزعامات السياسية التقليدية ، بمعنى تلك المتعارف عليها فى تاريخ المجتمع المصرى كأحمد عرابى ومصطفى كامل وسعد زغلول وهى الشخصيات التى جمعت بين السمات الكاريزمية من جانب والتأييد الجماهيرى من جهة أخرى ·

رابعا : يؤكد أعضاء تلك الصفوة أن الزعامة السياسية ظاهرة ليست وليـدة عامل متفرد واحد ، بل هى نتيجة عدة عوامل تتفاعل فيهـا السمات الشخصية مع التأييد الجماهيرى مع الظروف الموضوعية للمجتمع والابعـاد الفكرية للزعيم ·

خامسا : يرى أعضاء تلك الجماعة أن الزعامة السياسية ، هى وضعية متميزة بلا حدود سلطوية أو أضاع رسمية ، فهى سلطة تتجاوز كل مظاهر السلطة بصورتها الشرعية التقليدية ·

سادسا : اتفقت غالبية أعضاء هذه الصفوة على أن هناك فروقا مميزة بين الزعيم السياسي من جهة ورئيس الدولة من جهة أخري ، رغم اتجـاه البعض الى رفض فكرة التمييز بين كليهما ·

سابعا : تكشف القـــدرة على التمييز بـــين كل من الحاكم والزعيم السياسى عن درجة لا بأس بها من الوعى السياسى بين أعضاء هذه الصفوة ،

ثامنا : يؤكد غالبية أعضاء هذه الصفوة عن اتجاه عام خاص بشرعيـة انعلاقة بين الزعامة السياسية والرئاسة أو الاوضاع الحزبية لهذه الزعامات·

تاسعا : ترفض غالبية أفراد العينة فـكرة استئثار الزعيم السياسى بالرأى حتى فى أشد الفترات حرجا أو تأزما للمجتمع ، مرجحين فكرة الشورى والاستئناس بالرأى الآخـر ·

عاشرا : يكاد يجمع أعضاء هـذه الفئة على أن احتياج المجتمعات الى الزعامات السياسية يظهر بصورة ملحة فى أوقات الفراغ السياسى أو الفساد السياسى فضلا عن ظروف التناقضات الطبقية الصارخة ٠

حادى عشر : ترى غالبية أعضاء الصفوة المتعلمة أن فترة الاحتـــلال الانجليزى والحقبة التى تميزت بالنشاط الحزبى فيما قبل يوليو ١٩٥٢ ، هى أكثر فترات تاريخ المجتمع المصرى تشبعا بالزعامات السياسية ٠

ثانى عشر : تعـد فترة ما بعد يوليو ١٩٥٢ ـ فيما يتصور أفراد عينة الدراسة ـ أكثر فترات التاريخ السياسى للمجتمع المصرى خلوا من الزعامات السـيـاسـيـة ٠

ثالث عشر : كشفت نتائج هذه الدراسة عن تذبذب واضح فى درجـــة للوعى السياسى لأعضاء الصفوة المتعلمة ، ففى الوقت الذى تصل فيــه الى قمة الوعى السياسى ، تظهر فى موقف آخر وكأنها تفتقر الى هذا الوعى ٠

رابع عشر : ما زالت حالة الفوبيـــا السياسية التى عاشها الانسان المصرى قابعة فى وجدان (بعض) أعضاء الصفوة المتعلمة ودليلنا على ذلك امتناع بعض أعضائها عن التعاون كلية لاتمام هذه الدراسة ، فضـــلا عن امتناع البعض الآخر عن الاجابة عن بعض التساؤلات (الجـدولان ١٨ ، ١٩) ٠

خامس عشر : تكشف النتيجة السابقة عن ما يمكن أن تلعبه الزعامة السياسية الراهنة من دور فى اعادة الثقة فى قدرات الانسان المصرى وفى اعادة صياغة بنائه الوجدانى الذى ترسبت فيه رواسب الماضى من خوف وهـلع من السلطة وفقدان للثقة فى نفسه وهو ما تجلى لدى أعضاء الصفوة المتعلمة فما بالنا برجل الشارع العادى ٠

سادس عشر : تحقيقا للهدف السابق نرى أن السير فى طريق اعـادة البنـــاء السياسى للمجتمع المصرى والتدعيم الجاد للديمقراطية والنشــاط الحزبى غير المفتعل وتحرير الصحافة من بعض القيود التى ما زالت تقيـــد حركتها نحو الانطلاق ، وهو الأمر الذى يضفى على الزعامة السياسية الراهنة قوة على قوتها ، ويضمن لها القدرة على الاستمرار والتفوق ٠

وبعـــــــد ٠٠٠

من المؤكد أن المؤلف الراهن ـ بوعى منه أو بغير وعى ـ قد أثار الانتباه الى عدد من القضايا الهامة ، يتعلق أولها بوضعية علم الاجتماع السياسى فى دول العالم الثالث والدور الذى ينبغى أن يضطلع به بالنسبة للقضـــايا السياسية لهذا العالم المتخلف ٠

وتتعلق القضية الثانية بالوضعية الراهنة لزعامات العالم المتخلف وما ينبغى أن تكون عليه فى المستقبل ، ومن ثم ما يمكن أن نتنبأ به بالنسبة للمستقبل السياسى لدول العالم الثالث ٠

وتشير القضية الثالثة والأخيرة الى دور مثقفى العالم الثالث ومتعلميه باعتبارهم من الصفوات المتميزة فى المجتمع ، فى قيادة حركة التنميةبصورتها الشمولية وبأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ٠

القضـــــية الأولى

تكشف الوضعية الراهنة لعلم الاجتماع السياسى فى دول العالمالثالث الى الوضع المتخلف لمنظومة العلم ـ أى علم ـ فى دول هذا العالم ٠ ولعل هذا الوضع المتخلف للعلم فى عالمنا المتخلف هذا يعكس لنا ـ بالضرورة ـ هوية بنائية (سياسية واجتماعية) ذات مضمون متخلف أيضا ، لأنــــه من العسير أن نفصل ماهية العلم ـ كنسق فكرى ـ عن طبيعة البناء الاجتماعى والسياسى لأى مجتمع كائنا ما كان ، وذلك تأكيدا لجدلية العلاقة بين الفكر والـــواقع ٠

وعلم الاجتماع السياسى كأحـد الانساق المعرفية يعيش ـ أيضا ـ حالة من التخلف **والذى يتبدى من خلال مجموعة من الظواهر :**

١ ـ الفهم الخاطىء لطبيعـــة علم الاجتماع السياسى وماهيتـــه والتمايزات القائمة بينه وبين علم السياسة والنظرية السياسية ٠

٢ ـ انعكس هذا الفهم الخاطىء لطبيعة هـذا العلم على ماهية الدور الذى ينبغى أن يقوم به هذا العلم من خـــلال الواقع الاجتماعى السياسى وما يرتبط بل من ظواهر اجتماعية وسياسية ، لا سيما بالنسبة لدول العالم المتخلف ٠

٣ ـ تخلف علم الاجتماع السايسى فى دول العالم الثالث عن القيام بدوره ـ وبصورة محددة ـ فى عملية التنمية للسياسية على وجه الخصوص.

وهنا ينبغى أن تكون هناك حركة جادة لاعادة فهم الطبيعة النوعية لعلم الاجتماع السياسى وأنه علم ـ كغيره من العلوم الاجتماعية ـ وثيق الصلة بافرازات الواقع الاجتماعى بمظاهره السياسية والثقافية والاقتصادية، وأن طبيعة الأدوار التى تقوم بها ـ أو ينبغى أن تقوم بها ـ مثل هذه العلوم تتسم بالنسبية نظرا لارتباطها بخصوصية كل مجتمع على حدة .

وحركة اعادة فهم الطبيعة النوعية لعلم الاجتماع السياسى والدور الذى ينبغى أن ينهض به ، ومن ثم اعادة صياغة المتغيرات البنائية لهذا العلم لن يتحقق فى تصورى الا من خلال الفهم الناضج لطبيعة المشكلات النوعية التى تعانى منها دول العالم الثالث،والتي تقف على قمتهاقضيةالتنمية بأبعادها المختلفة ، ومنها قضية الوعى السياسى Political Consiousness وكيفية تنميته والرقى به . وتتأكد خطورة هذه القضية اذا ما علمنا أن هناك علاقة وثيقة بين نوعية الزعامات السائدة فى المجتمعات ودرجة الوعى السياسى لشعوب هذه المجتمعات ، ومنها شعوب العالم المتخلف التى مازالت تعانى من سيادة الزعامات السياسية الكازرمية شديدة التمسك بالصيغة الاوتوقراطية فى الحكم .

فهل لنا وفقا لهذا أن ندعو لعلم للاجتماع السياسى لدول العالم الثالث Political Sociology of the Third World يعنى بقضاياها السياسية النوعية كقضايا الثورة والزعامة والوعى السياسى والصيغ المناسبة للحكم والنظم السياسية الأكثر ملاءمة لها ، ولا سيما وأن هناك العديد من المبررات التى تقف وراء الدعوى التى تؤكد أن دول هذا العالم المتخلف لا تصلح معها الا الزعامات الكازرمية ولا تلائمها الا الصيغة الاوتوقراطية فى الحكم ، ولا تتناسب معها الا صيغة الحزب الواحد ، بينما لا تحقق صيغة تعدد الأحزاب مجموعة الأهداف والانجازات التى تقيل هذه الدول من عثراتها ، فهل يمكن أن يكون لعلم الاجتماع السياسى الخاص بدول العالم الثالث دور فى اعادة صياغة البنية السياسية لدول هذا العالم ؟ .

أعتقد انه من الممكن أن يتحقق هذا الدور شريطة أن يتوفر أولا الوعى

من قبل الباحثين فى هذا العالم والجرأة على تناول القضايا السياسية ومحاولة تجاوز مرحلة الفوبيا السياسية والخوف من بطش السلطة ، وهنا ينبغى أن يكون لسلطات العالم الثالث دور هام هو اعادة النظـــر فى موقفها من العلم والعلماء ، كما ينبغى عليها أن تعى حقيقة هامة هى أنه لا فكر بلا حرية ٠

القضـــــية الثـــانية

وتتعلق القضية الثانية بالوضعية الراهنة لبعض زعامات العـــالم الثالث وما ينبغى أن تكون عليه فى المستقبل ٠ والحقيقة أن زعامات العـالم الثالث قد انبثقت من مصــــدر أساسى هو مجموعة الثورات أو الانقلابات ـ العسكرية فى كثير من الأحيان ـ التى تعرضت لها دول هذا العالم المتخلف٠ وهى زعامات يبدو عليهـــا الطابع الكارزمى الالهامى الذى يفتقر كثيرا الى المقومات الفكرية والايديولوجية ذات البناء النظرى المتكامل ٠

وقـد يلاحظ أيضا أن كثيرا من زعامات العـالم الثالث (التى تستمد وضعيتها من منصبها الرسمى ومن قوتهـا كصفوة عسـكرية فى كثـير من الأحيان) قـــد آثرت الحكم الشمولى المطلق ورفضت فـــكرة الديمقراطية الليبرالية بصورتها الحزبية ٠ وهنا ينبغى أن نتساءل : هل تصلح هـــذه النوعية من الزعامات السياسية بوضعيتها هـذه وبتصوراتها عن طبيعـة السياسية والحكم التى يغلب عليها الاجتهاد دون الأخذ بعلمية الحكم وفنية السـياسة ؟ ٠

والأمر عندى ان دول العالم المتخلف بوضعيتها الاجتماعية والسياسية وبظروفها الاقتصادية والثقافية أحـــوج ما تكون الى الزعامات العقـــلانية الرشيدة Rationalistic Leaders ذات الرؤى الفكرية والنظرية محـــددة المعالم ، وهى الزعامات ذات الموهبة والخبرة السياسية فى آن واحد ، زعامات تنظر الى مقولتى السياسة والحكم باعتبارهما عمليتين لها أصولهما العلمية التى لا تعتمد على الهاميات الحاكم أو اجتهادات الزعيم ٠

واذا كان البعض يرى أن دول العالم الثالث لا تستقيم معها الا صــور الحكم الشمولى ، فان ما يؤكد كذب هــذه الدعوى هو الذى الفشل المستمر والتردى غير المحدود فى أخطاء زعامات هذه الدول (التجربة الناصرية) ، كما يكشف تراجع كثير من دول هذا العالم النام عن صيغة الحكم الشمولى (مصر

يكشف تراجع كثير من دول هذا العالم النام عن صيغة الحكم الشمولى (مصر

فى السبعينات) عن صحوة بعض هذه الدول ويقظتها واعترافها ـ عمليا ـ بفشل تجارب الحكم الاوتوقراطى الشمولى وعجز هذه النظم عن تحقيق أى مظهر من مظاهر التحديث السياسى أو الاجتماعى •

وهنا ينبغى أن نتساءل : اذا كان الأمر كذلك فالى أين تسـير بعض زعامات العالم الثالث ؟ وما هو الخلاص من أزمات العـالم الثالث وتراكمات مشكلاتها ، فهل نأمل فى صحوة عامة تشمل كل دول هذا العالم المتخلف ؟ •

القضـــية الثـــالثة

كشفت الدراسة الميدانية الخاصة بالتعرف على اتجاهات بعض أفراد الصفوة المتعلمة ازاء قضية الزعامة السياسية بوجه عام، والزعامة السياسية المصرية بوجه خاص عن عدد من الحقائق ، يقف على قمتها المستوى المتذبذب للوعى السياسى الخاص بهذه الصفوة ، الأمر الذى يثير تساؤلا عن وضعية الصفوات فى المجتمع المصرى ودورها فى قيادة حركة التنمية بصورها المختلفة فى المجتمـع ؟ •

والواقع أنه من العسير أن نفصل بـين الوضعية الراهنة للصفوات المصرية وطبيعة البناء السياسى والاجتماعى للمجتمع المصرى • فمن المؤكد أن مصر الخمسينات والستينات بوضعيتها السياسية قد حجبت أى فرصة لتألق المواهب أو بزوغ الصفوات المتميزة ، حيث كانت الصفوة الوحيـدة المتألقة أبدا هى الصفوة العسكرية الحـاكمة ، فكان من المنطقى أن تنسحب الصفوات السياسية والفـكرية والسياسية ، الا أننـا نؤكد أن للصفوات أدوارا ما ينبغى أن تتغافل عنهـا ، لا سيما الصفوتين المثقفة والمتعلمـة Intellectual and Educational Elites ، وهى الأدوار التى تتحدد بصفة أساسية فى قيادة حركة التنمية فى مصر ، وهذا هو التحدى الكبير الذى تواجهه مصر فى الآونة الراهنة ، فهل نأمل فى دور متجدد لصفواتنا الفكرية والثقافية والمتعلمة . دور يخلع عن كاهله ارث المـاضى ، ومخاوف عهـد مضى ، دور واع يقظ ، على ثقة فى غـد واعـد مأمول •

رقم الايداع بدار الكتب المصرية
٣٩٩٨ / ١٩٨٠م

دار نشر الثقافة

٢١ ش كامل صدقي (الفجالة سابقا) القاهرة

تليفون ٩١٦٠٧٦



١٨٠ قرشاً